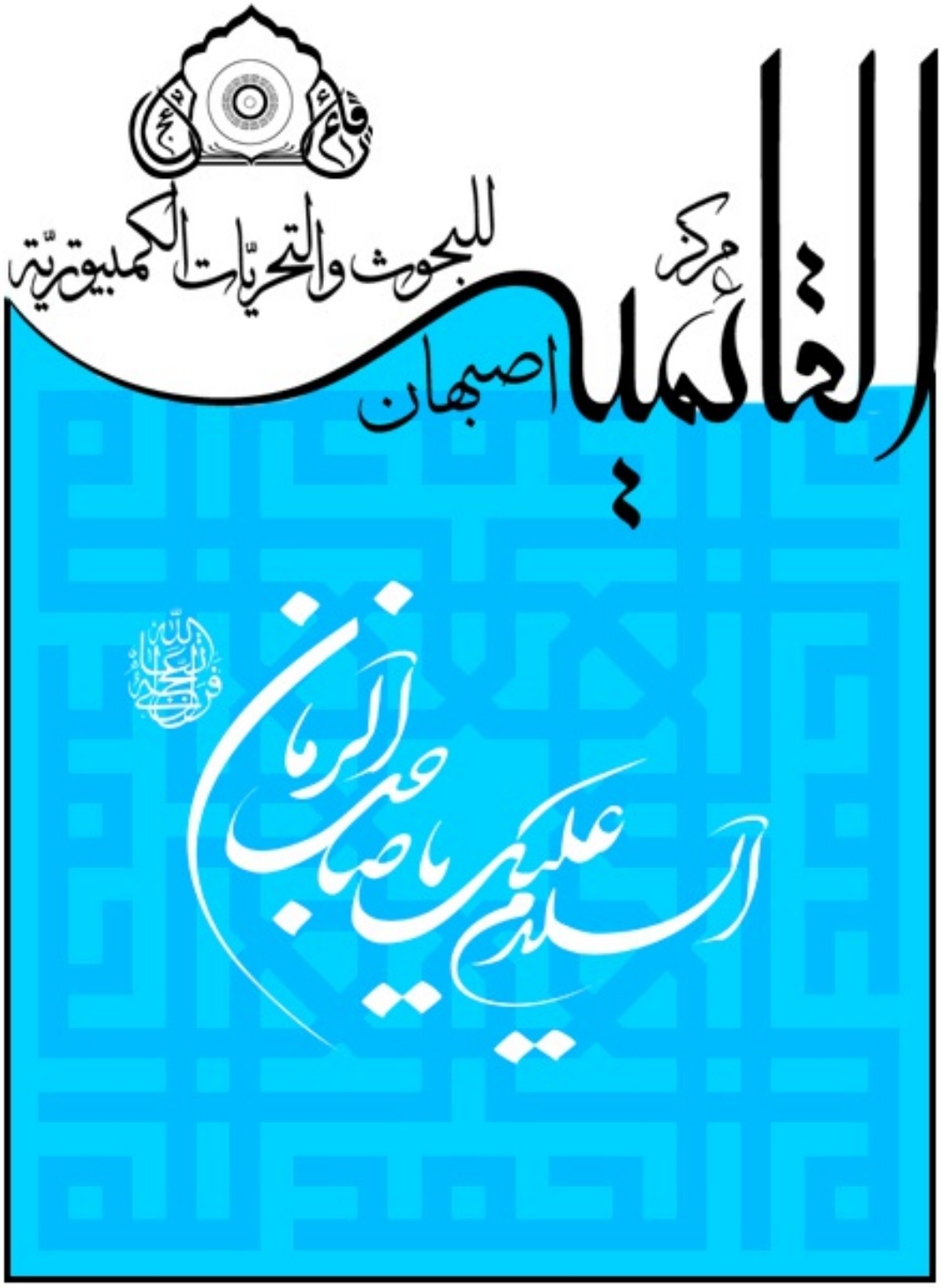

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

نفحات من علوم القرآن

آية الله الشيخ محمّد باقر الملكيّ الميانجيّ

إعداد وتنظيم
السيّد فاضل الرضويّ

بسم الله الرحمن الرحيم

نفحات من علوم القرآن

كاتب:

محمد باقر ملكى ميانجى

نشرت فى الطباعة:

ولايت

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نفحات من علوم القرآن ----- ۹
اشاره ----- ۹
اشاره ----- ۹
تمهید ----- ۲۰
۱فضل القرآن ----- ۳۰
فضل القرآن ولزوم التدبّر فیه ----- ۳۰
اشاره ----- ۳۰
الف) القرآن ----- ۳۳
ب) الأحادیث ----- ۳۳
تجلّی الله فی القرآن ----- ۳۶
القرآن وعصمته الذاتیّه ----- ۳۷
هیمنه القرآن ----- ۳۸
۲حجّیّه ظواهر القرآن ----- ۳۸
ظواهر الکتاب ----- ۳۸
تحدّی الرسول بالقرآن ----- ۴۱
مقامات القرآن ----- ۴۲
درجات الفهم فی تلقّی الدعوه العامّه ----- ۴۴
الدعوه الخاصّه ----- ۴۶
الجمع بین الروایات ----- ۴۹
القرآن کتاب تعلیمیّ ----- ۵۰
التعلیم والتذکیر ----- ۵۱
۳الإنزال والتنزیل ----- ۵۴

الإنزال والتنزيل فی القرآن والحديث ۵۴
رأی صاحب الکشّاف والمنار ۵۹
نظريّه صاحب الميزان ۶۰
تحليل ونقد ۶۳
الجمع بين النزول الدفعیّ والتدريجیّ ۷۱
۴المحکم والمتشابه ۷۲
المحکم والمتشابه فی القرآن والحديث ۷۲
دراسه بعض الآراء فی المحکم والمتشابه ۸۱
نظريّه صاحب الميزان ونقدها ۸۵
۵المنهج الصحيح فی التفسير ۹۰
معنی التفسير ۹۰
نقد منهجيّه تفسير القرآن بالقرآن ۹۵
۶التفسير بالرأی ۱۰۲
المنع عن التفسير بالرأی ۱۰۲
معنی التفسير بالرأی ۱۰۶
تبعات التفسير بالرأی ۱۰۹
وقفه مع منهج الصحابه والتابعين فی التفسير ۱۱۳
۷التأويل ۱۱۸
التأويل فی القرآن ۱۱۸
معنی التأويل ۱۲۴
حقل التأويل ۱۲۶
اشاره ۱۲۶
الف) الآيات ۱۲۷
ب) الروايات ۱۲۷

العالمون بالتأویل ----- ۱۳۱
الراسخون فی العلم ----- ۱۳۴
الروایات المانعه عن التفسیر والتأویل ----- ۱۳۶
تقییم بعض النظریّات ----- ۱۴۶
بعض التأویلات الباطله ----- ۱۴۹
۸النسخ ----- ۱۵۲
معنی النسخ ----- ۱۵۲
النسخ فی التکوینیّات ----- ۱۵۶
النسخ والمشیّه الأزلیّه ----- ۱۵۸
المعنی الاصطلاحیّ للنسخ ----- ۱۵۹
۹البداء ----- ۱۶۰
معنی البداء ----- ۱۶۰
معرفه البداء ----- ۱۶۳
أهمّیّه البداء ----- ۱۶۵
المشیّه الأزلیّه فی منظار الوحی ----- ۱۶۶
البداء فی المعارف الإلهیّه والبشریّه ----- ۱۶۸
العلم منشأ البداء الإلهیّ ----- ۱۶۹
آثار الاعتقاد بالبداء ----- ۱۷۰
اشاره ----- ۱۷۰
الف) الأحادیث الدالّه علی أنّ الدعاء یبدّل القضاء ----- ۱۷۰
ب) الأحادیث الدالّه علی وقوع البداء بواسطه صله الأرحام وإعطاء الصدقه وزیاره سیّد الشهداء ----- ۱۷۲
۱۰تحدّی القرآن وإعجازه ----- ۱۷۴
ضروره الإعجاز ----- ۱۷۴
إعجاز القرآن ----- ۱۷۹

وجه التحدّی والإعجاز ----- ۱۸۱
نماذج تاریخیّه من تأثیر القرآن ----- ۱۸۴
إعجاز القرآن فی علومه ومعارفه ----- ۱۹۰
القرآن کلام الله ----- ۱۹۴
الفهارس ----- ۲۰۰
فهرس الآیات الکریمه ----- ۲۰۰
فهرس الروایات الشریفه ----- ۲۱۵
فهرس مصادرالتحقیق ----- ۲۱۸
الملخص ----- ۲۲۶
تعریف مرکز ----- ۲۳۱

نفحات من علوم القرآن

اشاره

سرشناسه : ملکی میانجی، محمدباقر، ۱۲۸۴ - ۱۳۷۷.

عنوان و نام پدیدآور: نفحات من علوم القرآن / مولف محمدباقر ملکی میانجی؛ اعداد و تنظیم سید فاضل رضوی؛ تحقیق مرتضی اعدادی خراسانی.

مشخصات نشر : مشهد: ولایت، ۱۳۹۳.

مشخصات ظاهری : [۲۱۶] ص.

شابک : ۹۷۸ ۹۶۴ ۶۱۷۲ ۶۰ ۹

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : قرآن -- علوم قرآنی

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : رضوی، سیدفاضل، گردآورنده

شناسه افزوده : اعدادی خراسانی، مرتضی، ۱۳۶۰ -

رده بندی کنگره : BP۶۹/۵/م۷۶ن۷ ۱۳۹۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۵

شماره کتابشناسی ملی : ۳۶۰۳۳۰۸

ص: ۱

اشاره

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

بسم الله الرحمن الرحیم

﴿اُدعُ إلی سَبیلِ رَبِّکَ بِالحِکمَهِ وَالمَوعِظَهِ الحَسَنَه﴾

یُعدّ العلم والمعرفه أفضل وأکبر النِّعم الإلهیّه المهداه لعباد اللّه الصالحین لأنّ بالعلم یُعینهم اللّه علی عبودیّته والخضوع له و به یخضعون له، کما یُعدّ ذلک من اکبر النّعم التی بها یفتخرون فی حیاتهم الدنیا .

والعلماء الربانیّون والعرفاء الإلهیّون هم من یستضیئون بهدی الانبیاء والائمه﴾ ولا یشعرون بالتَّعب أو الملل أبداً فی سلوک هذا الطریق. طریق العلم والعمل، ویتجنّبون الطُرُق الأُخری التی لا تنتهی بهم إلی نیل معارف الأئمّه﴾.

تهدف هذه المؤسسه التی تأسست بدافع إحیاء آثار هذه الثلّه المخلصه التی تحملت علی عاتقها مهمّه الدفاع عن المعارف الوحیانیّه والعلوم الإلهیّه الأصیله إلی نشر هذا الفکر عبر الوسائل العصریه المتاحه ومن اللّه التوفیق.

ص: ۶

ص: ۷

ص: ۸

ص: ۹

ص: ۱۰

ص: ۱۱

ص: ۱۲

تمهید

ص: ۱۳

الحمد لله الذی علا فی توحّده، ودنا فی تفرّده، وجلّ فی سلطانه، وعظم فی أرکانه، وأحاط بکلّ شیءٍ علماً وهو فی مکانه.

ثمّ الصلاه والسلام علی المنتجَب فی المیثاق، المصطفی فی الظِلال، والمطهَّر من کلّ آفه، الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل، والمهیمن علی ذلک کلّه، رسول الله، وحبیبه، وصفیّه، وخیرته من خلقه، الأحمد من الأوصاف، والمحمّد لسائر الأشراف، الکریم عند الربّ، والمکلَّم من وراء الحُجب، الفائز بالسباق، والفائت عن اللحاق وعلی أهل بیته الطاهرین، فصلّ اللّهم علیه وعلی أهل بیته الطیّبین الطاهرین، بحور العلوم الزاخره، والنجوم الزاهره، والأعلام الباهره، وسادات الخلق فی الدینا والآخره، صلاهً زاکیه نامیه کثیره دائمه لا یحیط بها إلّا أنت ولا یسعها إلّا علمک ولا یحصیها أحدٌ غیرک.

وبعد، فإنّ کلّ هموم الأنبیاء وهممهم، ومنتهی مقاصدهم وغایاتهم، وأوّل حاجتهم وآخرها إنّما هو طلب لقاء الله وبلوغ ساحه معرفته ولقاءه، فإنّهم أفرغوا جهدهم وشحذوا جدّهم فی التملّق بین یدیه والتعرّض لعطفه، یسألونه أن یعرّفهم الطریق إلیه والسبیل إلی رضوانه، وتضرّعوا بکلّ وجودهم لکسب محبّته ورضاه، ولسان حالهم جمیعاً «یَا مَن هُوَ غَایَهُ

ص: ۱۴

مُرَادِ المُرِیدِینَ یَا مَن هُوَ مُنتَهَی هِمَمِ العَارِفِینَ، یَا مَن هُوَ مُنتَهَی طَلَبِ الطَّالِبِین». (۱)

وفی بحار الأنوار، عن النبیّ:

بَکَی شُعَیبٌ مِن حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّی عَمِیَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَیهِ بَصَرَهُ؛ ثُمَّ بَکَی حَتَّی عَمِیَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَیهِ بَصَرَهُ؛ ثُمَّ بَکَی حَتَّی عَمِیَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَیهِ بَصَرَهُ؛ فَلَمَّا کَانَتِ الرَّابِعَهُ أوحَی اللَّهُ: إلَیهِ یَا شُعَیبُ إلَی مَتَی یَکُونُ هَذَا أبَداً مِنکَ؟ إن یَکُن هَذَا خَوفاً مِنَ إلَهِیّ وَسَیِّدِی، أنتَ تَعلَمُ أنِّی مَا بَکَیتُ خَوفاً مِن نَارِکَ وَلَا شَوقاً إلَی جَنَّتِکَ وَلَکِن عَقَدَ حُبُّکَ عَلَی قَلبِی، فَلَستُ أصبِرُ أو أرَاکَ، فَأوحَی اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ إلَیهِ؛ أمَّا إذَا کَانَ هَذَا هَکَذَا، فَمِن أجلِ هَذَا سَأُخدِمُکَ کَلِیمِی مُوسَی بنَ عِمرَان.(۲)

هذا دیدن أولیاء الله، والمنیبین إلیه، حتّی بعث الله خاتم الرسل بالحقّ، أعلی الأنبیاء درجه وأحفظهم سرّاً و أشدّهم عزیمه وأوسعهم صدراً وأوعاهم قلباً، فهیّأه الله تعالی لتلقّی الوحی، وأدّبه، وأحسنَ تأدیبه، وکمّله وحمّله ما تحمّل، ولقّنه کلّ شیء علماً وحکمه. ثم حفظ ذلک کلّه له فی جُمَل نزلت علی قلبه عاماً بعد عام، فکان القرآن العظیم الکتاب الذی لا یأتیه الباطل من یدیه ولا من خلفه، والخاتم لجمیع الکتب، تصدیقاً لما بین یدیه، ومهیمناً علیه، تنزیل من حکیمٍ من حمید؛ جعله الله طریقاً إلی معرفته، وإلی رضوانه، ولقاءه، وإلی شریعته، وإلی جنّته.

۱- دعاء الجوشن الکبیر؛ البلد الأمین، ص۴۱۱؛ المصباح للکفعمیّ، ص۲۵۹.

۲- . بحارالأنوار، ج۱۲، ص۳۸۰، ح۱ (الباب ۱۱من أبواب قصص إبراهیم من کتاب النبوّه).

ص: ۱۵

قال أمیرالمؤمنین:

ثُمَّ أنزَلَ عَلَیهِ الکِتَابَ نُوراً لَا تُطفَأُ مَصَابِیحُهُ وَسِرَاجاً لَا یَخبُو تَوَقُّدُهُ وَبَحراً لَا یُدرَکُ قَعرُهُ وَمِنهَاجاً لَا یُضِلُّ نَهجُهُ وَشُعَاعاً لَا یُظلِمُ ضَوءُهُ وَفُرقَاناً لَا یُخمَدُ بُرهَانُهُ وَتِبیَاناً لَا تُهدَمُ أرکَانُهُ وَشِفَاءً لَا تُخشَی أسقَامُهُ وَعِزّاً لَا تُهزَمُ أنصَارُهُ وَحَقّاً لَا تُخذَلُ أعوَانُهُ؛ فَهُوَ مَعدِنُ الإیمَانِ وَبُحبُوحَتُهُ وَیَنَابِیعُ العِلمِ وَبُحُورُهُ وَرِیَاضُ العَدلِ وَغُدرَانُهُ وَأثَافِیُّ الإسلَامِ وَبُنیَانُهُ وَأودِیَهُ الحَقِّ وَغِیطَانُهُ وَبَحرٌ لَا یَنزِفُهُ المُستَنزِفُونَ وَعُیُونٌ لَا یُنضِبُهَا المَاتِحُونَ وَمَنَاهِلُ لَا یَغِیضُهَا الوَارِدُونَ وَمَنَازِلُ لَا یَضِلُّ نَهجَهَا المُسَافِرُونَ وَأعلَامٌ لَا یَعمَی عَنهَا السَّائِرُونَ وَآکَامٌ لَا یَجُوزُ عَنهَا القَاصِدُونَ.

جَعَلَهُ اللَّهُ رِیّاً لِعَطَشِ العُلَمَاءِ وَرَبِیعاً لِقُلُوبِ الفُقَهَاءِ وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَدَوَاءً لَیسَ بَعدَهُ دَاءٌ وَنُوراً لَیسَ مَعَهُ ظُلمَةٌ وَحَبلًا وَثِیقاً عُروَتُهُ وَمَعقِلًا مَنِیعاً ذِروَتُهُ وَعِزّاً لِمَن تَوَلَّاهُ وَسِلماً لِمَن دَخَلَهُ وَهُدًی لِمَنِ ائتَمَّ بِهِ وَعُذراً لِمَنِ انتَحَلَهُ وَبُرهَاناً لِمَن تَکَلَّمَ بِهِ وَشَاهِداً لِمَن خَاصَمَ بِهِ وَفَلجاً لِمَن حَاجَّ بِهِ وَحَامِلًا لِمَن حَمَلَهُ وَمَطِیَّةً لِمَن أعمَلَهُ وَآیَةً لِمَن تَوَسَّمَ وَجُنَّةً لِمَنِ استَلأمَ وَعِلماً لِمَن وَعَی وَحَدِیثاً لِمَن رَوَی وَحُکماً لِمَن قَضَی.(۱)

هذا هو القرآن الکریم والکتاب المجید وأنّ قلب النبیّ وعاؤه، وصدرُه حامله. ثمّ لم یرث علم القرآن ولم یستوعبه ویرعه حقّ رعایته غیر

۱- نهج البلاغه، الخطبه ۱۹۸، ص۳۱۵.

ص: ۱۶

أوصیاءه من بعده، ولهذا لن یهتدِ أحد من الناس إلی کلام الله ومعرفه معارفه إلّا من أخذ عنهم واستقی من علمهم، فآل محمّد عدل القرآن الکریم، والمخصوصون بعلمه، والعارفون بالناسخ والمنسوخ والعامّ والخاصّ والمحکم والمتشابه والتنزیل والتأویل دون سواهم.

نعم، یبقی للقرآن جانبان؛ جانب میسّر للخلق یعلمه العالم و الجاهل، وجانب غامض مُعمّی، ومستور مُغطّی، لا مناص للطالب فیه من الرجوع إلی ترجمان الکتاب وحمله علمه الخلفاء المعصومین.(۱)

فلا ریب من جانب أنّ أهل البیت قد صرّحوا ودعوا إلی التمسّک بمحکم الکتاب، کما عن الصادق:

إنَّ القُرآنَ فِیهِ مُحکَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، فَأمَّا المُحکَمُ فَنُؤمِنُ بِهِ وَنَعمَلُ بِهِ وَنَدِینُ بِه.(۲)

وما جاء فی بیان أمیرالمؤمنین من أنّ قسماً من القرآن یعلمه العالم والجاهل(۳)؛ إلّا أنّه ومن جانب آخر، استناداً إلی قوله تعالی: ثُمَّ إنَّ عَلَینا بَیانَهُ (۴) .)

۱- هذه المسأله قد جعلها صاحب الکتاب الذی بین یدیک رکیزته فی التفسیر، وطریقته فی تلقّی علوم الآیات.

۲- . بصائرالدرجات، ص۲۰۳، ح۳ (الباب العاشر من الجزء الرابع)؛ وسائل الشیعه، ج۲۷، ص۱۹۸، ح۵۲ [۳۳۵۸۳] (الباب ۱۳من أبواب صفات القاضی من کتاب القضاء).

۳- راجع: الاحتجاج، ج۱، ص۲۵۳؛ تفسیر کنزالدقائق، ج۳، ص۳۲ (ذیل الآیه ۷ من سوره آل عمران).

۴- القیامه(۷۵)، الآیه ۱۹.

ص: ۱۷

وقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ ۱).﴾)

وقوله سبحانه: ﴿وَ أنزَلنا إلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إلَيهِم۲) .﴾)

وقوله سبحانه: ﴿يُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ۳) .﴾)

ونظائرها من الآيات المباركات، أصبح مقام التبيين والتفسير ورفع الاختلاف من الآيات، شأناً خاصّاً من شؤون خلفاء الله وحججه الذين علّمهم الذكر وجعلهم أهل الذكر، فقال عزّ وجلّ: ﴿فَاسألوا أهلَ الذِكرِ إن كُنتُم لا تَعلَمُونَ۴)﴾) فليس لغيرهم أن يتصدّى لهذا المقام الشامخ الخطير. ولهذا نبّه النبيّ الأكرم﴿ فی یوم الغدیر بعد أن دعا إلی تدبّر القرآن وتفهّم آياته، على ضروره الاعتماد على وصيّه وخليفته من بعده أميرالمؤمنين﴿ فی ذلک و الأخذ منه لا من غيره فقال﴿:

فَوَ اللهِ لَهُوَ مُبَيِّنٌ لَكُم نُوراً وَاحِداً وَلَا يُوَضِّحُ لَكُم تَفسِيرَهُ إلَّا الَّذِی أنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُصعِدُهُ إلَیَ وَشَائِلٌ بِعَضُدِهِ وَمُعلِمُكُم أنَّ مَن كُنتُ مَولَاهُ فَهَذَا عَلِیٌّ مَولَاه. (۵)

المؤلّف فی سطور

ولد آيه الله الشيخ محمّد باقر الملكیّ الميانجیّ نجل المرحوم الحاج عبد

۱- الدخان(۴۴)، الآيه ۵۸.

۲- النحل (۱۶)، الآيه ۴۴.

۳- البقره(۲)، الآيه ۱۲۹.

۴- النحل(۱۶) الآيه ۴۳ والأنبياء (۲۱)، الآيه ۷.

۵- روضه الواعظين، ج۱، ص۹۴؛ بحارالأنوار، ج۳۷، ص۲۰۹، ح۸۶ (الباب ۵۲من أبواب النصوص الدالّه على الخصوص... من كتاب تاريخ أميرالمؤمنين﴿).

ص: ۱۸

العظیم فی أُسره عریقه دینیّه شریفه فی آذربایجان، فدرس المقدّمات من الأدب والمنطق والفقه والأُصول لدی العالم الجلیل المرحوم آیه الله السیّد واسع الکاظمیّ التَرکیّ الذی کان من أفاضل تلامذه الآخوند الخراسانی حتّی أکمل عنده کتابی القوانین والریاض.

ثمّ انتقل إلی مشهد المقدّسه ودرس السطوح العلیا لدی أُستاذه المرحوم آیه الله الشیخ هاشم القزوینیّ، والفلسفه والعقائد لدی المرحوم آیه الله الشیخ مجتبی القزوینیّ، ثمّ حضر بحوث الخارج لدی المرحوم آیه الله میرزا محمّد آقازاده الخراسانیّ، کما تلقّی قسماً من المباحث الفقهیّه ودوره فی الأبحاث الأُصولیّه والمعارف الاسلامیّه عند الفقیه الکبیر آیه الله المیرزا مهدیّ الغرویّ الإصفهانیّ، فنال إجازه الاجتهاد والإفتاء والروایه منه سنه ۱۳۶۱ه.ق؛ وقد صدّقها المرحوم آیه الله العظمی السیّد محمّد الکوه کمریّ التبریزیّ.

ثمّ رجع إلی موطنه بعد مضیّ ۱۳سنه من الدراسه فی مشهد وقام بنشر المعارف الاسلامیّه، ثمّ انتقل إلی قم المقدّسه بعد ۱۶ سنه وأکرمه المرجع الدینیّ الأعلی للشیعه المرحوم آیه الله العظمی البروجردیّ، فواصل تدریسه فی الحوزه لبحث خارج الفقه والتفسیر والمعارف فتخرج علی یدیه عده من أهل العلم والمعرفه.

له مؤلّفات طبع بعضها کبدائع الکلام فی تفسیر آیات الأحکام، وتفسیر فاتحه الکتاب، ومناهج البیان فی تفسیر القرآن وکتاب توحید الإمامیّه فی العقائد وله مخطوطات کرساله فی الحبط والتکفیر ودوره کامله لتقریرات الأُصول لأستاذه آیه الله المیرزا مهدیّ الإصفهانیّ.

ص: ۱۹

منهج مباحث الكتاب

من هذا المنطلق اجتهد المؤلّف أعلى الله مقامه فی بیان أهمیّه حفظ مقام أهل البیت و موضعهم من مسأله التفسیر.

وقد سعی إلی تبیین التمییز بین المحکمات التی یسوغ فیها التمسّک بظاهر الکتاب من خلال إمضاء الحجج المعصومین ودعوتهم إلی الأخذ والعمل بها، وبین غیرها ممّا یجب الرجوع إلی حمله القرآن فی أصل فهمها.

ومن الجدیر بالذکر أنّ هذه عینها طریقه مشی الفقهاء الأُصولیّین فی زمن غیبه المعصوم فی مقام التمسّک بظاهر الکتاب، رغم قلّه الأخبار الموجوده فی خصوص هذا المجال.

بین یدی القارئ أهمّ ما تعرّض له المؤلّف فی هذا الکتاب:

نقد منهج صاحب المیزان

فیه تنبیه علی خطأ المبنی الذی سلکه صاحب تفسیر المیزان فی تبیین مقاصد المعانی القرآنیّه وتفسیر الآیات، والخلل فی أسلوبه فی التفسیر، حیث أخذ فی التفسیر المذکور محاوله تفسیر القرآن بالقرآن لما رأی من ضروره مجانبه بیان غیر القرآن حتّی بیانات أهل الذکر الذین إلیهم مرجع العباد فی ذلک.(۱)

وقد ذکر المؤلّف هذه النظریّه وما یرد علیها، والتی تؤول فی طبیعتها

۱- قال فی المیزان ج۳، ص۸۵: فالحقّ أنّ الطریق إلی فهم القرآن الکریم غیر مسدود، وأنّ البیان الإلهیّ والذکر الحکیم بنفسه، هو الطریق الهادی إلی نفسه، أی إنّه لا یحتاج فی تبیین مقاصده إلی طریق، فکیف یتصوّر أن یکون الکتاب الذی عرّفه الله تعالی بأنّه هدی وأنّه نور وأنّه تبیان لکلّ شی ء مفتقراً إلی هاد غیره ومستنیراً بنور غیره ومبیِّناً بأمر غیره.

ص: ۲۰

إلی التفریق بین الذِکر وأهل الذکر، وبین الله ورُسله، والإیمان ببعض دون بعض.

وفی هذا المضمار تعرّض لضروره رجوع الأمّه إلی الأئمّه فی معرفه حِکَم القرآن وحقائقه ومعارفه، لا معرفه ألفاظه وقراءاته فحسب.

النسخ وأنواعه

وقد اهتمّ بتبیین معانی النسخ والتأویل ووضع النقاط علی الحروف فی تفسیر القرآن بالرأی وتعرّض لأهمیّه نبذ المعانی الاصطلاحیّه، معتمداً علی المعنی اللغویّ لفهم ما ورد من کلمات أهل البیت والقرآن الحکیم.

بحوث عقائدیّه

وقد أشار إلی فوائد مهمّه ذکرها فی ضمن الآیات التی تناسبها، من قبیل مسأله البداء ومعنی تغییر الرأی عند البارئ تعالی، وقد حرص حرصاً شدیداً علی التمسّک باللغه من دون التورّط بالمعانی المصطلحه التی نکست الفحول حین عجزوا عن معالجتها، ولم یبدِّل ولم یأوِّل ظاهر قوله تعالی: «یَمحُوا اللهُ ما یَشاءُ وَیُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الکِتاب(۱)» ولم یرفع الید عن ظاهر الروایات المفسِّره له کقول الصادق:

وَهَل یُمحَی إلَّا مَا کَانَ ثَابِتاً وَهَل یُثبَتُ إلَّا مَا لَم یَکُن. (۲)

وقد أبطل ما جاء به الفلسفه فی هذا الصدد بتسلیط الأضواء علی کلمات فصل الخطاب وهم أئمّه الهدی، ونسبه نشو الرأی إلی علمه تعالی لا کما

۱- الرعد(۱۳)، الآیه ۳۹.

۲- الکافی، ج۱، ص۱۴۷، ح۱ (باب البداء).

ص: ۲۱

توهّم المتکلّفون فی نسبه نشو الجهل، فعقد باباً فی حلّ هذه الشبهه وذکر فیه قول الصادق:

مَن زَعَمَ أنَّ اللهَ یَبدُو لَهُ فِی شَی ءٍ الیَومَ، لَم یَعلَمهُ أمسِ فَابرَءُوا مِنهُ.(۱)

مثبتاً فی ذلک کلّه إنشاء الرأی حقیقه فیما لم یکن من قبل، کما قال موسی بن جعفر:

إنَّ الدُّعَاءَ یَرُدُّ مَا قُدِّرَ وَمَا لَم یُقَدَّر قَالَ قُلتُ: جُعِلتُ فِدَاکَ هَذَا مَا قُدِّرَ قَد عَرَفنَاهُ، أ فَرَأیتَ مَا لَم یُقَدَّر؟ قَالَ: حَتَّی لَا یُقَدَّرَ. (۲)

تحدّی القرآن الکریم

وقد عقد فی الفصل الأخیر من الکتاب باباً تحت عنوان: «فی التحدّی بالقرآن» موضحاً فیه موضوع التحدّی، وأهمیّه التحدّی العلمی والإعجاز فی ذلک ومعناه، وکذلک المراد من حدیث مولانا الرضا:

إنَّ اللهَ تَعَالی بَعَثَ مُحَمَّداً فِی وَقتٍ کَانَ الغَالِبُ عَلی أهلِ عَصرِهِ الخُطَبَ وَالکَلَام، فَأتَاهُم مِن عِندِ اللهِ تَعَالی مِن مَوَاعِظِهِ وَحِکَمِهِ مَا أبطَلَ بِهِ قَولَهُم، وَأثبَتَ بِهِ الحُجَّهَ عَلَیهِم. (۳)

۱- کمال الدین وتمام النعمه، ج۱، ص۷۰؛ بحارالأنوار، ج۴، ص۱۱۱، ح۳۰ (الباب الثالث من أبواب الصفات من کتاب التوحید).

۲- بحارالأنوار، ج۹۰، ص۲۹۷، ح۲۷ (الباب ۱۶ من أبواب الدعاء من کتاب القرآن).

۳- الکافی، ج۱، ص۲۴، ح۲۰؛ بحارالأنوار، ج۱۷، ص۲۱۰، ح۱۵ (الباب الأوّل من أبواب معجزاته من کتاب تاریخ نبیّنا).

ص: ۲۲

میزه هذه الطبعه

الأـثر الحاضـر بین یـدیک هو عباره عن مقـدّمه کتاب مناهـج البیان فی تفسـیر القرآن لآیه الله الملکیّ، وقـد تمّ إعاده ترتیبه من حیث التبویب والعنـاوین وإضـافه بعض المقاطع فی ابتـداء کلّ بحث علی غرار کتاب نگاهی به علوم قرآنی(۱) کما وأنّه قد أُضـیفت بعض العناوین وأُعیدت صیاغه بعض العبارات بُغیه التسهیل.

ولاـ یسـعنی إلّا الشـکر والتقـدیر لمن ساهم فی نشـر هـذا الکتاب من أعضاء مؤسـّسه عالم آل محمّد المعـارفیّه فی تکمیل المصادر وإضافه فهرس المصادر والنصوص والتنضـید وترتیب المتن، وأخصّ بالذکر سـماحه السیّد سجّاد المدرّسیّ وسماحه الشیخ غلام رضا الفاضلیّ وسماحه الشیخ مرتضی الأعدادی الخراسانیّ لما بذلوا من الجهد فی تصحیح الکتاب وتقویم نصّه وتحقیقه.

کمـا وننوّه علی أنّ طبـاعه الکتـاب قـد تمّ علی نفقه فاضل خیرات المرحوم المؤمن الحاج فائق زیـد الکاظمیّ، وسیصرف فی طباعه ونشر کتب أُخری إن شاء الله.

ألتمس فی الختام من الله تعالی أن یتقبّل أعمالنا بقبول حسن، ویجعلها فی میزان حسـناتنا یوم القیامه بشـفاعه سـیّدنا ومولانا الإمام أبی الحسن علیّ بن موسی الرضا علیه آلاف التحیّه والثناء.

الثالث من الربیع الأوّل ۱۴۳۵ ه ق

فاضل حسین الرضویّ

مشهد المقدّسه

افضل القرآن

فضل القرآن ولزوم التدبّر فیه

اشاره

۱- وقد طبع هذا الکتاب مرّتین باهتمام علیّ الملکیّ المیانجِیّ وترجمه الدکتور علیّ نقیّ خدایاری.

ص: ۲۳

ص: ۲۴

ص: ۲۵

قد استفاضت النصوص والأخبار فی فضل القرآن وقراءته والتدبّر فیه والاتّعاظ به، والتمسّک والائتمام بهَدیه والاستضاءه بنوره، لا سیّما عند تراکم أمواج الفتن وتهاجم الشبهات وعروض الفترات؛ وإلیک جمله من هذه النصوص القیّمه:

الف) القرآن

قال الله تعالی:

«کِتَابٌ أنزَلنَاهُ إلَیکَ مُبَارَکٌ لِیَدَّبَّرُوا آیَاتِهِ وَلِیَتَذَکَّرَ أُولُوا الألبَابِ»؛(۱)

«إنَّ هَذَا القُرآنَ یَهدِی لِلَّتِی هِیَ أقوَم »؛ (۲)

«لَو أنزَلنَا هَذَا القُرآنَ عَلَی جَبَلٍ لَرَأیتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشیَهِ اللَّه(۳) .»

والآیات فی هذا الباب کثیره نکتفی بما ذکرناه.

ب) الأحادیث

۱- ص (۳۸)، الآیه ۲۹.

۲- الإسراء (۱۷)، الآیه ۹.

۳- الحشر (۵۹)، الآیه ۲۱.

ص: ۲۶

ورد فی الکافی، عن علیّ بن إبراهیم مسنداً عن السکونیّ، عن أبی عبد اللّه، عن آبائه قال: قال رسول اللّه:

... فَإذَا التَبَسَت عَلَیکُمُ الفِتَنُ، کَقِطَعِ اللَّیلِ المُظلِمِ، فَعَلَیکُم بِالقُرآنِ، فَإنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ومَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، وَمَن جَعَلَهُ أمَامَهُ، قَادَهُ إلَی الجَنَّهِ وَمَن جَعَلَهُ خَلفَهُ، سَاقَهُ إلَی النَّارِ، وَهُوَ الدَّلِیلُ یَدُلُّ عَلَی خَیرِ سَبِیلٍ... فِیهِ مَصَابِیحُ الهُدَی وَمَنَارُ الحِکمَهِ... .(۱)

وفیه، عن عدّه من أصحابنا مسنداً عن إسحاق بن عمّار، عن أبی عبد اللّه قال:

قُلتُ لَهُ: جُعِلتُ فِدَاکَ، إنِّی أحفَظُ القُرآنَ عَلَی ظَهرِ قَلبِی، فَأقرَأُهُ عَلَی ظَهرِ قَلبِی أفضَلُ أو أنظُرُ فِی المُصحَفِ؟ قَالَ: فَقَالَ لِی: بَلِ اقرَأهُ وَانظُر فِی المُصحَفِ فَهُوَ أفضَلُ؛ أمَا عَلِمتَ أنَّ النَّظَرَ فِی المُصحَفِ، عِبَادَهٌ.(۲)

وفی النهج، قال أمیرالمؤمنین:

وَاعلَمُوا أنَّ هَذَا القُرآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِی لایَغُشُّ، وَالهَادِی الَّذِی لَایُضِلُّ، وَالمُحَدِّثُ الَّذِی لَایَکذِبُ، وَمَا جَالَسَ هَذَا القُرآنَ أحَدٌ

۱- الکافی، ج۲، ص۵۹۸، ح۲؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۱۷، ح۱۶ (الباب الأوّل من أبواب فضله وأحکامه وإعجازه من کتاب القرآن).

۲- الکافی، ج۲، ص۶۱۴، ح۵؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۱۹۶، ح۴ (الباب ۲۲ من أبواب فضله وأحکامه وإعجازه من کتاب القرآن).

ص: ۲۷

إلَّا قَامَ عَنهُ بِزِيَادَهٍ أو نُقصَانٍ؛ زِيَادَهٍ فِی هُدًی أو نُقصَانٍ مِن عَمًی. وَاعلَمُوا أنَّهُ لَیسَ عَلَی أحَدٍ بَعدَ القُرآنِ مِن فَاقَهٍ وَلَا لِأحَدٍ قَبلَ القُرآنِ مِن غِنًی، فَاستَشفُوهُ مِن أدوَائِکُم واستَعِینُوا بِهِ عَلَی لَأوَائِکُم، فَإنَّ فِیهِ شِفَاءً مِن أکبَرِ الدَّاءِ؛ وَهُوَ الکُفرُ والنِّفَاقُ وَالغَیُّ وَالضَّلَالُ؛ فَاسألُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إلَیهِ بِحُبِّهِ وَلَا تَسألُوا بِهِ خَلقَهُ، إنَّهُ مَا تَوَجَّهَ العِبَادُ إلَی اللَّهِ تَعَالَی بِمِثلِهِ. وَاعلَمُوا أنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وأنَّهُ مَن شَفَعَ لَهُ القُرآنُ یومَ القِیَامَهِ شُفِّعَ فِیهِ، وَمَن مَحَلَ بِهِ القُرآنُ یومَ القِیَامَهِ صُدِّقَ عَلَیهِ... وَإنَّ اللَّهَ سُبحَانَهُ لَم یَعِظ أحَداً بِمِثلِ هَذَا القُرآنِ، فَإنَّهُ حَبلُ اللَّهِ المَتِینُ وسَبَبُهُ الأمِینُ وَفِیهِ رَبِیعُ القَلبِ وَیَنَابِیعُ العِلمِ، وَمَا لِلقَلبِ جَلَاءٌ غَیرُه... . (۱)

وفی تفسیر العیّاشیّ، عن أبی عبد اللّه عن رسول اللّه قال:

القُرآنُ هُدًی مِنَ الضَّلَالَهِ، وَتِبیَانٌ مِنَ العَمَی، وَاستِقَالَهٌ مِنَ العَثرَهِ، وَنُورٌ مِنَ الظُّلمَهِ، وَضِیَاءٌ مِنَ الأحزَانِ، وَعِصمَهٌ مِنَ الهَلَکَهِ، وَرُشدٌ مِنَ الغَوَایَهِ، وَبَیَانٌ مِنَ الفِتَنِ، وَبَلَاغٌ مِنَ الدُّنیَا إلَی الآخِرَهِ، وَفِیهِ کَمَالُ دِینِکُم، فَهَذِهِ صِفَهُ رَسُولِ اللَّهِ لِلقُرآن؛ ومَا عَدَلَ أحَدٌ عَنِ القُرآنِ إلَّا إلَی النَّارِ. (۲)

۱- نهج البلاغه، الخطبه ۱۷۶، ص ۲۵۱.

۲- تفسیر العیاشیّ، ج۱، ص۵، ح۸؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۲۶، ح۲۸ (الباب الأوّل من أبواب فضله وأحکامه وإعجازه من کتاب القرآن).

ص: ۲۸

وفى العيون، عن البيهقىّ مسنداً عن الرّضا، عن أبيه أنّ رجلاً سأل أبا عبد اللّه: ما بال القرآن لايزداد على النشرِ والدراسه إلّا غضاضه؟ فقال:

لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَم يُنزِلهُ لِزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ، وَلَا لِنَاسٍ دُونَ نَاسٍ، فَهُوَ فِى كُلِّ زَمَانٍ جَدِيدٌ، وَعِندَ كُلِّ قَومٍ غَضٌّ إلَى يَومِ القِيَامَهِ. (۱)

تجلّى الله فى القرآن

ورد فى البحار، عن الصادق أنّه قال:

لَقَد تَجَلَّى اللَّهُ لِخَلقِهِ فِى كَلَامِهِ، وَلَكِنَّهُم لَا يُبصِرُونَ.(۲)

إنّ القرآن الكريم مؤسَّس على الذّكر والتذكره والبرهان ومعنى كونه ذكراً وتذكره وبرهاناً، أنّه يدعو الناس إلى ربّهم الظاهر بذاته. وأنّه أجلّ مكاناً وأرفع مقاماً من أن يحتاج فى إفاده مقاصده ومراميه إلى التشبّث بغيره من العلوم. من هنا فإنّ القرآن أعظم مذكّر وأجلّ هادٍ للغافلين والناسين، يذكّرهم بالله تعالى وبعد ما أعرضوا عنه تعالى يهديهم ويرشدهم كى يرجعوا إليه، فيشملهم الله برحمته وعطائه ليتوبوا وينيبوا إليه.

۱- عيون أخبار الرضا، ج۲، ص۸۷، ح۳۲ (الباب ۳۲)؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۱۵، ح۸ وفيه: (الدرس) بدل (الدراسه).

۲- عوالى اللئالى، ج۴، ص۱۱۶، ح۱۸۱؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۱۰۷، ح۲ (الباب التاسع من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

ص: ۲۹

قال أميرالمؤمنين:

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً بِالحَقِّ؛ لِيُخرِجَ عِبَادَهُ مِن عِبَادَهِ الأوثَانِ إلَى عِبَادَتِهِ، وَمِن طَاعَهِ الشَّيطَانِ إلَى طَاعَتِهِ بِقُرآنٍ قَد بَيَّنَهُ، وَأحكَمَهُ لِيَعلَمَ العِبَادُ رَبَّهُم إذ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعدَ إذ جَحَدُوهُ، وَلِيُثبِتُوهُ بَعدَ إذ أنكَرُوهُ؛ فَتَجَلَّى لَهُم سُبحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِن غَيرِ أن يَكُونُوا رَأوهُ بِمَا أرَاهُم مِن قُدرَتِهِ، وخَوَّفَهُم مِن سَطوَتِهِ. (۱)

القرآن وعصمته الذاتيّه

بما أنّ القرآن معجزه خالده وفرقان والمرجع الباقي الوحيد، المعصوم بذاته فإنّه يكون الحجّه على ذاته بذاته، والفارق بين الحقّ والباطل ، والصّدق والكذب بحجّيته ، والمبيِّن لكلّ ما اختلف فيه الناس في شؤون دينهم ودنياهم. لأنّ الكتاب الذي يميز بين الحقّ والباطل يكون لامحاله حجّه وبرهاناً على نفسه بأنّه الحقّ المبين وأنّه كتاب لا ريب فيه هدىً للمتّقين.

وقد وصفه اللّه تعالى بأنّه: نور وهدايه وذكرى وبيّنات وبصائر وضياء وغيرها من الأوصاف؛ قال تعالى:

تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرقانَ عَلى عَبدِهِ لِيَكُونَ لِلعالَمِينَ نَذِيراً؛ (۲)

يَا أيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَكُم بُرهانٌ مِن رَبِّكُم وأنزَلنَا إلَيكُم نُوراً مُبِيناً(۳) .)

۱- نهج البلاغه، الخطبه ۱۴۷، ص۲۰۴.

۲- الفرقان (۲۵)، الآيه ۱: إنّ معنى الفرقان لدى المؤلّف هو ما يفرق بين الحقّ والباطل وله اجزاء وفِرَق.

۳- النساء (۴)، الآيه ۱۷۴.

ص: ۳۰

إنّ المراد من البرهان بحسب اللّغه هی الحجّه القاطعه والدلیل النوریّ.(۱)

هیمنه القرآن

﴿وَأنزَلنَا إلَیکَ الکِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَینَ یَدَیهِ مِنَ الکِتَابِ وَمُهَیمِناً عَلَیه۲).﴾

الظاهر أنّ معنی کونه مهیمناً علی الکتب التی بین یدیه، هو کونه مراقباً وحافظاً علیها من أن یزاد علیها شیء؛ فما صدّقه القرآن منها فهو الحقّ وما کذّبه فهو الباطل؛ وما لم یصدّقه القرآن من الکتب لم یکن منها.

یقول الإمام زین العابدین فی دعائه عند ختم القرآن:

اللَّهُمَ إنَّکَ أعَنتَنِی عَلَی خَتمِ کِتَابِکَ الَّذِی أنزَلتَهُ نُوراً، وَجَعَلتَهُ مُهَیمِناً عَلَی کُلِ کِتَابٍ أنزَلتَهُ.(۳)

وفی بحارالأنوار، عن رسول اللّه أنّه قال:

إنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ جَعَلَ کِتَابِی المُهَیمِنَ عَلَی کُتُبِهِمُ، النَّاسِخَ لَهَا. (۴)

۲حجّیّه ظواهر القرآن

ظواهر الکتاب

۱- راجع: مجمع البحرین، ج۶، ص۲۱۳؛ تاج العروس من جواهر القاموس، ج۱۸، ص۵۵؛ مفردات الفاظ قرآن، ص۱۲۱.

۲- المائده (۵)، الآیه ۴۸.

۳- الصحیفه السجّادیّه، الدعاء ۴۲، ص۱۷۴.

۴- بحارالأنوار، ج۹، ص۲۹۲، ح۳ (الباب الثانی من أبواب احتجاجات الرسول من کتاب الاحتجاج)؛ الاحتجاج، ج۱، ص ۵۰.

ص: ۳۱

ص: ۳۲

ص: ۳۳

من الواضح أن لا إشكال فى حجّيه محكمات القرآن الكريم وكذلك لا إشكال فى حجّيه ظواهره عند المحقّقين، فإنّ المتسالم عليه فى تفسير القرآن هو الاعتماد على الدلالات اللفظيّه، نصّاً كانت أو ظاهراً؛ فإنّ ظواهر الألفاظ حجّه عند العقلاء فى تبيين مراداتهم وإفهام مقاصدهم ولم يتّخذ الشارع طريقاً خاصّاً ومنهجاً جديداً فى تعاليمه وبلاغاته. ولا فرق فى ذلك بين الكتاب والسنّه. ولا يتنافى ذلك مع ما قرّروه فى علم الأُصول من جواز تخصيص العامّ وتقييد المطلق؛ فعامّ الكتاب ومطلقه يخصّص ويقيّد بالخاصّ والمقيّد من الكتاب والسنّه المعتبره.

تحدّى الرسول بالقرآن

يظهر من مراجعه تاريخ نزول القرآن وابتداء دعوه النبىّ الأعظم مسأله حجّيه الظواهر، حيث أنّ رسول اللّه قام بالدعوه الإلهيّه بهذا القرآن. فهذه دعوته الحقّه إلى قومه من أوّل قيامه إلى آخر عمره الشريف. وأنّه قد تحدّاهم بالقرآن وبارزهم به أشدّ المبارزه. وجدّ المشركون وبذلوا كلّ

ص: ۳۴

الجُهد فی إطفاء نوره وإبطال دعوته، ولم یتیسّر ذلک لهم؛ وقاموا بتکذیبه والمکابره والعناد فی قباله ورموه بالسحر وأنّه أساطیر الأوّلین وقالوا ¬ کما یحدّثنا القرآن عنهم : «لَاتَسمَعُوا لِهذَا القُرآنِ وَالغَوا فِیهِ لَعَلَّکُم تَغلِبُونَ(۱)» فأعجزهم اللّه تعالی بهذا البرهان النوریّ وغلبهم وجعل کلمته هی العلیا وکلمه الّذین کفروا السفلی. ولم یتمکّن المنکرون مع شدّه غیظهم وحرصهم علی المکابره وإبطال نوره، أن یقلّلوا من عظمه القرآن ومجده الباهرشیئاً.

بدیهیّ أنّ قوام هذه المعارضه والمبارزه وهذه الدعوه الحقّه لیس إلّا بالکلام. ولو أنّهم لم یفهموا ما أُلقی إلیهم من الحقائق وما أبطل به عاداتهم الوثنیّه الجاهلیّه لَما کان هناک دعوه ولا مبارزه ولا تعجیز، ولم ینجرّ الأمر إلی بغیهم وعنادهم وقیامهم بالسیف ومبادرتهم إلی القتال وإزهاق النفوس، وإصرارهم علی ذلک کلّه بکلّ ما یملکون.

أنّ القرآن الکریم حجّه بین اللّه سبحانه وبین خلقه؛ وهو حبل ممدود بینه تعالی وبین عباده، عند من عرف لغه القرآن، العربیّه.

إنّ الأئمّه أمروا الناس بالرجوع إلیه والتدبّر والتفکّر فیه، وجعلوه مرجعاً ومعیاراً لصحّه الأخبار وسقمها(۲) وهذا خیر شاهد علی إمکان فهم القرآن، وعلیه یمکن الاتّکال علی ظواهر القرآن والاستفاده منها فی استنباط الأحکام والمعارف.

مقامات القرآن

۱- فصّلت (۴۱)، الآیه ۲۶.

۲- راجع: الکافی، ج۱، ص۶۹، ح۴: قال الإمام الصادق: مَا لَم یُوَافِق مِنَ الحَدِیثِ القُرآنِ فَهُوَ زُخرُفٌ.

ص: ۳۵

لا یخفی أنّه وقع إفراط وتفریط فی تلقّی علوم القرآن، فقد ذهب البعض إلی إنکار حجّیّه ظواهر القرآن، وآخرون إلی الاستقلال فی فهم علومه مطلقاً.

وینبغی النظر والتفریق بین مقامین للقرآن الکریم فی مسأله ظواهر آیاته وأُسلوب تعلیمه:

المقام الأوّل: مقام الدعوه العامّه، والقرآن یخاطب فی هذا المقام عامّه الناس، فیستنیر منه جمیع الناس بمقدار ما آتاهم الله من العلم.

المقام الثانی: مقام الدعوه الخاصّه، المختصّ برسول الله والأئمّه وأمّا بقیّه الناس فلا یمکن لهم الاستفاده من هذا المقام إلّا من خلال التعلّم من أهل الذکر کما ستعرف.

الدعوه العّامه

إنّ القرآن فی مرتبه دعوته العامّه یذکّر الناس ویهدیهم إلی جمیع العلوم الفطریّه التی فطرهم اللّه علیها، من معرفته تعالی ومعرفه توحیده سبحانه. وکذلک یذکّر الناس بآیاته المخلوقه المصنوعه، ویدعوهم إلی التدبّر فیها ومعرفه أسرارها التی تنادی بأعلی صوتها علی وجود الصانع الحکیم.

وحیث إنّ القرآن هدایه وإرشاد إلی جمیع العلوم الفطریّه التی یتمکّن الناس من نیلها وإدراکها، وما ألهمهم اللّه تعالی من فجورهم وتقواهم، فإنّهم یتذکّرون بضیاء المعرفه وشعاع العقل، ویستنیرون بها عند مخاطبه اللّه تعالی إیّاهم بما یعظهم ویرشدهم فیستأدیهم میثاق فطرته، ویثیر فیهم

ص: ۳۶

دفائن العقول، فیأخذهم بالإیمان والإقرار بما وجدوا وعلموا ببداهه عقولهم، من الحقائق والمعارف والمحسّنات والمقبّحات والمنکرات الضروریّه، وبالجمله فإنّه المذکّر للمستقلّات العقلیّه المصطلحه عند الفقهاء علی عرضها العریض؛ وخاصّه الانتهاء والاجتناب من کلّ فاحشه وقبیحه، والقیام بکلّ أمر معروف حسن.

ویبشّرهم سبحانه بحنانه ووفائه لأهل الوفاء له تعالی، من المحسنین والمتّقین، وبما وعدهم من مواهبه الکریمه وعطایاه الهنیئه، ویهدّدهم بانتقامه وسطواته ونقماته علی الظالمین والمتکبّرین والمستکبرین فی الدنیا. ویبیّن لهم ما تؤول إلیه عاقبه أمر المتّقین والمحسنین، والطاغین والظالمین والمستکبرین، فی ضمن القصص والأمثال. ویحذّرهم جلّ مجده، عن إساءه الأدب فی حریمه، وإضاعه حقوقه الحقّه فی السرّ والعلانیّه ویزکّی ویطهّر بذلک ظاهرهم وباطنهم.

والحاصل: أنّ القرآن حجّه لجمیع الناس فی مرحله الدعوه العامّه فیجب التدبّر والاستبصار والاهتداء والاستضاءه والائتمام به، وإلتماس غرائبه وعجائبه. وقد ذکرنا أنّ فی هذه المرتبه من العلوم والحقائق ما یبهر العقول، ولا یمکن تحدیده لسعه أطرافه وانتشار مرامیه، فالقرآن بهذا الإعتبار إمام یقود إلی الجنّه ویهدی للّتی هی أقوم؛ وهو بصائر وذکری، وضیاء ونور، وهدی للمتّقین والمخبتین وأُولی الأبصار، وغیر ذلک من نعوت القرآن الجلیله. وفیه أُمّهات المسائل الأخلاقیّه وتحدید رسوم العبودیّه بأجلی بیان وأنور برهان.

درجات الفهم فی تلقّی الدعوه العامّه

ص: ۳۷

إنّ القرآن الکریم حجّه علی جمیع الناس فی مرتبه الدعوه العامّه، فیلزم علیهم جمیعاً أن ینظروا فیه بدقّه وأن یستنیروا من أنواره ویأتمروا بأوامره وینتهوا عن زواجره ویتعمّقوا فی عجائبه وغرائبه. إنّ هذه المرتبه من علوم القرآن محیّره للعقول ولا یمکن تحدیدها لسعتها، إلّا أنّ الناس یختلفون فی نیل هذه المعارف والحقائق وإدرکها؛ فیهتدون إلیها علی قدر بصیرتهم، ویستنیرون بها علی سعه نور فطرتهم، سیّما بعد ملاحظه تقواهم وقیامهم بالعمل بما یعرفون ویعلمون؛ فیزید اللّه الّذین اهتدوا هدیً ویؤتیهم تقواهم.

وهذا البحث یحتاج إلی بیان أوسع، نکتفی بهذا المقدار.

ورد فی الاحتجاج، فی احتجاج علیّ علی زندیق بآی من القرآن متشابهه، تحتاج إلی التأویل أنّه قال:

... ثُمَّ إنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِکرُهُ لِسَعَهِ رَحمَتِهِ ورَأفَتِهِ بِخَلقِهِ وعِلمِهِ بِمَا یُحدِثُهُ المُبَطِلُونَ مِن تَغییرِ کِتَابِهِ، قَسَّمَ کَلَامَهُ ثَلَاثَهَ أقسَام: فَجَعَلَ قِسماً مِنهُ یَعرِفُهُ العَالِمُ والجَاهِلُ، وقِسماً لَایَعرِفُهُ إلَّا مَن صَفَا ذِهنُهُ، ولَطُفَ حِسُّهُ، وصَحَّ تَمییزُهُ مِمَّن شَرَحَ اللَّهُ صَدرَهُ لِلإسلام، وقِسماً لَایَعرِفُهُ إلَّا اللَّهُ وأُمَنَاؤُهُ والرَّاسِخُونَ فِی العِلمِ؛ وإنَّمَا فَعَلَ اللَّهُ ذَلِکَ لِئَلَّا یَدَّعِیَ أهلُ البَاطِلِ مِنَ المُستَولِینَ عَلَی مِیرَاثِ رَسُولِ اللَّهِ مِن عِلمِ الکِتَابِ، مَا لم یَجعَلِ اللَّهُ لَهُم، ولِیَقُودَهُمُ

ص: ۳۸

الِاضطِرَارُ إلَی الِایتِمَارِ لِمَن وَلَّاهُ أمرَهُم؛ فَاستَکبَرُوا عَن طَاعَتِهِ تَعَزُّزاً وَافتِرَاءاً عَلَی اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَاغتِرَاراً بِکَثرَهِ مَن ظَاهَرَهُم وَعَاوَنَهُم وَعَانَدَ اللَّهَ جَلَّ اسمُهُ وَرَسُولَهُ(۱). ...)

یظهر من کلام الإمام أنّ مرتبه الـدعوه العامّه مع عمومیّتها تنقسم إلی قسـمین: قسم یشترک فیه العالم والجاهل وقسم لا یعرفه إلّا من صفا ذهنه ولطف حسّه. لأنّ مراتب الناس تختلف فی تلقیّ الدعوه العامّه بلحاظ الفهم ودرجات إیمانهم وطهاره نفوسهم وسعه علمهم بمعارف الدین وأصول الأخلاق والتذکّر بالمستقلّات العقلیّه.

أمّا مرتبه الدعوه الخاصّه فإنّ العلم بها ینحصر بالله وأُمنائه الراسخین فی العلم. وأمّا غیرهم فیتعلّمون حلال القرآن وحرامه منهم بمقدار ما أراد الله وسعوا إلیه، ویتمکّنوا بذلک من حمل الکلّیّات علی الجزئیّات وردّ الفروع إلی الأُصول. وفیهم الفقیه والأفقه، حتّی أنّ منهم من لایتمکّن من اسـتنباط الفروع من جوامع الکلم وأُصول العلم وموادّه، بل یکون حاملاً لعـدّه من فتاوی الراسـخین، وهـذا أیضا مقام من الفقاهه وهکذا فإنّ فوق کلّ ذی علم علیم. حتّی قیل: ما نشأ فی الاسلام أفقه من سلمان.(۲)

الدعوه الخاصّه

۱- الاحتجاج، ج۱، ص۲۵۳؛ البرهان فی تفسیر القرآن، ج۵، ص۸۳۸، ح۱.

۲- قال فی معجم رجال الحدیث، ج۸، ص۱۹۴:حکی عن الفضل بن شاذان أنّه قال: ما نشأ فی الإسلام رجل من کافّه النّاس کان أفقه من سلمان الفارسیّ. راجع: رجال الکشّیّ، ج۱، ص۶۸.

ص: ۳۹

إنّ مـا ذکرناه من أنّ القرآن ینقسم إلی مقامین؛ مقام الـدعوه العامّه والـدعوه الخاصّه، أمر لا ریب فیه ولا یحتاج إلی إقامه دلیل عقلیّ أو نقلیّ. وإنّما الکلام فی أنّ القرآن المجیـد، هل تنحصـر علومه ومعارفه وحقائقه بهذه المرتبه العامّه التی یشترک فیه العالم والجاهل کی یکون القرآن شـرعه لکـلّ وارد یردهـا واحـد بعـد واحـد، أو أنّ له مـا عـدا هـذه المرتبه معارف وعلوم وقوانین وعبادات ومکارم وکرائم اختصّ بحملها وفهمها أُولوا الألباب والأبصار؛ وهی أجلّ وأعلی من أن تناله العقول. کیف ؟! وهو الکلام الـذی تکفّل بجمیع التعالیم العالیّه بالنسـبه إلی جمیع الأشخاص فی کلّ عصر ومصر، من الکمالات الربوبیّه والأسماء والصفات، وجمیع العوالم، وشرائعهم وقوانینهم بالنسـبه إلی دنیاهم وعباداتهم وتکاملهم ورُقیّهم إلی أقصـی الکمالات الممکن نیلها، متأبّ ومقـدّس عن التقیّـد بفهم عصـر وقوم. وإنّمـا یفهمون بمقـدار عقولهم ویستضـیئون علی حسب مقـدار أنوارهم لاـ علی حسب أمواج الأـنوار المودعه فیه. فعلم القرآن بجمیع شؤونه وشـعبه الوسـیعه، لایعلمه إلّا اللّه والراسـخون فی العلم. وهم الهادون والمعلّمون لعلوم القرآن، وهم المسؤولون عن تربیه الأُمم والملل فی کلّ عصر وزمان، وعلم القرآن بهذا المعنی خاصّ برسول اللّه فهو المعلّم المکمّل، والهادی المصلح ومن بعده یرث هـذا العلم الخاصّ بمقام الرساله، أوصـیاؤه بعنوان الخلافه والإمامه، فمن ادّعی علم القرآن بهـذا المعنی مع جمیع جوانبه وجوامعه فهو کاذب أو خابط، إذ ما ورث هذا العلم إلّا الخاصّ من ذرّیّه نبیّنا وأمّا غیرهم فما ورثوا منه حرفاً لا قلیلاً ولا کثیراً.

ص: ۴۰

خلاصه الکلام: إنّ مَن علم علوم القرآن فی مرتبه دعوته العامّه فقط، وإن صار واجداً لبعض شرائط الفقاهه، إلّا أنّه لا یصیر بذلک جامعاً لشرائط الإفتاء والقضاء، ولا یکون عالماً بتفصیل علوم القرآن وشرائعه وأحکامه، والعلم بکیفیّه ابتداء خلق العوالم من عالم الغیب والشهاده؛ وکذلک لا یکون عالماً وعارفاً بالمعارف الربوبیّه من توحیده تعالی وعلمه وقدرته وحیاته وغیرها من معانی أسمائه ونعوته سبحانه، وکذلک العلم بعوده الإنسان ورجوعه إلی الآخره بعد انقضاء الدنیا وانحلالها؛ فلابدّ فی جمیع ذلک من الرجوع إلی الرسول الأکرم والتعلّم والأخذ منه.

إذا عرفت ما ذکرنا من وجود مقامین متمایزین فی باب علوم القرآن ومعارفه نقول: لا یجوز خلط مرتبه الدعوه العامّه بمرتبه علومه الخاصّه التی تختصّ بالرسول وأهل بیته. لأنّ الرسول وخلفاءه لا یکونوا مع الناس فی مرتبه واحده، فهو المعلّم السائق والمکمّل الهادی وأنّ قوله تعالی: قُل کَفی بِاللَّهِ شَهیداً بَینی وَبَینَکُم وَمَن عِندَهُ عِلمُ الکِتابِ(۱) أُرید منه الخاصّ. إذ لایکون کلّ من کان له نصیب من علم القرآن فی مرتبه البلاغ والدعوه العامّه، عالماً وشاهداً بجمیع ما أمر الرسول ببلاغه. فلا یتمکّن من الشهاده علی صدق الرسول فی جمیع ما أتی به إلّا من کان عالماً بعلم الکتاب کلّه، ظاهره وباطنه، وجمیع جوانبه ونواحیه. وکذلک المراد من نظائره من الآیات مثل قوله تعالی: وَکَذلِکَ جَعَلناکُم أُمَّهً وَسَطاً

۱- . الرعد (۱۳)، الآیه ۴۳.

ص: ۴۱

لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهيداً(۱))وقوله:فَكَيفَ إذا جِئنا مِن كُلِّ أُمَّهٍ بِشَهيدٍ وَجِئنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهيداً(۲) .)

الجمع بين الروايات

تقدّم أنّ لعلوم القرآن مقامين: مقام مخاطبه عامّه الناس، ومقام يختصّ برسول اللّه ومَن بعده من أهل بيته ورثه علم القرآن. وإنّ الباحثين فى العلوم القرآنيّه حيث لم يفرّقوا بين هذين المقامين اضطربت آراؤهم وكلماتهم فى ذلك؛ فمنهم من قال بالاستقلال فى علوم القرآن مطلقاً ومنهم من قال بعدم حجّيّه ظواهر القرآن. والروايات الوارده فى هذا الباب ناظره إلى المقامين.

فما يرد منها فى الحثّ والترغيب إلى التدبّر والتفكّر فى آيات القرآن الكريم، ناظر إلى المقام الأوّل أى مرتبه الدعوه العامّه كقوله:

فَإذَا التَبَسَت عَلَيكُمُ الفِتَنُ، كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ، فَعَلَيكُم بِالقُرآنِ.(۳)

وما يمنع منها عن الاستقلال بالقرآن وعدم جواز التمسّك به، إنّما هو ناظر إلى المقام الثانى أى العلوم القرآنيّه التى تختصّ برسول اللّه وأولاده المعصومين. كقول أميرالمؤمنين: إيَّاكَ أن تُفَسِّرَ القُرآنَ

۱- البقره (۲)، الآيه ۱۴۳.

۲- النساء (۴)، الآيه ۴۱.

۳- الكافى، ج۲، ص۵۹۸، ح۲؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۱۷، ح۱۶ (الباب الأوّل من أبواب فضله وأحكامه واعجازه من كتاب القرآن).

ص: ۴۲

بِرَأیِکَ، حَتَّی تَفقَهَهُ عَنِ العُلَمَاء(۱). ولو تأمّل متأمّل حقّ التأمّل لعرف أنّه لا یوجد تنازع وتعارض بینها.

القرآن کتاب تعلیمیّ

واضح أنّ سیرته فی زمان حیاته فی نشر العلم، لم تکن إلّا مثل قضیّه إفتاء الفقیه للعوام المقلّده فی الحوادث الجاریّه. ولیس هذا من باب تعلیم علوم القرآن من حیث جمیع جوانبه ونواحیه.

لکن حقیقه الأمر أنّ رسول اللّه قد قام بهذا الأمرالخطیر، وبیّن بیاناً شافیاً، وعلّم القرآن کلّه من حیث جمیع نواحیه وأبعاده، بمایحتاج إلیه الکلّ من المعارف والأحکام إلی انقضاء الدنیا، وما ترک شیئاً من ذلک، وأودعه عند رجل معصوم من أهل بیته، مؤیّداً بروح القدس، وعالماً بالعلم الحقیقیّ المصون المعصوم بذاته؛ وهو علیّ أمیرالمؤمنین الذی عنده میراث العلم والنبوّه وورثه أوصیاؤه المعصومون من بعده صادق بعد صادق، وإنّهم یکنزونه کما یکنز الناس ذهبهم وفضّتهم، وما ضاع عنهم شیء، ولا یسقط عنهم «ألف» ولا «واو». فمن ادّعی علم القرآن جمیعه غیرهم، فإنّما هو مفتر کذّاب.

وقد صرّح الأئمّه من أهل البیت بجمیع ما ذکرناه فی أبواب من

۱- التوحید، ج۱، ص۲۵۴، ح۵؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۱۰۷، ح۲ (الباب العاشر من أبواب فضله وأحکامه وإعجازه من کتاب القرآن).

ص: ۴۳

الروایات المتکاثره فوق التواتر؛ منها الروایه المتواتره عند الفریقین: وهی قوله «إِنِّی تَارِکٌ فِیکُمُ الثَّقَلَین...» الصریحه بأنّ خلافه القرآن والعتره وحجّیّتهما، خلافه اجتماعیّه. ومنها الروایات الوارده فی أنّهم یرثون علم القرآن دون غیرهم.

کما ورد عن الصدوق فی علل الشرایع، عن أبیه ومحمد بن الحسن مسنداً عن أبی زهیر بن شبیب بن أنس، عن بعض أصحابه، عن أبی عبد اللّه قال: کنت عند أبی عبد اللّه... فقال(لأبی حنیفه):

...أنتَ فَقِیهُ أهلِ العِرَاقِ؟ قَالَ: نَعَم. قَالَ: فَبِمَا تُفتِیهِم؟ قَالَ: بِکِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّهِ نَبِیِّهِ. قَالَ: یَا أَبَاحَنِیفَهَ تَعرِفُ کِتَابَ اللَّهِ حَقَّ مَعرِفَتِهِ وَتَعرِفُ النَّاسِخَ والمَنسُوخَ؟ قَالَ: نَعَم. قَالَ: یَا أَبَاحَنِیفَهَ لَقَدِ ادَّعَیتَ عِلماً، وَیلَکَ مَا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِکَ إلَّا عِندَ أهلِ الکِتَابِ الَّذِینَ أُنزِلَ عَلَیهِم، وَیلَکَ وَلَا هُوَ إلَّا عِندَ الخَاصِّ مِن ذُرِّیَّهِ نَبِیِّنَا، وَمَا وَرَّثَکَ اللَّهُ مِن کِتَابِهِ حَرفاً... .(۱)

والأحادیث فی هذا الباب کثیره فمن أرادها، فلیراجع جوامع أحادیث الشیعه.(۲)

التعلیم والتذکیر

۱- علل الشرایع، ج۱، ص۸۹، ح۵ (الباب۸۱)؛ بحارالأنوار، ج۲، ص۲۹۳، ح۱۲ (الباب ۳۴ من أبواب العلم من کتاب العقل والعلم والجهل).

۲- راجع: وسائل الشیعه، ج۲۷، ص۳۵ (الباب السادس من أبواب صفات القاضیّ... من کتاب القضاء)؛ بحارالأنوار، ج۱۰، ص۲۰۵، ح۸ و۹ و ص۲۱۶، ح۱۷ و ص۲۲۰، ح۲۰، ۲۱ و۲۲ (الباب ۱۳ من أبواب احتجاجات أمیرالمؤمنین من الاحتجاج).

ص: ۴۴

ينبغى التفريق بين مقام التعليم ومقام التـذكير والإرشاد. لأنّ الإرشاد عباره عن إيقاظ الفطره، وإثاره دفائن العقول، وتحريك العواطف الروحـانيّه، والأخـذ بمجـامع القلـوب بـأنوار التوحيـد، والتـذكّر بمقـام الربّ، والتـوجّه إلى وجـوب الاتّقـاء، والخضـوع لسـاحه قـدسه، والعكوف فى حضـرته، والإخبات والقنوت بين يـديه، ومـدارج الزهـد ومراتب الإخلاص، والتوكّل والرجاء، والصبر والصدق، والوفاء والإيمـان واليقين، وبـالجمله جميع أُصول الأخلاـق ولطائف المعارف ورسوم العبوديّه، وإنّما يكون ذلك كلّه فى مرتبه الـدعوه العامّه ممّا يمكن نيله للبشر، وبيان الرسول والأئمّه فى هذا الباب لايكون إلّا تذكّراً وإرشاداً.

وأمّـا مقام التعليم أعلى وأجل من أن تبلغه عقول الرجال وفى غايه البعـد عن سـطح أفكارهم. ومن أظهر مصاديق هـذا الباب تفاصـيل الأحكام المودَعه عند الرسول والأئمّه من أهل بيته. وكذلك غير الأحكام من المعارف العاليه مثل بيان الأسـماء والصفات الإلهيّه، وحقيقه العرش والكرسـىّ واللّوح، والكتاب المبين، والأرواح والبرزخ، وتفاصيل عالم الآخره ومصير العباد ومعادهم فإنّهم يلقونها إلى الناس تدريجاً.

فتحصّل أنّ مقام التعليم والهـدايه والدلاله لرسول اللّه وأهل بيته غير مقام التـذكير والإرشاد. فإنّ الثانى، إنّما يكون فى مقام الدعوه العامّه وفى العلوم التى تنالها العقول والأفهام على اختلاف مراتبهم. وأمّا المقام الأوّل

ص: ۴۵

فأكثر موارده لايزيد على التعبّد شيئاً، فلا يكون المتعلّم واجداً له لكون أكثر موارده تحت حُجُب الغيوب مثل الأحكام ومنازل الآخره.

وممّا ذكرنا من لزوم التمايز بين مقام التعليم والتذكير يظهر ضعف النظريّه التى وردت فى الميزان، حيث استظهر وقال:

ومن هنا يظهر أنّ شأن النبىّ فى هذا المقام هو التعليم فحسب. والتعليم إنّما هو هدايه المعلّم الخبير ذهن المتعلّم وإرشاده إلى ما يصعب عليه العلم به والحصول عليه، لا ما يمتنع فهمه من غير تعليم... . (۱)

إنّ القرآن كلام اللّه الذى كلّم به خلقه عن طريق رسوله وقد جرى على لسانه، وليس هو والناس فى تلقّى علومه فى درجه واحده. ولا يعقل استقلال المخاطبين واستغناؤهم عنه فى تحصيل علومه ولا يعقل تنزيله منزله الأفراد العاديين وعزله عن مقام المرجعيّه لعلوم القرآن. ولا يجوز تنزيل شأن القرآن وتحقيره والقول بأنّ علومه ومعارفه ممّا ينالها الكلّ. ولا يعقل أن يقال: إنّ رسول اللّه جمع ما عنده من علوم القرآن للصَحابه وإنّهم فسّروا جميع القرآن للنّاس؛ بل إنّ القرآن بالنسبه إلى تفاصيل علومه الخاصّه يحتاج إلى انضمام بيان الرسول فى عصره وبيان أوصيائه من بعده وأنّ لهما الخلافه الانضماميّه من هذه الجهه. وقد صرَّح الرسول بذلك فى قوله:

إنِّى تَارِكٌ فِيكُم مَا إن تَمَسَّكتُم بِهِ لَن تَضِلُّوا، كِتَابَ اللّهِ

۱- الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص۸۵.

ص: ۴۶

وعِترَتِی أهلَ بَیتِی، فَإنَّهُمَا لَن یَفتَرِقَا حَتَّی یَرِدَا عَلَیَّ الحَوضَ.(۱)

وواضح أنّ خلافه القرآن والعتره وحجیّتهما جمعیّه لا استقلالیّه، فعلی سبیل المثال أنّ القرآن قد صرّح بوجوب الحجّ ولم یبیّن أعمال الحجّ تفصیلاً وأنّ تفسیر وتبیین هذه الأعمال تکون علی عهده الرسول. وقد صرَّحت نصوص القرآن ومحکماته علی وجوب وجود الولیّ المعصوم إلّا أنّه لم یذکر اسمه ومیّزاته الشخصیّه وإنّما عرّفه الرسول بشخصه واسمه. وقد صرّح أیضاً علی وجود الجنّه والنّار وبیّن الرسول التفاصیل المرتبطه بهما، وهکذا فإنّ الشرح والتفسیر لجمیع العلوم القرآنیّه تقع علی عاتق النبیّ أصالهً وعلی أهل بیته وراثهً وإنّ سنّه الفقهاءقدّس اللّه أسرارهم هو الالتزام فی موارد استنباط الأحکام، بالسنن المعتبره. وقد صرّحوا بعدم جواز العمل بالعمومات والمطلقات قبل الفحص عن مخصّصاتها ومقیّداتها، وکذلک الکلام فی غیر باب الأحکام فی العلوم والمعارف التی یختصّ العلم بها برسول اللّه وأولاده المعصومین.

وکذلک صرّحوا بجواز تخصیص عمومات الکتاب بالخبر الواحد الواجد لشرائط العمل، فعلی هذا لا إشکال فی الاستناد علی أخبار الآحاد المعتبره فی تفسیر الآیات الراجعه إلی الأحکام، والإفتاء علی مفادها وبعد الفحص عن القیود والشرائط والیأس عن الظفر بها تکون الآیه حجّه، ویجب العمل علی طبقها.

۱۳الإنزال والتنزیل

الإنزال والتنزیل فی القرآن والحدیث

۱- کمال الدین وتمام النعمه، ج۱، ص۲۳۷، ح۵۴ (الباب۲۲)؛ بحارالأنوار، ج۲۳، ص۱۳۴، ح۷۱ (الباب السابع من أبواب جمل أحوال الأئمه من کتاب الإمامه).

ص: ۴۷

ص: ۴۸

ص: ۴۹

شَهرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنزِلَ فیهِ القُرآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَبَیِّناتٍ مِنَ الهُدَی وَالفُرقان (۱) .)

القرآن هو الکتـاب المُنزَل علی رسول اللّه، ومن أظهر نعوته وشؤونه أنّه کلام اللّه، أوجـده کلامـاً وأظهر فی کلامه جلاله وجماله، وبرّه وقهره وعلـومه، وأعجز بـبراهینه جمیـع المخـالفین والـبراهین، وهـذا هـو الـذی أوجـب الحیره والعجب، أی کیـف أظهر الله هـذه المعارف والعلوم بهذه الحروف فی نظامٍ بدیع وإتقان وإحکام عجیب أبهر العقول ببرهانه.

فهذا الکتاب الذی هو کلام اللّه یسمّی قرآناً؛ والقرآن مصدر من قَرَأَ یَقرَأُ علی فُعلان بمعنی القراءه والتلاوه.(۲) فسمّی الکتاب الکریم المنزل علی رسول اللّه قرآناً باعتبار أنّه مقرُوّ ومتلُوّ وهو من جنس ما یُقرَأ وما

۱- البقره (۲)، الآیه ۱۸۵.

۲- راجع: تاج العروس، ج۱، ص۲۱۸ «مادّه: قرأ».

ص: ۵۰

يُتلى، وهذا من باب إطلاق الكتاب على المكتوب. قال تعالى:

«إنَّ عَلَينا جَمعَهُ وقُرآنَهُ * فَإذا قَرَأناهُ فَاتَّبع قُرآنَه (۱).»

ويسمّى فرقاناً أيضاً باعتبار فرقه وأبعاضه. قال تعالى:

«تَبارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرقانَ عَلى عَبدِهِ لِيَكُونَ لِلعالَمينَ نَذيراً»؛(۲)

«وَبِالحَقِّ أنزَلناهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ وَمَا أرسَلناكَ إلَّا مُبَشِّراً ونَذيراً * وَقُرآناً فَرَقناهُ لِتَقرَأهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكثٍ ونَزَّلناهُ تَنزِيلاً(۳).»

فى معانى الأخبار، عن أبيه مسنداً عن ابن سنان وغيره، عمّن ذكره قال: سألت أبا عبد الله عن القرآن والفرقان، أهما شيئان أو شى ء واحد؟ قال:

القُرآنُ جُملَةُ الكِتَابِ وَالفُرقَانُ المُحكَمُ الوَاجِبُ العَمَلُ بِه.(۴)

وفى تفسير القمّىّ، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن عبد اللّه بن سنان، عن أبى عبد اللّه قال: سألته عن قول اللّه تبارك وتعالى «...هُدىً لِلنَّاسِ وَأنزَلَ الفُرقانَ»؟ (۵)

قَالَ: الفُرقَانُ هُوَ كُلُ أمرٍ مُحكَمٍ، وَالكِتَابُ هُوَ جُملَةُ القُرآنِ الَّذِى يُصَدِّقُهُ مَن كَانَ قَبلَهُ مِنَ الأنبِيَاء.(۶)

۱- القيامه (۷۵)، الآيات ۱۷ ۱۸.

۲- الفرقان (۲۵)، الآيه ۱.

۳- الأسراء (۱۷)، الآيات ۱۰۵ ۱۰۶.

۴- معانى الأخبار، ص۱۸۹، ح۱؛ بحارالأنوار، ج ۸۹، ص۲۸، ح۳۲ (الباب الأوّل من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

۵- آل عمران (۳)، الآيه۴.

۶- تفسير القمّىّ، ج۱، ص۹۶؛ بحارالأنوار، ج ۸۹، ص۱۶، ح۱۳.

ص: ۵۱

وفی العلل، عن الحسین بن یحیی مسنداً عن یزید بن سلام، أنّه سأل رسول اللّه فقال له: لم سمیّ الفرقان فرقاناً؟ قال:

لِأَنَّهُ مُتَفَرِّقُ الآیَاتِ والسُّوَرِ أُنزِلَت فِی غَیرِ الأَلوَاحِ، وغَیرُهُ مِنَ الصُّحُفِ والتَّورَاهُ والإنجِیلُ والزَّبُورُ نَزَلَت کُلُّهَا جُملَةً فِی الألوَاحِ والوَرَق. (۱)

و فی الصحیفه المبارکه السجادیّه فی دعائه عند ختم القرآن قال:

وَفُرقَاناً، فَرَقتَ بِهِ بَینَ حَلَالِکَ وحَرَامِکَ.(۲)

ویسمّی کتاباً أیضاً، والکتاب بمعنی المکتوب؛ وهو بمعنی الجمع کما أنّ القرآن أیضاً قد یجیء بمعنی الجمع.

قال فی لسان العرب:

والکَتب:الجمع.تقول منه: کَتَبتُ البَغله إذا جمعت بین شُفرَیها بحَلقَهٍ أو سَیرٍ...ومنه قیل: کَتَبتُ الکتاب لأنّه یَجمَعُ حَرفاً إلی حَرفٍ. (۳)

فعلی هذا لابدّ أن یکون الفرقان والقرآن والکتاب کلاماً مفرّقاً ومتلوّاً.

ثمّ هاهنا سؤال: لو کان نزول القرآن فی ثلاث وعشرین سنه فما معنی نزوله فی شهر رمضان أو لیله القدر؟

رأی صاحب الکشّاف والمنار

۱- علل الشرائع، ج۲، ص۴۷۰، ح۳۳ (الباب۲۲۲)؛ بحارالأنوار، ج ۹، ص۳۰۴، ح۸ (الباب الثانی من أبواب احتجاجات الرسول من کتاب الاحتجاج).

۲- الصحیفه السجادیّه، الدعاء ۴۲، ص۱۷۶.

۳- . لسان العرب، ج۱، ص۷۰۱.

ص: ۵۲

أجاب الزمخشریّ فی الکشّاف:

ومعنی «أُنزِلَ فیهِ القُرآنُ(۱)» ابتدئ فیه إنزاله؛ وکان ذلک فی لیله القدر.(۲)

وقال صاحب المنار:

وأمّا معنی إنزال القرآن فی رمضان مع أنّ المعروف بالیقین أنّ القرآن نزل منجّماً متفرّقاً فی مـدّه البعثه کلّها، فهو أنّ ابتـداء نزوله کان فی رمضان وذلک فی لیله منه سمّیت لیله القدر... علی أنّ لفظ القرآن یطلق علی هذا الکتاب کلّه ویطلق علی بعضه. (۳)

أقول: أمّا کون المراد من نزوله فی شـهر رمضان، ابتـداء نزوله فیه، ففیه: أنّه لا قرینه فی الکلام علیه، علی أنّه مخالف لما هو المشـهور عنـد الإمـامیّه من أنّ أوّل البعثه ونزول الـوحی علیه، کـان فی الیوم السـابع والعشـرین من رجب. وأمّـا أهل السـنّه فلم یتفقوا علی أمر وتضاربت آرائهم فی المقام والمشهور بینهم کما ذکره السیوطیّ فی الإتقان(۴) أنّ النبیّ بُعث فی شهر ربیع الأوّل.

وأمّا کون المراد منه، نزول بعضه لا مجموعه؛ ففیه: أنّ هـذا المعنی لا اختصاص له بشـهر رمضان، فإنّ النزول بالمعنی الـذی ذکروه لا تخلو منه جمیع الشهور، فأیّ تشریف وتکریم فیه لشهر رمضان؟

نظریّه صاحب المیزان

۱- البقره (۲)، الآیه ۱۸۵.

۲- الکشّاف، ج۱، ص۲۲۷.

۳- المنار، ج۲، ص۱۶۱.

۴- الإتقان فی علوم القرآن، ج۱، ص۵۵.

ص: ۵۳

قال فی المیزان:

والّذی یعطیه التدبّر فی آیات الکتاب أمر آخر، فإنّ الآیات الناطقه بنزول القرآن فی شهر رمضان أو فی لیله منه، إنّما عبّرت عن ذلک بلفظ «الإنزال» الدالّ علی الدفعه دون «التنزیل»... واعتبار الدفعه؛ إمّا بلحاظ اعتبار المجموع فی الکتاب أو البعض النازل منه...، وإمّا لکون الکتاب ذاحقیقه أُخری وراء ما نفهمه بالفهم العادیّ الذی یقضی فیه بالتفریق والتفصیل والانبساط والتدریج، هو المصحّح لکونه واحداً غیر تدریجیّ ونازلاً ـ بالإنزال دون التنزیل. وهذا الاحتمال الثانی هو اللائح من الآیات الکریمه کقوله تعالی: ﴿کِتَابٌ أُحکِمَت آیَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَکِیمٍ خَبِیرٍ(۱)﴾. فإنّ هذا الإحکام مقابل التفصیل، والتفصیل هو جعله فصلاً فصلاً، وقطعه قطعه. فالإحکام کونه بحیث لایتفصّل فیه جزء من جزء ولا ـ یتمیّز بعض من بعض لرجوعه إلی معنی واحد لا ـ أجزاء ولا ـ فصول فیه. والآیه ناطقه بأنّ هذا التفصیل المشاهد فی القرآن إنّما طرأ علیه بعد کونه محکماً غیر مفصّل.

وأوضح... منه قوله تعالی: ﴿وَمَا کانَ هَذَا القُرآنُ أن یُفتَرَی مِن دُونِ اللَّهِ وَلکِن تَصدِیقَ الَّذِی بَینَ یَدَیهِ وَتَفصِیلَ الکِتَابِ لَا رَیبَ فِیهِ مِن رَبِّ العَالَمِینَ﴾... إلی أن قال: ﴿بَل کَذَّبُوا بِمَا لَم یُحِیطُوا بِعِلمِهِ ولَمَّا

۱- هود (۱۱)، الآیه ۱.

ص: ۵۴

يَأتِهِم تَأوِيلُهُ۱)﴾ فإنّ الآيات الشريفه وخاصّه ما فى سوره يونس ظاهره الدلاله على أنّ التفصيل أمر طارٍ على الكتاب فنفس الكتاب شى ء والتفصيل الّذى يعرضه شى ء آخر... .

وأوضح منه قوله تعالى: ﴿حم * وَالكِتابِ المُبينِ * إنَّا جَعَلناهُ قُرآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ * وَإنَّهُ فِى أُمِّ الكِتَابِ لَدَينَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ۲)﴾، فإنّه ظاهر فى أنّ هناك كتاباً مبيناً عرض عليه جعله مقرّواً عربيّاً، وإنّما أُلبس لباس القراءه والعربيّه ليعقله الناس وإلّا فإنّه وهو فى أُمّ الكتاب عند اللّه عَلِيٌّ لا يصعد إليه العقول، حكيم لايوجد فيه فصل وفصل. وفى الآيه تعريف للكتاب المبين، وأنّه أصل القرآن العربىّ المبين. وفى هذا المساق أيضاً قوله تعالى: ﴿...إنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ * فى كِتَابٍ مَكنُونٍ * لَايَمَسُّهُ إلَّا المُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾ ۳)فإنّه ظاهر فى أنّ للقرآن موقعاً هو فى الكتاب المكنون لايمسّه هناك أحد إلّا المطهّرون من عباد اللّه وأنّ التنزيل بعده، وأمّا قبل التنزيل فله موقع فى كتاب مكنون عن الأغيار؛ وهو الذى عبّر عنه فى آيات الزخرف بأُمِّ الكتاب وفى سوره البروج باللّوح المحفوظ... .

ثمّ إنّ هذا المعنى أعنى كون القرآن فى مرتبه التنزيل بالنسبه إلى الكتاب المبين ونحن نسمّيه بحقيقه الكتاب بمنزله اللّباس من

۱- يونس (۱۰)، الآيات ۳۷ و۳۹.

۲- الزخرف (۴۳)، الآيات ۱ ۴.

۳- الواقعه (۵۶)، الآيات ۷۷ ۸۰.

ص: ۵۵

المتلبّس، وبمنزله المثال من الحقیقه، وبمنزله المثل من الغرض المقصود بالکلام؛ وهو المصحّح لأن یطلق القرآن أحیاناً علی أصل الکتاب... وهذا الذی ذکرناه هو الموجب لأن یحمل قوله: «شَهرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنزِلَ فیهِ القُرآن(۱)»، وقوله: «إنَّا أنزَلناهُ فی لَیلَهٍ مُبارَکَهٍ(۲)»، وقوله: «إنَّا أنزَلناهُ فی لَیلَهِ القَدرِ(۳)»، علی إنزال حقیقه الکتاب، والکتاب المبین إلی قلب رسول اللّه دفعه کما أنزل القرآن المفصّل علی قلبه تدریجاً فی مده الدعوه النبویّه...فهذا ما یهدی إلیه التدبّر ویدلّ علیه الآیات. نعم، أرباب الحدیث، والغالب من المتکلّمین والحسّیّون من باحثی هذا العصر لمّا انکروا أصاله ما وراء المادّه المحسوسه، اضطرّوا إلی حمل هذه الآیات...علی أقسام الاستعاره والمجاز، فعاد بذلک القرآن شعراً منثوراً.(۴)

تحلیل ونقد

حاصل کلامه أنّ القرآن فی مرتبه تجرّده عن کِسوَهِ الموادّ والألفاظ، لا تفرّق ولا تبعّض ولا تفصیل فیه؛ وهو الذی ورد علی قلب الرسول دفعه فعلم به حقیقه القرآن ثمّ بعد تنزّله علی عالم الألفاظ برز بصوره الألفاظ

۱- البقره (۲)، الآیه ۱۸۵.

۲- الدخان (۴۴)، الآیه ۳.

۳- القدر (۹۷)، الآیه ۱.

۴- المیزان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص ۱۴ ۱۹.

ص: ۵۶

والحروف؛ فالنزول الدفعیّ فی شهر رمضان، فی لیله القدر هو نزول حقیقه الکتاب، والکتاب المبین علی قلب رسول اللّه. والنزول التدریجیّ هو نزوله نجوماً وتدریجاً من بدء بعثته إلی حین دعوته.

هذا الذی ذکره تفسیر بالرأی لا شاهد علیه ویظهر وهنه بما یلی :

أوّلاً: إنّ القرآن قبل تلبّسه بکسوه الألفاظ لا یسمّی قرآناً ولا فرقاناً ولا کتاباً ولا کلاماً، لأنّ القرآن کما ذکرنا یطلق علی مجموع المقروّ والمتلوّ.

ثانیاً: ما ذکره من أنّ لفظ «الإنزال» یدلّ علی النزول الدفعیّ ولفظ التنزیل علی النزول التدریجیّ لا شاهد علیه لأنّه:

۱ لا دلیل علی ذلک فی اللغه، لا من حیث المادّه ولا من الهیئه.

قال فی لسان العرب:

و«تَنَزَّلَهُ» و«أنزَلَهُ» و«نَزَّلَهُ» بمعنی واحد، قال سیبویه:وکان أبو عمرو یفرّق بین «نَزَّلتُ» وَ«أنزَلتُ» ولم یذکر وجه الفرق. قال أبوالحسن: لا فرق عندی بین «نَزَّلتُ» و«أنزَلتُ» إلّا صیغه التکثیر فی نزّلت فی قراءه ابن مسعود. وأنزل الملائکه تنزیلًا، أنزل کنزّل.(۱)

ورد فی تاج العروس:

و«نَزَّلَهُ تَنزِیلًا» و«أنزَلَهُ إنزَالًا» ومُنزَلًا کَمَجمَل و«إستَنزَلَهُ»، بمعنی واحدٍ.(۲)

۱- لسان العرب، ج۱۱، ص۶۵۶ .

۲- تاج العروس، ج۱۵، ص۷۲۸.

ص: ۵۷

قال صاحب المصباح المنیر:

و«أنزَلتُهُ» و«نَزَّلتُهُ» و«استَنزَلتُهُ» بمعنی «أنزَلتُهُ».(۱)

وفی الصحیفه المبارکه السجادیّه فی دعائه عند ختم القرآن قال:

وَوَحیاً أنزَلتَهُ عَلَی نَبِیِّکَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُکَ عَلَیهِ وَآلِهِ تَنزِیلاً... .(۲)

۲ إنّ استعمال الإنزال فی موارد التدریج غیر عزیز فی القرآن الکریم.قال تعالی:

«وَإِذَا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَل نَتَّبِعُ مَا ألفَینَا عَلَیهِ آبَاءَنَا»؛(۳)

«لَو أنزَلنَا هَذَا القُرآنَ عَلَی جَبَلٍ لَرَأیتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشیَهِ اللَّه»؛(۴)

«وَلَقَد أنزَلنَا إلَیکَ آیَاتٍ بَیِّنَاتٍ»؛(۵)

«وَهُوَ الَّذِی أنزَلَ إلَیکُمُ الکِتابَ مُفَصَّلاً(۶).»

لقد عبّر القرآن فی الآیه الأخیره عن النزول التفصیلیّ بالإنزال مع أنّ صاحب المیزان یؤکّد فی کلامه علی التعبیر عن النزول التفصیلیّ بالتنزیل لا الإنزال.

۱- المصباح المنیر، ج۲، ص۶۰۱.

۲- الصحیفه السجادیّه، الدعاء ۴۲، ص۱۷۶.

۳- البقره (۲)، الآیه ۱۷۰.

۴- الحشر(۵۹)، الآیه ۲۱.

۵- البقره (۲)، الآیه ۹۹.

۶- الأنعام (۶)، الآیه ۱۱۴.

ص: ۵۸

فمواضع استعمال الإنزال فی مرتبه التدریج کثیره واکتفینا بما ذکرنا من الآیات، فیجب علی الباحث الخبیر، التأمّل والفحص والتدبّر فیها.

وأمّا استعمال لفظ التنزیل فی النزول الدفعیّ فیمکن استفاده ذلک من الإطلاق فی کثیر من الموارد.قال الله تعالی:

﴿إِنَّ وَلِیِّیَ اللَّهُ الَّذِی نَزَّلَ الکِتَابَ وهُوَ یَتَوَلَّی الصَّالِحِینَ﴾؛(۱)

﴿الم * تَنزِیلُ الکِتَابِ لا رَیبَ فیهِ مِن رَبِّ العالَمِینَ﴾؛(۲)

﴿تَنزِیلُ الکِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِیزِ الحَکِیمِ﴾.(۳)

ثالثاً: إنّ استشهاده بقوله تعالی: ﴿کِتَابٌ أُحکِمَت آیَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَکِیمٍ خَبِیرٍ﴾(۴)، بأنّ مرتبه الإحکام هی مرتبه الحقیقه، لا فصل ولا جزء للقرآن فی هذه المرتبه، وأنّ مرتبه التفصیل مرتبه دون هذه المرتبه عارضه علیه؛ ففیه: أنّه لا دلاله فی لفظ الإحکام والتفصیل علی هذا المعنی، وبأیّ عنایه یستظهر منه أنّ مرتبه الإحکام مرتبه من مراتب القرآن بالمعنی الذی ذکره؟ فالإحکام والتفصیل من نعوت الدلاله فی الکلام والألفاظ، لا من نعوت الوجود العینیّ بما هو موجود عینیّ. وبعباره أُخری، معنی الإحکام فی الألفاظ والکلام هو کونه لا تشابه فیه ولا تناقض ولا خلل ولا نقص، والتفصیل هو کون الکلام لا إجمال فیه ولا إبهام فیکون مبیّناً ومشروحاً.

۱- الأعراف (۷)، الآیه ۱۹۶.

۲- السجده (۳۲)، الآیات ۱ ۲.

۳- الزمر (۳۹)، الآیه ۱.

۴- هود (۱۱)، الآیه ۱.

ص: ۵۹

قال فی الجوامع:

«أُحكِمَت آيَاتُهُ » نظّمت نظماً محكماً لا نقض فيه ولا خلل، كالبناء المحكم... « ثُمَّ فُصِّلَت»، كما تفصّل القلائد بدلائل التوحيد والمواعظ والأحكام... . معنى «ثمّ» التراخی فی الحال، لا فی الوقت كما تقول: هی محكمه أحسن الإحكام ثمّ مفصّله أحسن التفصيل... «مِن لَدُن حَكِيمٍ» أحكمها و«خَبِيرٍ»، عالم فصّلها، أی بيّنها وشرحها.(۱)

ويستفاد ذلك أيضاً من قوله تعالی: «وَ لَقَد جِئنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلناهُ عَلَی عِلمٍ هُدیً وَرَحمَهً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ۲)» وكذا من توصيف القرآن نفسه، بأنّه حكيم أی ذا حكمه وعلم فی قوله تعالی: «يس * وَالقُرآنِ الحَكِيمِ۳).»

فالمحكم ما يقابل المتشابه لا المفصّل؛ ولا إشكال فی أن يكون القرآن فی مرحله محكماً (من دون خلل ونقص وتشابه وتناقض) وفی مرحله مفصّلاً.

رابعاً: إنّ استشهاده بقوله تعالی: «وَمَا كَانَ هَـذَا القُرآنُ أن يُفتَرَی مِن دُونِ اللَّهِ وَلكِن تَصدِيقَ الَّذِی بَينَ يَدَيهِ وَتَفصِيلَ الكِتَابِ لَا رَيبَ فِيهِ مِن رَبِّ العَالَمِينَ۴)» بأنّ الآيه ظاهره فی أنّ تفصيل الكتاب أمر طارئ عليه؛ ففيه:

إنّ الله سبحانه وتعالی قد وصف القرآن فی صدر الآيه بهذه التوصيفات:

۱- جوامع الجامع، ج۲، ص۱۳۴.

۲- الأعراف (۷)، الآيه ۵۲.

۳- يس (۳۶)، الآيه ۱ ۲.

۴- يونس (۱۰)، الآيه ۳۷.

ص: ۶۰

۱. أنّه تصديق الذى بين يديه.

۲. أنّه تفصيل الكتاب.

۳. أنّه لا ريب فيه.

۴. أنّه من ربّ العالمين.

وحينئذ كيف يجوز التفكيك بين هذه النعوت؟ وكيف يقال: إنّ وصف «مُصَدِّقاً» وصف القرآن وأمّا «تَفصِيلُ الكِتَاب» فأنّه أمر عارض عليه. حيث إنّه على هذا يجب أن يقال: إنّ كونه مصدّقاً، وكونه تفصيلَ الكتاب، وكونه لا ريب فيه، وكونه من ربّ العالمين، كلّها أُمور طارئه على الكتاب.

خامساً: إنّ استشهاده بقوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَكنُونٍ * لَايَمَسُّهُ إلَّا المُطَهَّرُونَ * تَنزيلٌ مِن رَبِّ العَالَمِينَ(۱)»؛ ففيه: أنّ «فِى كِتَابٍ مَكنُونٍ» صفه للقرآن، والكتاب بمعنى المكتوب، والمكنون بمعنى المستور. وفيه تصريح بأنّ المراد من الكتاب المكنون فى المقام ليس هو القرآن كما أنّ فى غيرهذا المورد قد أُطلق الكتاب على غير القرآن كثيراً.

۱- الواقعه (۵۶)، الآيات ۷۷ ۸۰.

ص: ۶۱

ویحتمل أن یکون خبراً ثانیاً ل«إنّ». والشاهد القطعیّ علی أنّه نعت للقرآن، قوله تعالی: ﴿تَنزِیلٌ مِن رَبِّ العَالَمِینَ﴾ فإنّ التنزیل صفه للقرآن بلاریب، ولا معنی لکون التنزیل صفه ونعتاً للکتاب المکنون.

فالقرآن الکریم غیر الکتاب المکنون ولیس بمرتبه من مراتب الکتاب المبین کما زعمه.

ویحتمل أن یکون المراد من الکتاب المکنون فی المقام صحیفه نوریّه، أی العلم المفاض علی عدّه من أولیاء اللّه الکرام من الملائکه المقرّبین والأنبیاء والرسل والصدّیقین﴾.وإنّ المراد من أنّ القرآن فی مرتبه التلاوه والقرائه فی هذا الکتاب المکنون کونه معلوماً بهذا العلم عند حملته، لا أنّ القرآن المقروء والمتلوّ له نوع من الثبوت التجردیّ فی اللوح، فهؤلاء الحَمَله الکرام یعلمون القرآن ویحصونه بحقیقه العلم والإحصاء ویشهدون أنّه حقّ لا ریب فیه کما فی قوله تعالی: ﴿وَکُلَّ شَیءٍ أحصَینَاهُ فِی إمَامٍ مُبِینٍ(۱).﴾

إنّ قوله ﴿لَایَمَسُّهُ إلَّا المُطَهَّرُونَ(۲)﴾ هو الوصف الثالث للقرآن الکریم. والمراد من المسّ هو المسّ الظاهریّ بین الأجسام. ولفظه «لَمَسَ» و«مَسَّ» لم تستعمل فی معنی الإدارک وبالأخصّ إدارک الحقائق النوریّه والغیبیّه فی اللغه فضلاً عن القاموس القرآنیّ.(۳) فالمراد من المسّ فی التعابیر القرآنیه، هو المسّ للأجسام لا غیرکما قال تعالی:

﴿وَإن طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أن تَمَسُّوهُنَّ﴾؛(۴)

﴿قَالَت أنَّی یَکُونُ لِی غُلامٌ ولَم یَمسَسنِی بَشَرٌ(۵).﴾

۱- یس (۳۶)، الآیه ۱۲. لمزید من الاطّلاع علی معنی الکتاب المکنون والمبین والإمام المبین تفصیلاً، راجع کتاب توحید الإمامیّه، الفصل العاشر، ص۲۸۷.

۲- الواقعه (۵۶)، الآیه ۷۹.

۳- راجع: لسان العرب، ج۶، ص۲۱۷؛ الصحاح، ج۴، ص۹۷۸؛ معجم مقاییس اللغه، ج۵، ص۲۷۱.

۴- البقره (۲)، الآیه ۲۳۷.

۵- مریم (۱۹)، الآیه ۲۰.

ص: ۶۲

وغایه ما یمکن أن یقال، أنّ «المسّ» استعمل فی خصوص التلاقی بالنّار وفی العذاب والبأساء والضرّاء؛ کما ورد فی قوله تعالی:

«ذُوقُوا مَسَّ سَقَر»؛(۱)

«وَإذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَریضٍ»؛(۲)

«وَلَو کُنتُ أعلَمُ الغَیبَ لَأستَکثَرتُ مِنَ الخَیرِ وَمَا مَسَّنِیَ السُّوء(۳) .»

من هنا فإنّ قوله: «لَا یَمَسُّهُ إلَّا المُطَهَّرُونَ» جمله منفیّه خبریّه أُرید منها الإنشاء، لأنّ هذا الأُسلوب أوضح فی بیان المنع والتحریم. وعلیه فإنّ المسّ الظاهریّ للقرآن الکریم حرامٌ علی من لم یکن مطهَّراً؛ قال الإمام موسی الکاظم:

المُصحَفُ، لَا تَمَسَّهُ عَلَی غَیرِ طُهرٍ وَلَا جُنُباً وَلَا تَمَسَّ خَطَّهُ وَلَا تُعَلِّقهُ إنَّ اللَّهَ تَعَالَی یَقُولُ: «لا یَمَسُّهُ إلَّا المُطَهَّرُونَ(۵)(۴) . »

وقال فی مجمع البیان:

قیل: المطهّرون من الأحداث والجنابات، وقالوا: لا یجوز للجنب والحائض والمحدث مسّ المصحف عن محمّد بن علیّ الباقر...

۱- القمر (۵۴)، الآیه ۴۸.

۲- فصّلت (۴۱)، الآیه ۵۱.

۳- لأعراف (۷)، الآیه ۱۸۸.

۴- الواقعه (۵۶)، الآیه ۷۹.

۵- الاستبصار، ج۱، ص۱۱۴، ح۳ [۳۷۸] ؛ تفسیر کنز الدقائق، ج۱۳، ص۵۳.

ص: ۶۳

وعندنا أنّ الضمير يعود إلى القرآن؛ فلا يجوز لغير الطاهر مسّ كتابه القرآن.(۱)

الجمع بين النزول الدفعيّ والتدريجيّ

ويمكن أن يقال فى الجمع بين النزول الدفعيّ والتدريجيّ: إنّ القرآن نزل بمجموعه إلى البيت المعمور ثمّ نزل على رسول اللّه تدريجاً فى طول ثلاث وعشرين سنه.

ورد فى الكافى، عن علىّ بن إبراهيم مسنداً عن حفص بن غياث، عن أبى عبد اللّه قال: سألته عن قول اللّه عزو جل: شَهرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ القُرآنُ؛(۲) وإنّما أُنزل فى عشرين سنه بين أوّله وآخره؟ فقال أبوعبد اللّه:

نَزَلَ القُرآنُ جُملَهً وَاحِدَهً فِى شَهرِ رَمَضَانَ إلَى البَيتِ المَعمُورِ. ثُمَّ نَزَلَ فِى طُولِ عِشرِينَ سَنَهً. ثُمَّ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ: نَزَلَت صُحُفُ إبرَاهِيمَ فِى أوَّلِ لَيلَهٍ مِن شَهرِ رَمَضَانَ وأُنزِلَتِ التَّورَاهُ لِستٍّ مَضَينَ مِن شَهرِ رَمَضَانَ وَأُنزِلَ الإنجِيلُ لِثَلَاثَ عَشرَهَ لَيلَهً خَلَت مِن شَهرِ رَمَضَانَ وَأُنزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانِيَهَ عَشَرَ خَلَونَ مِن شَهرِ رَمَضَانَ وَأُنزِلَ القُرآنُ فِى ثَلَاثٍ وَعِشرِينَ مِن شَهرِ رَمَضَانَ.(۳)

۱- مجمع البيان، ج۹، ص۳۴۱.

۲- البقره (۲)، الآيه ۱۸۵.

۳- الكافى، ج۲، ص۶۲۸، ح۶ ؛ البرهان فى تفسير القرآن، ج۱، ص۳۹۰.

ص: ۶۴

الظاهر من نزوله إلی: «البیت المعمور»، نزوله علی مَن کان مِن أُمناء الوحی وخزّان العلوم وحفظته.

کما ورد فی الصحیفه المبارکه السجادیّه فی دعائه لحمله العرش وملائکه اللّه المقرّبین أنّه قال:

وَالطَّائِفِینَ بِالبَیتِ المَعمُور.(۱)

فحدیث حفص بن غیاث وإن کان خبراً واحداً لایمکن الأخذ به علی نحو الجزم إلّا أنّ ردَّه مشکل أیضاً لعدم استحاله مفاده عقلاً وأنّه کاف فی دفع التنازع القطعیّ بین نزول القرآن منجّماً وتدریجاً وبین نزوله بمجموعه فی شهررمضان فی لیله القدر، فیکون التعارض احتمالیّاً لا قطعیّاً.

۱۴المحکم والمتشابه

المحکم والمتشابه فی القرآن والحدیث

۱- الصحیفه السجادیّه، الدعاء الثالث، ص ۴۰.

ص: ۶۵

ص: ۶۶

ص: ۶۷

قال الله تعالی:

﴿هُوَ الَّذِی أنزَلَ عَلَیکَ الکِتابَ مِنهُ آیاتٌ مُحکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الکِتَابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأمَّا الَّذینَ فی قُلُوبِهِم زَیغٌ فَیَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ ابتِغَاءَ الفِتنَهِ وَابتِغَاءَ تَأوِیلِهِ وَمَا یَعلَمُ تَأوِیلَهُ إلَّا اللَّهُ والرَّاسِخُونَ فِی العِلمِ یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ کُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنا وَمَا یَذَّکَّرُ إلَّا أُولُوا الألبَابِ(۱).﴾

إنّ الإحکام والتشابه من نعوت الألفاظ والدلالات، لا من نعوت المعانی والمرادات. والمحکم حیث إنّه لا خلل فی دلالته علی المراد، یجب اتّباعه والتدیّن بمفاده، ویجب تحکیمه علی جمیع الشؤون الدینیّه وردّ جمیع الأقاویل والأنظار المبتدعه وإرجاعها إلیه. ویجب تحکیمه علی جمیع المتشابهات الوارده فی الکتاب والسنّه علی تفصیل یأتی إن شاء اللّه .

۱- آل عمران (۳)، الآیه ۷.

ص: ۶۸

ومن البـدیهی أنّ تقسـیم آیـات الکتـاب إلی المحکم والمتشـابه، إنّما هو بلحاظ وجوب الأخـذ والاتّباع وتحریمهما، فلا محاله یتوجّه التقسیم إلی الألفاظ الهادیّه إلی المرادات والمعانی، ومع قطع النظر عنه لا یعقل وجوب الاتّباع وتحریمه.

والتشابه هو أن یکون للفظ وجوه متعـدّده أو وجهان لم یعلم ولم یتعیّن واحـد منها فی مقام الإفهام والتفهیم، وتعیین واحد منها یحتاج إلی الـدلیل. والتشـابه والتردیـد بین الوجوه إنّما هو راجع إلی المعانی الترکیبیّه لا الإفردایّه، فإنّ المفردات فی مثل قوله تعالی: ﴿وُجُوهٌ یَومَئِذٍ ناضِرَهٌ *(۱) إلی رَبِّها ناظِرَهٌ﴾، ظاهره فی معانیها الإفرادیّه إلّا أنّ القرینه قائمه علی عـدم إراده تلک الظواهر. فمعنی النظر والربّ مثلاً ـ لا إبهام فی دلالتهما علی معانیهما لغه، ولولا قیام القرینه العقلیّه علی اسـتحاله النسـبه وکـذلک مخالفه محکمات الکتاب والسـنّه علی اسـتحالتها، لما کان فی دلاله الجمله علی مفادها، تردیـد وإشـکال. فالمتشابه ما یقابل المحکم من حیث عدم حکایه الألفاظ عن معانیها ومراداتها ولابدّ فی تعیین ما أُرید من اللفظ من دلیل خاصّ.

وما ینبغی الالتفات إلیه فی بحث المحکم والمتشابه هو أنّه لیس المراد من إرجاع المتشابه إلی المحکم کما أکّـدت به الروایات کثیراً تفسـیر المتشـابه وتعیین المراد ورفع التشـابه الموجود فیه، بل إنّ الآیات المحکمه ترفع الظهور الإبتـدائیّ من الآیات المتشابهه فقط ولا تبیّن معناها والمراد منها.

۱- لقیامه (۷۵)، الآیتان ۲۲ ۲۳.

ص: ۶۹

ولا یخفی أنّ الهدف الأصلیّ من تقسیم الآیات إلی المحکم والمتشابه، هو التمهید لتقسیم الناس فی مقام العمل بالقرآن إلی الزائغین والراسخین، فالآخذین والتابعین للمتشابه، یریدون إضلال الناس وإغوائهم وأمّا الآخذین بالمحکم والراسخین فیه، فإنّ سنّتهم السکوت عن المتشابه وإرجاع علمه إلی الله والإیمان به علی ما هو علیه فی الواقع.

ومن خلال دراسه الروایات الوارده فی هذا البحث بنحو دقیق نصل إلی هاتین النتیجتین:

۱. وجوب الإیمان والعمل بالآیات المحکمه ووجوب الإیمان بالآیات المتشابهه وحرمه العمل بها.

۲. إنّ الوصول إلی معنی الآیات المتشابهه، لا یمکن إلّا عبر مجاری الوحی وأنّ العلم بها منحصر بالراسخین بالعلم أی النبیّ وأهل بیته ویجب علی الجمیع الرجوع إلی بیاناتهم الوارده فی تفسیر هذه الآیات وتوضیحها.

ورد فی الکافی، مسنداً عن أبی جعفر قال:

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِی لَیلَهِ القَدرِ: فِیهَا یُفرَقُ کُلُّ أمرٍ حَکِیمٍ(۱) یَقُولُ: یَنزِلُ فِیهَا کُلُ أمرٍ حَکِیمٍ والمُحکَمُ لَیسَ بِشَیئَینِ إنَّمَا هُوَ شَی ءٌ وَاحِد... . (۲)

۱- الدخان (۴۴)، الآیه ۴.

۲- الکافی، ج۱، ص۲۴۸، ح۳؛ بحارالأنوار، ج۲۵، ص۷۹، ح۶۶ (الباب الثالث من أبواب خلقهم وطینتهم وأرواحهم من کتاب الإمامه).

ص: ۷۰

إنّ مراده من تفسیر الحکیم بالمحکم، هو أنّ علومهم التی أُفیضت علیهم من اللّه تعالی مصونه بالذات عن الخطأ والزلل، ولا تقبل الاختلاف والتناقض. وکلّ علم لا یکون فیه اختلاف ولا تناقض فهو آیه الإمامه وبرهان الخلافه. ومن الممکن جدّاً أن یکون مراده من المحکم، الآیه المحکمه؛ فإنّ مفاد الآیه المحکمه عند اللّه الذی أنزلها بعلمه وعند الرسول وعند أوصیائه الحفظه واحد.

وفی معانی الأخبار، عن أبیه مسنداً عن إبن سنان وغیره، عمّن ذکره قال: سألت أبا عبد اللّه عنِ القرآن والفرقان: أ هما شیئان أو شی ء واحد؟ قال: فقال:

القُرآنُ جُملَهُ الکِتَابِ، وَالفُرقَانُ المُحکَمُ الوَاجِبُ العَمَلُ بِه.(۱)

وفی تفسیر العیّاشیّ، عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه یقول:

إنَّ القُرآنَ مُحکَمٌ ومُتَشَابِهٌ، فَأمَّا المُحکَمُ فَنُؤمِنُ بِهِ وَنَعمَلُ بِهِ وَنَدِینُ بِهِ وَأمَّا المُتَشَابِهُ فَنُؤمِنُ بِهِ وَلَا نَعمَلُ بِهِ وَهُوَ قَولُ اللّه: فَأمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِم زَیغٌ فَیَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ...۳)(۲).)

هذه الروایه الشریفه تدلّ علی حرمه العمل بالمتشابه ووجوب الإیمان به

۱- معانی الأخبار، ص ۱۹۰؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۲۸، ح۳۲ (الباب الأوّل من أبواب فضله وأحکامه وإعجازه من کتاب القرآن).

۲- آل عمران (۳)، الآیه ۷.

۳- تفسیر العیاشیّ، ج۱، ص۱۶۲، ح۴؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۳۸۲، ح۱۶ (الباب ۱۲۷ من أبواب فضائل سور القرآن من کتاب القرآن).

ص: ۷۱

کما هو. وهی صریحه فی إبطال القول برفع التشابه عن المتشابه بقرینه المحکمات؛ (۱)إذ المقام، مقام بیان؛ فالسکوت عن بیان رفع التشابه والتصریح بحرمه العمل بالمتشابه، کاف فی عدم قرینیّه المحکمات للمتشابهات، بل یجب الإیمان بالمتشابه علی ما هو علیه والعمل بالمحکمات، حتّی یأتی دلیل خارجیّ فی تفسیره.

وفی الکافی، عن علیّ بن محمّد مسنداً عن محمّد بن سالم، عن أبی جعفر قال:

إنَّ [أُ] نَاساً تَکَلَّمُوا فِی هَذَا القُرآنِ بِغَیرِ عِلمٍ وذَلِکَ أنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَتَعَالَی یَقُول: هُوَ الَّذِی أنزَلَ عَلَیکَ الکِتَابَ مِنهُ آیَاتٌ مُحکَمَاتٌ... فَالمَنسُوخَاتُ مِنَ المُتَشَابِهَاتِ والمُحکَمَاتُ مِنَ النَّاسِخَات... .(۲)

الظاهر أنّ کون المنسوخات من المتشابهات، إنّما هو بلحاظ حرمه العمل بها.

وفی تفسیر القمّیّ، عن محمّد بن أحمد بن ثابت مسنداً عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه قال: سمعته یقول:

إنَّ القُرآنَ زَاجِرٌوَآمِرٌ، یَأمُرُ بِالجَنَّهِ وَیَزجُرُ عَنِ النَّارِ، وَفِیهِ مُحکَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، فَأمَّا المُحکَمُ فَیُؤمَنُ بِهِ وَیُعمَلُ بِهِ ویُدَبَّرُ بِهِ، وَأمَّا المُتَشَابِهُ فَیُؤمَنُ بِهِ وَلَا یُعمَلُ بِهِ وَهُوَ قَولُ اللَّه: فَأمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِم زَیغٌ

۱- آل عمران (۳)، الآیه ۷.

۲- الکافی، ج۲، ص۲۸، ح۱؛ بحارالأنوار، ج ۶۶، ص۸۵، ح ۳۰ (الباب ۳۰ من أبواب الإیمان و الإسلام والتشیّع... من کتاب الإیمان والکفر).

ص: ۷۲

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ...(۱)» وآلُ مُحَمَّدٍ الرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ.(۲)

قال الإمام الصادق لما سُئل عن تفسير المحكم:

...أمَّا المُحكَمُ الَّذِي لَم يَنسَخهُ شَيءٌ فَقَولُهُ عَزَّ وجَلَ: «هُوَ الَّذِي أنزَلَ عَلَيكَ الكِتابَ مِنهُ آياتٌ مُحكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ(۳)» الآيَه. وإنَّما هَلَكَ النَّاسُ فِي المُتَشابِهِ، لِأنَّهُم لم يَقِفُوا عَلَى مَعنَاهُ، وَلَم يَعرِفُوا حَقِيقَتَهُ، فَوَضَعُوا لَهُ تَأوِيلًا مِن عِندِ أنفُسِهِم بِآرَائِهِم، واستَغنَوا بِذَلِكَ عَن مَسأَلَهِ الأوصِيَاءِ، ونَبَذُوا قَولَ رَسُولِ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِم.(۴)

فيه تصريح بأنّ مرجعيّه المحكم للمتشابه في إبطال ظاهره. ولابدّ من الرجوع إلى الأوصياء وسؤالهم في تفسير المتشابه وتوضيحه.

وفي الاحتجاج، مسنداً عن علقمه بن محمّد الحضرميّ، عن أبي جعفر محمّد بن علي عن النبيّ في حديث قال:

مَعَاشِرَ النَّاسِ تَدَبَّرُوا القُرآنَ وَافهَمُوا آيَاتِهِ، وَانظُرُوا إلَى مُحكَمَاتِهِ وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهُ، فَوَاللَّهِ لَن يُبَيِّنَ لَكُم زَوَاجِرَهُ وَلَا يُوَضِّحُ لَكُم

۱- آل عمران (۳)، الآيه ۷.

۲- تفسير القمّيّ، ج۲، ص۴۵۱؛ بحارالأنوار، ج۲۳، ص۱۹۱، ح۱۲ (الباب العاشر من أبواب الآيات النازله فيهم... من كتاب الإمامه) وفيه: «يدين به» بدل «يدبر به».

۳- آل عمران (۳)، الآيه ۷.

۴- وسائل الشيعه، ج۲۷، ص۲۰۰، ح۶۲ [۳۳۵۹۳] (الباب ۱۳ من أبواب صفات القاضي...).

ص: ۷۳

تَفسِیرَهُ إلَّا الَّذِی أنَا آخِذٌ بِیَدِهِ وَمُصعِدُهُ إلَیَّ وَشَائِلٌ بِعَضُدِهِ.(۱)

فیه إشعار قویّ، أنّ المرجع فی تفسیر المتشابه هو علیّ علیه الصلاه والسّلام.

وفی العیون، عن أبیه مسنداً عن أبی حیّون مولی الرّضا، قال:

مَن رَدَّ مُتَشَابِهَ القُرآنِ إلَی مُحکَمِهِ هُدِیَ إلی صِراطٍ مُستَقِیم، ثُمَّ قَالَ: إنَّ فِی أخبَارِنَا مُتَشَابِهاً کَمُتَشَابِهِ القُرآنِ، وَمُحکَماً کَمُحکَمِ القُرآنِ؛ فَرُدُّوا مُتَشَابِهَهَا إلَی مُحکَمِهَا وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحکَمِهَا، فَتَضِلُّوا.(۲)

صرّح أنّه لا یجوز اتّباع المتشابه وترک المحکم، کما هو دأب أهل الزیغ؛ وواضح أنّ اللّه تعالی لم یکلّف العبادَ الفحصَ عن تأویل المتشابه إلّا من طریق أهل بیت الوحی، وخزّان العلم خاصّه.

وفی الصحیفه المبارکه السجادیّه فی دعائه عند ختم القرآن، قال:

فَاجعَلنَا مِمَّن یَرعَاهُ حَقَّ رِعَایَتِهِ، ویَدِینُ لَکَ بِاعتِقَادِ التَّسلِیمِ لِمُحکَمِ آیَاتِهِ، ویَفزَعُ إلَی الإقرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ، ومُوضَحَاتِ بَیِّنَاتِهِ.(۳)

صرّح أنّ الوظیفه الأولیّه والمفزع والملجأ فی المتشابهات والبیّنات الموضّحه بالفتح هو الإیمان والإقرار.

دراسه بعض الآراء فی المحکم والمتشابه

۱- الاحتجاج، ج۱، ص۶۰؛ بحارالأنوار، ج ۳۷، ص۲۰۹، ح۸۶ (الباب ۵۲ من أبواب النصوص الدالّه علی الخصوص... من کتاب تاریخ أمیرالمؤمنین).

۲- . عیون أخبار الرضا، ج۱، ص۲۹۰، ح۳۹ (الباب ۲۸)؛ بحارالأنوار، ج ۲، ص۱۸۵، ح۹ (الباب ۲۶ من أبواب العلم من کتاب العقل والعلم والجهل).

۳- الصحیفه السجادیّه، الدعاء ۴۲، ص۱۷۶.

ص: ۷۴

إنّ الأقوال فی هذا الباب کثیره ذکرها السیوطیّ فی إتقانه(۱) والشیخ محمّد عبده فی المنار(۲) ، فنذکر بعضها والنقد الوارد علیها:

الأوّل: ما روی عن عکرمه وقتاده وغیرهما، أنّ المحکم الذی یعمل به والمتشابه الذی یؤمن به ولا یعمل به.

فیه: أنّ هذا لیس بیاناً للمحکم والمتشابه وتعریفاً لهما، بل هذا بیان لما یترتّب علیهما من الحکم القطعیّ العقلیّ وإرشاد به، من وجوب الاتّباع والعمل للمحکم وتحریم الأخذ بالمتشابه؛ وهو عین مفاد الآیه الکریمه والوظیفه المقرّره الأوّلیّه بالنسبه إلی المتشابه؛ وهذا البیان، بیان إرشادیّ کما لایخفی.

الثانی: المحکم ما عرف المراد منه، إمّا بالظهور وإمّا بالتأویل. والمتشابه ما استأثراللّه بعلمه کقیام الساعه وخروج الدجال والحروف المقطّعه فی أوائل السور.

فیه: أنّه إن أُرید بالظهور فی تعریف المحکم النصّ، فهو کذلک أو ما یقابل النصّ من الظهور الاصطلاحی، فهو وإن لم یکن محکماً إلّا أنّه فی حکم المحکم من حیث وجوب الاتّباع. وعلی التقدیرین فلا محصّل لقوله: «أو بالتأویل» إلّا أن یقال: إنّ مراده من التأویل هو التفسیر، لکنّ من

۱- . الإتقان فی علوم القرآن، ج۲، ص۷۵.

۲- تفسیر المنار، ج۳، ص۱۶۳ ۱۶۵.

ص: ۷۵

الواضح أنّ اعتماد المفسِّر فی التفسیر المشروع علی دلاله الألفاظ، وتحصیل القرائن وکسب الشواهد علی تلک الدلاله بحیث یصیر اللفظ بلحاظ هذا الاستظهار ظاهراً أو قطعیّاً فی المعنی المستظهَر، فلا موقع بعد هذا لقوله: «أو بالتأویل»الظاهر فی الترديد والتغاير بين شيئين.

وأمّا تفسیر «المتشابه بما استأثر اللّه بعلمه».

ففیه: أنّ المتشابه وإن کان من الغیب المحجوب مثل سائر الغیوب إلّا أنّه قد جرت سنّته تعالی فی عدّه من هذه الغیوب، سیّما المتشابه أن یطّلع علیها الراسخون فی العلم من أولیائه الطاهرین. وهل یتفوّه عالم أنّ رسول اللّه لم یعلم ما نزّل علیه من متشابهات الکتاب؟! ولم یقدرعلی تعلیمها لأحد من أفاضل أُمّته وأهل دعوته؟! وهذا جزاف من القول. والعجب تمثیله المتشابه، بقیام الساعه وخروج الدجّال؛ إذ وقت قیام الساعه من جمله الغیوب التی لا نهایه لعددها فالقائل لابدّ أن یلتزم أنّ کلّ غیب، متشابه. فلو عقل وتفکّر لعَلِم أنّ المتشابه من الغیوب، لا أنّ کلّ غیب متشابه. وجمعه بین قیام الساعه وخروج الدجّال وبین فواتح السور، یدلّ علی أنّ القائل یعتقد بأنّ الغیوب کلّها من المتشابه.

الثالث: إنّ المحکم من آی الکتاب، ما لم یحتمل من التأویل إلّا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل من التأویل أوجُهاً.

وفیه: أنّ الصحیح فی المقام أن یقال: إنّ المحکم ما یدلّ علی معنی والمتشابه ما لم یکن ظهوره جائز الاتّباع. وقوله: «ما لم یحتمل من التأویل إلّا وجهاً واحداً»، لیس بصحیح لأنّ مفاد المحکم لا یُعدّ تأویلاً فی لسان

ص: ۷۶

الکتاب والسنّه. فلو کان مراده أنّ المحکم، ما کان واضحاً فی معنی واحد والمتشابه ما یقابله، فهو عین ما ذکرناه.

الرابع: المحکم ما کان معقول المعنی، والمتشابه بخلافه، کأعداد الصلوات واختصاص الصیام برمضان دون شعبان.

وفیه: أنّ الظاهر من قولهم: «معقول المعنی»، غیر التعبّدیّات ویکون المراد من المتشابه هی التعبّدیّات. وحیث إنّ التسلیم فی مقابل التعبّدیّات واجب بالضروره، وکلّ ما یجب التسلیم فی قباله تعبّداً، فهو متشابه. ویحرم اتّباع المتشابه قبل نیل معناه ومفاده، فعلیه یحرم اتّباع التعبّدیّات، لأنّها من المتشابهات التی معناها لیس معقولاً. وبالجمله هذا القول أجنبیّ عن البحث فی المحکم والمتشابه الذی یکون فی باب دلالات الألفاظ.

الخامس: المحکم ما تأویله تنزیله، والمتشابه ما لا یُدرک إلّا بالتأویل.

أقول: المراد بالتأویل هاهنا التفسیر والشرح والتوضیح. فعلی هذا یکون المحکم ما لا ترديد فی دلالته علی مفاده، والمتشابه ما لا یمکن الأخذ بظاهره لقیام القرائن العقلیّه والنقلیّه علی خلافه؛ وسیأتی لذلک مزید توضیح فی البحث عن التأویل إن شاء اللّه تعالی .

السادس: المحکم ما استقلّ بنفسه والمتشابه ما لایستقلّ إلّا بردّه إلی غیره.

وفیه: أنّ الاستقلال وعدمه لامعنی له فی باب دلاله الألفاظ؛ فمن الکلام ما یحتاج إلی شرح وقرینه ومنه ما لا یحتاج إلی ذلک. وهذا عمل عادیّ فی المحاورات العرفیّه ویترتّب علیه أغراض العقلاء، بحسب اختلاف المقامات.

ص: ۷۷

السابع: المحكمات ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك، فهو متشابه يصدّق بعضه بعضاً.

وفيه: أوّلاً: أنّه لا دليل على نفى المتشابه، ممّا فيه الحلال والحرام.

وثانياً: القول بأنّ «ما سوى ذلك فهو متشابه»، خلاف الضروره والعيان. كيف وفى غير الأحكام، أُصول الدعوه وأساس الأديان والحقائق الفطريّه والمستقلّات العقليّه، وأمثال ذلك؟!

وثالثاً: لا معنى للقول بأنّ المتشابه يصدّق بعضه بعضاً.

الثامن: المحكمات مالم تنسخ والمتشابهات ما قد نسخ.

وفيه: أنّ من الممكن أن يكون المتشابه من النواسخ، فيحرم العمل به قبل تفسيره ويجب العمل به بعد تفسيره.

التاسع: المحكم مالم تتكرّر ألفاظه ومقابله المتشابه.

وفيه: أنّ التكرار وعدمه أجنبيّ عن معنى التشابه والإحكام.

على أنّه لا معنى لنسبه التكرار إلى القرآن الكريم. وما كان من القضايا والقصص فى المواقف المختلفه إنّما هو لأغراض شتّى. وعلى عهده المفسّر تعيين الغرض المسوق له الكلام والعنايه الملحوظه فيه.

العاشر: أنّ المتشابه هى آيات الصفات أى: صفات اللّه خاصّه.

وفيه: أنّ لازم ذلك حرمه الاعتقاد والتديّن بالتوحيد ونعوت اللّه الكماليّه والجلاليّه.

على أنّ الآيه الكريمه، صريحه فى أنّ الإحكام والتشابه من صفات الكلام، لا من صفات مفرداته.

وهناك أقوال أُخر أعرضنا عن ذكرها توخّياً للإطاله.

نظريّه صاحب الميزان ونقدها

ص: ۷۸

قال فی المیزان:

وأمّا التشابه المذکور فی هذه الآیه أعنی قوله: «وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» فمقابلته لقوله: ﴿مِنهُ آیاتٌ مُحکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الکِتابِ(۱)﴾،﴿وذکر اتّباع الـذین فی قلوبهم زیغ لهـا ابتغـاء الفتنه وابتغـاء التأویـل، کلّ ذلک یـدلّ علی أنّ المراد بالتشابه، کون الآیه بحیث لایتعیّن مرادها لفهم السـامع بمجرّد اسـتماعها، بـل یتردّد بین معنی ومعنی، حتّی یرجع إلی محکمـات الکتـاب؛ فتعیّن هی معناهـا وتبیّنهـا بیاناً، فتصـیر الآیه المتشابهه عنـد ذلک محکمه بواسـطه الآیه المحکمه، والآیه المحکمه محکمه بنفسـها، کما أنّ قوله:﴿الرَّحمنُ عَلَی العَرشِ اسـتَوی﴾، یشـتبه المراد منه علی السامع أوّل ما یسمعه، فإذا رجع إلی مثل قوله تعالی: ﴿لَیسَ کَمِثلِهِ شَیء﴾ استقرّ الذّهن علی أنّ المراد به التسلّط علی الملک والإحاطه علی الخلق دون التمکّن والاعتماد علی المکان المستلزم للتجسّم المستحیل علی اللّه سبحانه... وکذا إذا عرضت الآیه المنسوخه علی الآیه الناسخه، تبیّن أنّ المراد بها حکم محدود بحدّ الحکم الناسخ وهکذا.(۲)

۱- ل عمران (۳)، الآیه ۷.

۲- المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص۲۱.

ص: ۷۹

وقال فی معنی کون المحکمات (أُمّ الکتاب):

فإنّ فی هـذه اللفظه أعنی لفظه الأُمّ عنایه بالرجوع الذی فیه انتشاء واشـتقاق وتبعّض، فلا تخلو اللفظه من الدلاله علی کون المتشابهات ذات مدالیل ترجع وتتفرّع علی المحکمات، ولازمه کون المحکمات مبیّنه للمتشابهات.

علی أنّ المتشـابه إنّمـا کان متشابهاً لتشابه مراده، لا لکونه ذا تأویل؛ فإنّ التأویل کما مرّ یوجـد للمحکم کما یوجـد للمتشابه، والقرآن یفسّـر بعضه بعضاً. فللمتشابه مفسّـر ولیس إلّا المحکم؛ مثال ذلک قوله تعالی: ﴿إِلَی رَبِّهَا نَاظِرَهٌ(۱)﴾ فـإنّه آیه متشابهه وبإرجاعها إلی قوله تعـالی: ﴿لَیسَ کَمِثلِهِ شَـی ء(۲) ﴾وقوله تعالی:﴿لَا تُـدرِکُهُ الأبصَارُ﴾، یتـبیّن أنّ المراد بهـا نظره ورؤیـه من غیرسـنخ رؤیه البصـر الحسّـیّ، وقد قال تعالی: ﴿مَـا کَـذَبَ الفُؤادُ مَـا رَأی * أ فَتُمارُونَهُ عَلَی مَا یَرَی ﴾ إلی أن قـال: ﴿لَقَـد رَأی مِن آیاتِ رَبِّهِ الکُبرَی (۳)﴾ فأثبت للقلب رؤیه تخصّه، ولیس هو الفکر، فإنّ الفکر إنّما یتعلّق بالتصدیق والمرکّب الذهنیّ، والرّؤیه إنّما تتعلّق بالمفرد العینیّ، فیتبیّن بذلک أنّه توجّه من القلب لیست بالحسّیّه المادّیّه ولا

۱- القیامه (۷۵)، الآیه ۲۳.

۲- الشوری (۴۲)، الآیه ۱۱.

۳- النجم (۵۳)، الآیه ۱۸.

ص: ۸۰

بالعقلیّه الذهنیّه. والأمر علی هذه الوتیره فی سائر المتشابهات.(۱)

یرد علی هذه النظریّه إشکالات:

أوّلاً: إنّ الأُمومه والإصاله للمحکمات أجنبیّه عن معنی الفرعیّه والمفسّریّه بالکلّیّه، لأنّ الإحکام والتشابه وصفان مختلفان لدلاله الألفاظ ولیس النسبه بینهما نسبه الفرع والأصل، کی یتوقف فهم المتشابه علی المحکم؛ فلا یمکن الوصول إلی المتشابه عن طریق المحکم.

ثانیاً: لا تناسب بین رؤیه الآیات وبین النّظر إلی ذاته المقدسه؛ فتفسیر النّظربالرؤیه فی الآیتین مجازفه واضحه لأنّ النظر غیر الرؤیه، مضافاً إلی أنّ النظر فی الآیه المبحوث عنها متعلّق بالربّ وفی الآیه التی استشهد بها متعلّق برؤیه الآیات.

ثالثاً: إنّه لا إشکال فی أنّ المتشابه ما یقابل المحکم؛ ولا إشکال فی حجّیّه المحکم عند العلماء؛ وکذلک فی حجّیّه الظواهر عند المحقّقین، وأمّا المتشابه هو الذی لم ینعقد له ظهور فلا موضوع للحجّیّه فیه أصلاً، وردّ المتشابه إلی المحکم لیس إلّا لإبطال الظهور البدویّ، لا لتعیین المراد من المتشابه، ولیست المحکمات قرینه عرفیّه منفصله لتعیین المراد من المتشابهات، مثلاً قوله تعالی: ﴿لَا تُدرِکُهُ الأبصَارُ...﴾ فی مقام تنزیهه تعالی عن رؤیه الأبصار وتمجیده تعالی عن إدراکه وإحاطته سبحانه بالأبصار، ولا توجد قرینه عرفیّه بین المخاطبین والمتکلّم علی أنّ المراد منها النظر إلیه تعالی. وغایه ما فی

۱- المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص ۴۳ ۴۴.

ص: ۸۱

الباب نفی النظر الحسّیّ وإثبات إحاطته تعالی وإدراکه النظر الحسّیّ، فلا یکون مدرَکاً بالنظر الحسّیّ ولا محاطاً به، وأمّا تعیین المراد من النظر إلی ذاته المقدَّسه الکریمه، فإلتماسه من الآیه مجازفه واضحه.

فتلخّص أنّ الغرض الأصیل من المحکمات لیس قرینیّتها للمتشابهات وتفسیرها، بل لها شأن آخر أصیل؛ وهو أنّها أُمّ الکتاب وعماده وأُصوله. ومن تدیّن بها وعمل بها لم یسأل اللّه عنه ولم یؤاخذه بترک المتشابهات. ومن جمله العمل بها عرض المتشابهات علیها وتحکیمها علیها والسکوت عنها. والمتشابه لا یصیر ظاهراً بردّه إلی المحکم، فضلاً عن أن یکون محکماً ولابدّ فی توضیح المتشابهات من الرجوع إلی أدلّه أُخری، سیقت لبیان هذا المتشابه بخصوصه بنحو مستقیم أو غیرمستقیم. وهکذا الأمر فی متشابهات الأخبار، فلابدّ من عرض متشابهاتها علی محکمات الکتاب والسنّه؛ ثمّ شرحها بأدلّه أُخری من الکتاب والسنّه.

فاتّضح من جمیع ما ذکرنا أنّ معنی الروایات التی وردت فی ردّ المتشابه إلی المحکم، هو الأخذ بالمحکم والسکوت عن المتشابه والإیمان به علی ما هو علیه فی الواقع. فللمحکم مقام المرجعیّه والحاکمیّه، یحتجّ به علی علوم القرآن ویحتجّ به علی أهل الآراء الباطله والأهواء المبتدعه.

ص: ۸۲

۱۵المنهج الصحیح فی التفسیر

معنی التفسیر

ص: ۸۳

ص: ۸۴

ص: ۸۵

التفسير لغه: كشف الغطاء، قال فى لسان العرب:

الفَسرُ: كَشفُ المُغَطّى. والتفسير: كَشفُ المراد عن اللَّفظِ المُشكِلِ.(۱)

ليس من الضرورىّ أن يُفسّر الكلام أو الكتاب إلّا إذا كان مانعاً وحجاباً فى دلالته على مراد المتكلّم أو الكاتب؛ فإن كان الكلام صريحاً أو ظاهراً فى معناه، فإنّ تبيينه لايعدّ تفسيراً؛ لأنّ الكلام الصريح أو الظاهر، لا يوجد حجاب عليه كى يرُفع بالتفسير. ولو لم يكن الظهور البدوىّ للكلام حجّةً لجهات، فإنّه يجب على المخاطب للوصول إلى مراد المتكلّم أو الكاتب أن يفحص عن مختلف مواضع القرائن الحاليّه والمقاليّه المخالفه للظهور البدوىّ فى كلّ موضع يحتمل وجودها؛ والمعنى الذى ظهر له أو قطع به بعد الفحص الدقيق والتأمّل والتعقّل، يكون تفسيراً له.

فكما قلنا فى بحث حجّيّه ظواهر القرآن، إنّ القرآن له خطابان: خطاب عامّ وخطاب خاصّ.

۱- لسان العرب، ج۵، ص۵۵.

ص: ۸۶

أمّـا فى الخطـاب العـامّ الـذى لاـ يكون إلّـا فى دلالاـت نصوص القرآن وظواهره فإنّ الله سـبحانه وتعالى أثار عقل الإنسان وفطرته عن طريق بيـان الموضوعـات العقليّه والأحكام والمسائل الفطريّه ودعاه إلى التـدبّر فى الخليقه وآياته الموجوده فى الطبيعه. وبما أنّ الأُمور العقليّه والفطريّه لا تُنسـخ ولا تُخصَّص ولا تُقيَّد، فإنّ الظهور الإبتدائىّ لهذه الآيات، يكون حجّه ويمكن الاسـتفاده من معناها وما أُريد منها بمحض الرجوع إليها؛ فلا تحتاج هذه الآيات إلى التفسير والتبيين.

وأمّـا فى الخطاب الخاصّ، فبما أنّ الله سـبحانه وتعالى يـذكر فيه المعارف الـدقيقه وجزئيات الأحكام، فإنّه لا يمكن التمسّك بالظهور الإبتدائىّ لهذه الآيات، لأنّه يمكن أن تكون الآيه فى صدد بيان موضوع عامّ أو مطلق وورد تخصيصه أو تقييده فى آيات أُخرى أو فى السنَّه الشريفه بل يمكن أن تكون الآيه منسوخه.

فإذن التفسـير عباره عن تبيين مراد الله سـبحانه وتعالى والكشف عنه، عبر الطرق العلميّه والاسـتفاده من الأدلّه العقليّه والقرائن المتصـله والمنفصله المذكوره فى الآيات والروايات.

فمن اتّبع هذه الطريقه فى تعيين مراد الله سـبحانه وتعالى فى القرآن، كان مفسِّراً وإنّ هذه الطريقه المسـمّاه بالطريقه الاجتهاديه المبتنيه على العقل والكتاب والسُّنه هى الطريقه الصحيحه والمقبوله عند الأُصوليين من فقهاء الشيعه المسجَّله فى تاريخهم.

ص: ۸۷

إلّا أنّه مضافاً إلى هذه الطريقه، فإنّ القرآن قد فُسِّر بطرق مختلفه أُخرى، بعضها ناقصه والبعض الآخر منها وقعت فى الانحراف والاشتباه؛ وإنّ إحدى هذه الطرق طريقه تفسير القرآن بالقرآن.

إنّ بعض من اتّبع هذه الطريقه من أهل السّنه سلك طريقاً مبتنٍ على الاستغناء من بيان الرسول والأئمه، وأنّ شذوذ هذه الطريقه أمر بديهيّ لا نحتاج إلى بيانها. والمدافعين عن طريقه تفسير القرآن بالقرآن مع انتمائاتهم المختلفه واتحاد شعارهم لم يسلكوا طريقاً ومنهجاً واحداً؛ وأنّ ابن تيميّه يُعدّ من أتباع هذه الطريقه التفسيريّه، حسب رأى بعض المؤلفين.

نقد منهجيّه تفسير القرآن بالقرآن

قال فى تفسير الميزان:

فالحقّ أنّ الطريق إلى فهم القرآن الكريم غير مسدود، وأنّ البيان الإلهىّ والذكر الحكيم بنفسه هو الطريق الهادى إلى نفسه؛ أى: إنّه لايحتاج فى تبيين مقاصده إلى طريق، فكيف يتصوّر أن يكون الكتاب الذى عرّفه اللّه تعالى بأنّه هدى وأنّه نور، وأنّه تبيان لكلّ شىء مفتقراً إلى هاد غيره ومستنيراً بنور غيره ومبيّناً بأمر غيره؟(۱)

يرد على هذه النظريّه أُمور:

أوّلاً: أنّ للقرآن الكريم كما ذكرنا مقامين: مقام مخاطبه عامّه الناس، فإنّ الطريق إلى فهمه غير مسدود. والمقام المختصّ برسول وأئمّه أهل بيته،

۱- الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص۸۶.

ص: ۸۸

ولابدّ من الالتزام فيه بما ورد عنهم وعدم جواز العدول عنه. قال تعالى:

﴿لَاتُحَرِّك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِ * إنَّ عَلَينَا جَمعَهُ وقُرآنَهُ * فَإذَا قَرَأناهُ فَاتَّبِع قُرآنَهُ * ثُمَّ إنَّ عَلَينَا بَيانَهُ(۱).﴾

لقد وعد سبحانه في هذه الآيات أن يبيّن القرآنَ ويعلّمه لرسوله، كي يقوم الرسول بتعليم القرآن لأمّته، فهو سبحانه صادق الوعد وقد وفى بوعده وبيّن القرآن لرسوله ولذا لابدّ أن يكون تبيين القرآن وتعليمه للأُمّه بتعليم الرسول وآله المعصومين. قال تعالى:

﴿وَأنزَلنَا إلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إلَيهِم ولَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُون﴾؛(۲)

﴿رَبَّنَا وَابعَث فِيهِم رَسُولاً مِنهُم يَتلُوا عَلَيهِم آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكمَهَ وَيُزَكِّيهِم إنَّكَ أنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾؛(۳)

﴿كَمَا أرسَلنَا فِيكُم رَسُولاً مِنكُم يَتلُوا عَلَيكُم آيَاتِنَا ويُزَكِّيكُم ويُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ والحِكمَهَ ويُعَلِّمُكُم مَا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ﴾؛(۴)

﴿لَقَد مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤمِنِينَ إذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِن أنفُسِهِم يَتلُوا عَلَيهِم آيَاتِهِ ويُزَكِّيهِم ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَهَ وَإن كَانُوا مِن قَبلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾؛(۵)

۱- القيامه (۷۵)، الآيه ۱۶ ۱۹.

۲- النحل (۱۶)، الآيه ۴۴.

۳- لبقره (۲)، الآيه ۱۲۹.

۴- . البقره (۲)، الآيه ۱۵۱.

۵- آل عمران (۳)، الآيه ۱۶۴.

ص: ۸۹

﴿هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنهُم یَتلُوا عَلَیهِم آیَاتِهِ ویُزَکِّیهِم ویُعَلِّمُهُمُ الکِتَابَ والحِکمَهَ وإن کانُوا مِن قَبلُ لَفی ضَلالٍ مُبینٍ(۱).﴾

إنّ قوله تعالی: ﴿یُعَلِّمُهُمُ الکِتَابَ والحِکمَهَ﴾؛ أصدق شاهد علی أنّ المراد بالتعلیم، هو بیان الحکمه والحقائق الراجعه إلی دین اللّه، لا بیان قراءه ألفاظه وحروفه. وقد قام رسول اللّه﴿ فی حیاته بهذه الوظیفه الخطیره التی أمره تعالی بها وأصرّ أیضاً علی ذلک فی إرجاع الأمر إلی الأئمّه المعصومین﴿ من آله بعد وفاته کما ورد فی حدیث الثقلین وغیره من الأحادیث القطعیّه. وحینئذ ما یکون معنی الاکتفاء والاستغناء بتفسیر القرآن بالقرآن؛ إنّ القول بعدم التنافی بین طریقه تفسیر القرآن بالقرآن والاستفاده من بیانات الرسول﴿ والأئمّه(۲)﴿ فی بعض الموارد، خُلف واضح.

ثانیاً: أنّ ما ذکره فی المیزان، من أنّ القرآن نورٌ وفیه تبیان کلّ شیء، وأنّ النورلا یستبین بغیره وأنّ الهدی لا یستهدی من غیره، یرد علیه أنّ السنّه عِدلٌ للقرآن وأحد الثقلین نور کالقرآن، فیکون اجتماعهما معاً نور علی نور.

۱- الجمعه (۶۲)، الآیه ۲.

۲- قال فی المیزان، ج۳، ص۸۴: نعم تفاصیل الأحکام ممّا لا سبیل إلی تلقّیه من غیر بیان النبیّ﴿ کما أرجعها القرآن إلیه فی قوله تعالی: ﴿وَ مَا آتَاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهاکُم عَنهُ فَانتَهُوا﴾ [حشر (۵۹)، الآیه۷] وما فی معناه من الآیات وکذا تفاصیل القصص والمعاد مثلاً.

ص: ۹۰

ثالثاً: ما ذكرنا من أنّ النبيّ هو المبيّن والمعلّم للقرآن فحسب، لا ينافي عدّه من الآيات المباركه الدالّه على أنّ القرآن بيان وتبيان وشفاء وهُدىً وهدايه للعالمين وغيرها. حيث إنّ هذه الآيات مسوقه لبيان فخامه شأن القرآن وجامعيّته وموقعيّته في المجتمعات البشريّه، وكونه قولاً ثقيلاً (۱)لا يوازيه ولا يضاهيه ولا يساويه ولا يدانيه شيء؛ بل هو أكبر الثقلين(۲)، وأنّه برهان على ذاته بذاته وعلى جميع محتوياته ولكونه مهيمناً(۳)، وهو صريح بحاكميّته على تصديق جميع ما ينسب إلى الوحي السماويّ من أوّل الدّنيا إلى يوم القيامه. وقد أشرنا الى هذا الأمر في ما ذكرنا في فضل القرآن وشؤونه.

رابعاً: لا يصحّ الاستشهاد والاستدلال في تفسير القرآن بالقرآن، بما ورد عن أميرالمؤمنين في نهج البلاغه حيث قال:

تَرِدُ عَلَى أحَدِهِمُ القَضِيّهُ فِي حُكم مِنَ الأحكَام، فَيَحكُمُ فِيهَا بِرَأيِهِ. وَثُمَّ تَرِدُ تِلكَ القَضِيَّهُ بِعَينِهَا عَلَى غَيرِهِ، فَيَحكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَولِهِ. ثُمَّ يَجتَمِعُ القُضَاهُ بِذَلِكَ عِندَ الإمَامِ الَّذِي استَقضَاهُم، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُم جَمِيعاً، وَإلَهُهُم وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُم وَاحِدٌ، وَكِتَابُهُم وَاحِدٌ. أفَأمَرَهُم اللَّهُ سُبحَانَهُ بِالإختِلَافِ فَأطَاعُوهُ؟! أم نَهَاهُم عَنهُ

۱- المزمّل (۷۳)، الآيه۵: إِنَّا سَنُلقي عَلَيكَ قَولاً ثَقِيلاً.

۲- إشاره إلى قوله: (إِنِّي مُخلِفٌ فِيكُمُ الثَّقَلَينِ الثَّقَلُ الأكبَرُ القُرآن)؛ الغيبه (للنعمانيّ) ص۴۳؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۸۰، ص۱۰۲ (الباب الثامن من أبواب فضله و أحكامه... من كتاب القرآن).

۳- المهيمن: الرقيب، الحافظ ولمزيد من الاطّلاع راجع إلى الدرس الأوّل من هذا الكتاب.

ص: ۹۱

فَعَصَوهُ؟! أم أنزَلَ اللَّهُ سُبحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً، فَاستَعَانَ بِهِم عَلَى إتمَامِهِ؟! أم كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ، فَلَهُم أن يَقُولُوا، وَعَلَيهِ أن يَرضَى؟! أم أنزَلَ اللَّهُ سُبحَانَهُ دِيناً تَامّاً، فَقَصَّرَ الرَّسُولُ عَن تَبلِيغِهِ وَأدَائِهِ؟! وَاللَّهُ سُبحَانَهُ يَقُولُ: مَا فَرَّطنا فِى الكِتابِ مِن شَى ءٍ(۱) وَفِيهِ تِبيَانٌ لِكُلِّ شَى ءٍ وَذَكَرَ أنَّ الكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعضُهُ بَعضاً وَأنَّهُ لَا اختِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبحَانَهُ: وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلافاً كَثِيراً. ... (۲)(۳)

لأنّ الخطبه الشريفه سيقت لِتوبيخ الجاهلين الّذين تصدّوا لمقام القضاء والفتوى واختلفوا فى فتياهم وقضائهم، لجهلهم بالكتاب ومدارك الأحكام. وهو يحتجّ عليهم بأنّ كتاب اللّه سبحانه ليس فيه ما يوجب اختلافهم، وأنّ البيان الإلهىّ منار الحجّه وواضح المحجّه. وأنّ كتاب اللّه أجلّ شأناً وأرفع مقاماً من أن يُتوهّم التناقض والتخالف فيه. وفيه كمال الملائمه وتمام المناسبه فى مقاصده ومراميه. وتشهد بعض الآيات على صدق ما تضمّنته الأُخرى، فأين التناقض والتكاذب فيه؟!

وكذلك قوله فى الخطبه:

كِتَابُ اللَّهِ تُبصِرُونَ بِهِ، وتَنطِقُونَ بِهِ، وتَسمَعُونَ بِهِ، ويَنطِقُ بَعضُهُ

۱- الأنعام (۶)، الآيه ۳۸.

۲- النساء (۴)، الآيه ۸۲

۳- نهج البلاغه، الخطبه ۱۸، ص ۶۰ .

ص: ۹۲

بِبَعضٍ، ويَشهَدُ بَعضُهُ عَلَى بَعض... . (۱)

لأنّ الشهاده والتصديق بين آيات القرآن، لا يتحقّقان إلّا إذا كان للآيه المصدِّقه بالكسر والمصدَّقه بالفتح ظهور فى مفادهما. فلو لم يثبت لهما ظهور ولم يبيّن المراد منهما فإنّه لا يكون موضوع لتصديق وشهاده إحداهما على الأُخرى.

فتبيّن أنّ مورد التصديق والشهاده، إنّما هو بعد تثبيت الظهورات وتبيين المرادات. وهاتان الخطبتان تدلّان على أنّ للمفسِّر بعد الأخذ بمفاد آيه، أن يأتى عليها بشواهد من آيات أُخرى، لأنّه إذا ظفر على هذه الشواهد وتيسّر له كسب تلك القرائن، كان تفسيره أسدّ بُنياناً وأوثق برهاناً. ف «إنّ على كلّ حقّ حقيقه وعلى كلّ صواب نوراً»(۲)، فلو لم يجد فى تفسير آيه، على آيه أو آيات تؤيّدها وتصدّقها، فإنّ الآيه بوحدها تكون حجّه على مفادها. وأين هذا من تفسير القرآن بالقرآن؟! وتسميّه هذا تفسيراً ليس فى محلّه، إذ التفسير كما تقدّم عباره عن كشف القناع والاستظهار من اللفظ؛ وهو مقدّم رتبةً على شهاده آيه على آيه وتصديقها بها، فإنّ التصديق والشهاده

كما قلنا يتحقّقان بعد الاستظهار وتحقّق الظهور.

وكذلك الأمر فيما ورد فى الروايات، من إرجاع المتشابه إلى المحكم، فإنّه ليس المراد منه تفسير المتشابه بالمحكم، إذ لا وجه للقول بأنّ ما أُريد من المتشابه هو عين ما أُريد من المحكم، ولا يكون هذا القول إلّا رجماً بالغيب، بل المراد

۱- . نهج البلاغه، الخطبه ۱۳۳، ص۱۹۲.

۲- المحاسن، ج۱، ص۲۲۶، ح ۱۵۰؛ بحارالأنوار، ج۲،ص۲۴۳، ح۴۴ (الباب ۲۹ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم).

ص: ۹۳

منه، هو أنّ المحكم يـدفع الظهور البدوىّ العامىّ عن المتشابه ويبطله؛ فعلى هذا يلزم العمل والإيمان بالمحكم والسـكوت عن المتشابه إلى أن يأتى له بيانٌ آخر.

ولـذا لا يمكن الاسـتدلال بكلام الإمام أميرالمؤمنين علی تفسـير القرآن بـالقرآن. وأمّا إن كان المراد من الحـديث الشـريف إمكان اسـتفاده ظهور آيه من آيه أُخرى، بمعنى أنّه لو كـانت آيه مطلقه أو عـامّه وآيه أُخرى مقيِّده أو خاصّه، تكون الآيه الخاصّه والمقيِّده، بيانـاً وتفسـيراً للآـيه المطلقه والعـامّه، فإنّ هـذا الكلام صـحيح، ولكنّه لا يكون مؤيّـداً لتفسـير القرآن بالقرآن، لأنّ فحص المفسّـر عن القرائن والمقيِّدات فى القرآن سواء كـان فى الأحكـام أو غيرهـا من المعـارف والحقـائق، شـرط لازم ولكنّه ليس بكاف، لأنّ الفحص كما يجب عن القرائن والمقيِّدات فى القرآن، كذلك يجب فى السـنّه المعتبره وفى القرائن العقليّه التى يجب الالتزام بها أيضاً. والأخذ بأحدهما وترك الآخر إبطال لحقّه وإسقاط عن مقامه وموقعه وحجّيّته.

ولايخفى أنّ القرآن والسـنّه، هما المرجع فى العلوم الشـرعيّه والمعارف والعقائد الاسلاميّه؛ وعليه، فمن ادّعى أمراً أو أحدث حدثاً فى الدّين لابدّ من استيضاح حجّته من مسـلَّمات الكتاب والسنّه، فلو خالفها فالّذى جاء به فهو أولى به، يضرب به وجه صاحبه. مثلاً ينادى القرآن الكريم بندائه العامّ على تنزيه الله تعالى عن آثام العباد وجناياتهم.(۱) وينادى أيضاً أنّ له

۱- كقوله تعالى فى سوره العنكبوت(۲۹)، الآيه ۴۰: فَكُلاًّ أَخَذنا بِذَنبِهِ فَمِنهُم مَن أرسَلنا عَلَيهِ حاصِباً وَمِنهُم مَن أَخَذَتهُ الصَّيحَهُ وَمِنهُم مَن خَسَفنا بِهِ الأرضَ وَمِنهُم مَن أغرَقنا وَما كانَ اللَّهُ لِيَظلِمَهُم وَلكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ.

ص: ۹۴

تعالى سخطاً على المعاصى(۱) ورضى للطّاعات والمحسّنات(۲)، فلا يجوز أن يُنسب إليه تعالى جنايات الكافرين والطاغين؛ فمن ادّعى ذلك وقال بالجبر فى أفعال العباد والتوحيد الأفعالىّ(۳) فلا يقبل منه.

وهكذا؛ من جاء بحديث أو تمسّك بآيه من كتاب اللّه واستظهر منها برأيه ما يخالف صريح القرآن وضروره السنّه، فهو كاذبٌ مضلّ لا يقبل منه.

۱۶التفسير بالرأى

المنع عن التفسير بالرأى

۱- . كقوله تعالى فى سوره الأعراف(۷)، الآيه۱۵۲: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجلَ سَيَنالُهُم غَضَبٌ مِن رَبِّهِم﴾.

۲- كقوله تعالى فى سوره الفتح (۴۸)، الآيه۱۸: ﴿لَقَد رَضِىَ اللَّهُ عَنِ المُؤمِنِينَ إِذ يُبَايِعُونَكَ تَحتَ الشَّجَرَه﴾ وقوله تعالى فى سوره آل عمران (۳)، الآيه ۳۱: ﴿قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونى يُحبِبكُمُ اللَّه ﴾.

۳- كما ورد فى الحكمه المتعاليه، ج۸، ص۳۱۲: ... والفعل الاختيارىّ لا يتحقّق ولا يصحّ بالحقيقه إلّا فى واجب الوجود وحده وغيره من المختارين لا يكونون إلّا مضطرّين فى صوره المختارين. ولمزيد من الاطّلاع راجع كتاب سدّ المفرّ على القائل بالقدر، ص۱۰۳ ۲۲۵.

ص: ۹۵

ص: ۹۶

ص: ۹۷

لقد ورد المنع عن التفسیر بالرأی فی أحادیث کثیره. نذکر بعضها: قال رسول الله:

مَن فَسَّرَ القُرآنَ بِرَایِهِ، فَلیَتَبَوَّءُ مَقعَدَهُ مِن النَّارِ.(۱)

فی العیون، عن محمّد بن موسی مسنداً عن الریّان بن الصلت، عن علیّ بن موسی الرضا، عن أبیه، عن آبائه، عن أمیرالمؤمنین قال: قال رسول اللّه:

قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: مَا آمَنَ بِی مَن فَسَّرَ بِرَأیِهِ کَلَامِی، ومَا عَرَفَنِی مَن شَبَّهَنِی بِخَلقِی، ومَا عَلَی دِینِی مَنِ استَعمَلَ القِیَاسَ فِی دَینِی.(۲)

وفی کمال الدین، عن محمّد بن علیّ ما جیلویه مسنداً عن عبد الرحمن بن سمره قال: قال رسول اللّه:

... ومَن فَسَّرَ القُرآنَ بِرَأیِهِ، فَقَدِ افتَرَی عَلَی اللَّهِ الکَذِبَ، ومَن أفتَی النَّاسَ بِغَیرِ عِلمٍ، فَلَعَنَتهُ مَلَائِکَهُ السَّمَاوَاتِ والأرض... .(۳)

وفی تفسیر العیّاشیّ، عن عمّار بن موسی، عن أبی عبد اللّه قال:

...وَمَن فَسَّرَ [بِرَأیِهِ] آیَهً مِن کِتَابِ اللَّهِ، فَقَد کَفَرَ.(۴)

وفی تفسیر العیّاشیّ، عن هشام بن سالم، عن أبی عبد اللّه قال:

۱- تفسیر الصافی، ج۱، ص۳۵.

۲- عیون أخبار الرضا، ج۱، ص۱۱۶، ح۴ (الباب ۱۱)؛ بحارالأنوار، ج۲، ص۲۹۷، ح۱۶ (الباب ۳۴ من أبواب العلم من کتاب العقل والعلم والجهل).

۳- کمال الدین وتمام النعمه، ج۱، ص۲۵۷، ح۱؛ بحارالأنوار، ج۳۶، ص۲۲۷، ح۳ (الباب ۴۱ من أبواب النصوص علی أمیرالمؤمنین من کتاب تاریخ أمیرالمؤمنین) وفیه: «لعنه» بدل «فلعنته».

۴- تفسیر العیاشیّ، ج۱، ص۱۸، ح۶؛ بحارالأنوار، ج۸۹ ص۱۱۱، ح۱۵ (الباب العاشر من أبواب فضله وأحکامه وإعجازه من کتاب القرآن).

ص: ۹۸

مَن فَسَّرَ القُرآنَ بِرَأيِهِ فَأصَابَ، لم يُؤجَر وإن أخطَأ، كَانَ إثمُهُ عَلَيه.(۱)

معنى التفسير بالرأى

إنّ التفسير المنهيّ عنه فى هذه الروايات، هو تفسير القرآن فى مقام استنباط العلوم والأحكام والمعارف الخاصّه، لا ما يتعلّق بمرتبه الدعوه العامّه؛ فإنّ القرآن فى هذه المرتبه خطاب واحتجاج، وتوبيخ وتشويق، وإنذار وتبشير، وهدايه وتذكره، يدلّ عليها الكلام إمّا بالتنصيص أو بالظهور، فلا معنى لإطلاق التفسير عليه، ولا دليل على تحريمه. والأدلّه متكاثره بالحثّ

۱- تفسير العياشيّ، ج۱، ص۱۷، ح۲؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص ۱۱۰، ح۱۱.

ص: ۹۹

والتمسّک علیه بهذه المرحله. قال تعالی: ﴿أفَلا یَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أم عَلَی قُلُوبٍ أقفالُهَا﴾؛(۱)

﴿یَا أیُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَکُم بُرهَانٌ مِن رَبِّکُم وَأنزَلنَا إلَیکُم نُوراً مُبِیناً﴾؛(۲)

﴿یَا أیُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَتکُم مَوعِظَهٌ مِن رَبِّکُم وَشِفَاءٌ لِمَا فِی الصُّدُورِ وَهُدیً وَرَحمَهٌ لِلمُؤمِنِینَ﴾.(۳)

فالأخبار المصرّحه بتحریم التفسیر بالرأی علی کثرتها وشیوعها إنّما هی ناظره إلی تفسیر القرآن فی مرتبه علومه الخاصّه فقط لا غیر. وأنّ إعمال الرأی والاستنباط فی هذه المرتبه لا- مجوّز له بوجهٍ أصلاً. ولا- یجوز الاقتحام فی تلک المرتبه والاستقلال فی الإفتاء والقضاء والنظر القطعیّ فی العلوم الراجعه إلی تلک المرتبه. وإرجاع الآیات بعضها إلی بعض رجم بالغیب وقول بلا علم، فرُبّ عامٍّ فی الکتاب خاصٌّ فی السنّه أو فی آیات أُخری متأخّرهً. ورُبّ فریضهٍ فی الکتاب، مستحبّ فی السنّه، والأمر بهذا الشکل فی أبواب العلوم والمعارف التی لا تکون من المستقلّات العقلیّه وتحتاج إلی تفسیر وبیان الرسول﴿ والأئمه﴾.

وما ینبغی الالتفات إلیه کما ذکرنا سابقاً أنّ انحصارمقام تفسیر القرآن فی المرتبه الخاصّه بالنبیّ وأهل بیته﴿ لا- ینافی حجّیّه القرآن الکریم لجمیع أهل العالم من الجنّ والإنس، فلا تزاحم بین أدلّه حجّیّه القرآن وبین

۱- محمّد (۴۷)، الآیه ۲۴.

۲- النساء (۴)، الآیه ۱۷۴.

۳- یونس (۱۰)، الآیه ۵۷.

ص: ۱۰۰

الروایات المانعه عن التفسیر بالرأی والتأویل، فکلٌّ حقٌّ فی بابه؛ لأنّ الأدلّه المانعه عن تفسیر القرآن خاصّه والمثبته لحجیّه القرآن عامّه، ولا تنافی بین الخاصّ والعامّ، فیجب تحکیم الخاصّ علی العامّ.

فی الوسائل، عن تفسیر الإمام العسکریّ قال:

... أتَدرُونَ مَنِ المُتَمَسِّکُ الَّذِی لَهُ بِتَمَسُّکِهِ هَذَا الشَّرَفُ العَظِیمُ؟ هُوَ الَّذِی أخَذَ القُرآنَ وتَأوِیلَهُ عَنَّا أهلَ البَیتِ، عَن وَسَائِطِنَا السُّفَرَاءِ عَنَّا إلَی شِیعَتِنَا لا عَن آرَاءِ المُجَادِلِینَ وقِیَاسِ الفَاسِقِینَ. فَأمَّا مَن قَالَ فِی القُرآنِ بِرَأیِهِ، فَإنِ اتَّفَقَ لَهُ مُصَادَفَهُ صَوَابٍ، فَقَد جَهِلَ فِی أخذِهِ عَن غَیرِ أهلِهِ وکَانَ کَمَن سَلَکَ مَسبَعاً مِن غَیرِ حُفَّاظٍ یَحفَظُونَهُ؛ فَإنِ اتَّفَقَت لَهُ السَّلَامَهُ، فَهُوَ لا یَعدَمُ مِنَ العُقَلَاءِ الذَّمَّ والتَّوبِیخَ وإنِ اتَّفَقَ لَهُ افتِرَاسُ السَّبُعِ، فَقَد جَمَعَ إلَی هَلَاکِهِ سُقُوطَهُ عِندَ الخَیِّرِینَ الفَاضِلِینَ وعِندَ العَوَامِّ الجَاهِلِینَ؛ وإن أخطَأ القَائِلُ فِی القُرآنِ بِرَأیِهِ فَقَد تَبَوَّأ مَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ؛ وکَانَ مَثَلُهُ مَثَلَ مَن رَکِبَ بَحراً هَائِجاً بِلَا مَلَّاحٍ ولَا سَفِینَهٍ صَحِیحَهٍ لا یَسمَعُ بِهَلَاکِهِ أحَدٌ إلَّا قَالَ: هُوَ أهلٌ لِمَا لَحِقَهُ ومُستَحِقٌّ لِمَا أصَابَه... .(۱)

واضح أنّه لیس للقرآن فی مرتبه دعوته العامّه ما یحتاج إلی قیاس الفاسقین وآراء المجادلین. ولا یوجد فی تلک المرتبه استنباط کی یصیب أو یخطئ بل فی

۱- وسائل الشیعه، ج۲۷، ص۲۰۱، ح۶۳ [۳۳۵۹۴]؛ تفسیر الإمام الحسن العسکریّ، ص۱۴، ح۱۴ باختلاف یسیر.

ص: ۱۰۱

هـذه وأمثـاله، قرينةٌ على أنّ الحرام والممنوع فى الأحـاديث إعمال الرأى فى العلوم التى تحتاج إلى الاسـتنباط. وضـرورىّ أنّه لا سبيل إلى ذلك فى الأحكام وغيره من العلوم والمعارف إلّا الأخذ عن أهل البيت.

تبعات التفسير بالرأى

مع وجود المنع الشديد من التفسـير بالرأى وحرمته، إلّا أنّ البعض، قال بالرأى واستغنى عن بيان الرسول الأكرم وفسّر الآيات القرآنيّه بـأُمور توافق آرائه وتخرّصاته ولأجل رفع التهافت الموجود فى آرائه وأفكاره، قام مجبَراً بتأويلات لا أساس لها. فعلى سبيل المثال لقد فسّـروا الوحى باتّصـال نفس النبىّ بعالم العقل وأنّ المَلِك من خواصّ نفس الرسول(۱) ، وأنّ المعجزات لابـدّ من تطبيقها على قانون العلّيه والمعلوليه.وحاصـل مقالاتهم أنّ القوانين الفلسـفيّه والعرفانيّه فى كلّ باب من أبواب المعارف الإلهيّه من المبـدأ والمعاد، حاكمه على القرآن والسنّه ولابدّ من تنزيل الآيات والروايات من مقامهما الشامخ وتأويلهما إذا كانت مخالفه لتلك القوانين.

فى هذه الطريقه التفسيريّه الواضح بطلانها ووهنها يُفَسّر القرآن فى غير الأحكام، بالآراء الشخصيّه، هذا من جانب؛ ومن جانب آخر أنّ مفسرى أهل السّنه تشبّثوا بكلمات القدماء من المتكلّمين فى خلق القرآن

۱- قـال ميردامـاد فى كتـابه القبسات، ص۴۰۲: وحقيقه الإيحـاء والوحى مخـاطبه العقـل الفعّـال للنفس النـاطقه بألفـاظ منظَّمه مسوّغه مفصّله.

ص: ۱۰۲

وقِدَم الكلام(۱)، ومخلوقيّه أفعال العباد واستقلال العباد فى أعمالهم وأفعالهم،(۲) وكلّ واحد منهم يؤيّد مذهبه بآيه وينقض ما يخالفه بآيه أُخرى. إنّهم يفسّرون آيات الأحكام بما عندهم من المبانى ويعرضون القرآن على ما عندهم من العلوم والآراء، فإن طابق مع ما عندهم فبها، وإلّا أوّلوا الآيات الشريفه، لتطابق آرائهم العقائديّه والفكريّه.

فالواجب على أهل الاسلام أن يعرضوا جميع العقائد والآراء والأنظار على القرآن فى مرتبه دعوته العامّه من نصوصه ومحكماته وأُصوله المسلّمه الواضحه، وفى مرتبه علومه الخاصّه فإنّه يجب عرضها على القرآن بعد تفسيره وتوضيحه بتعليم الرسول والأئمّه من أهل بيته فإن طابق القرآن اعتقدوا وتمسّكوا به وإن لم يطابقه، فلابدّ من التوقّف والتثبّت وإيكال علمه إلى اللّه وأوليائه. وليعلموا أنّ القرآن لا يكون آيات بيّنات إلّا فى صدور الذين أُوتوا العلم وهو ضلال لغيرهم فى مرتبه الدعوه الخاصّه.

۱- قال الإمام الطحاوىّ فى شرح العقيده الطحاويّه، ص۱۶۹ بعد ما ذكر تسعه أقوال فى المسأله يقول فى القول التاسع إنّ هذا القول مأثور عن أئمه الحديث والسنّه وهو: إنّه تعالى لم يزل متكلّماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلّم به بصوت يسمع، وأنّ نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً. لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب: سدّ المفر على قائل بالقَدَر، ص۲۳

۲- قال إمام الحرمين أبو الحسين البصرىّ: إنّ أفعال العباد بقدره خلقها الله تعالى فى العبد. لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب: مرآه العقول، ج۲، ص۱۹۵ ۲۱۳؛ الملل والنحل (للشهرستانىّ)، ج۱، ص۵۶ (الفصل الأوّل، المعتزله).

ص: ۱۰۳

يقول الإمام علىّ ضمن احتجاجه مع زنديق حول آيه متشابهه:

وَقَد جَعَلَ اللَّهُ لِلعِلمِ أهلًا، وَفَرَضَ عَلَى العِبَادِ طَاعَتَهُم بِقَولِهِ؟ أطِيعُوا اللَّهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأمرِ مِنكُم (۱) وَبِقَولِهِ: وَ لَو رَدُّوهُ إلَى الرَّسُولِ وَإلى أُولِى الأمرِ مِنهُم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَستَنبِطُونَهُ مِنهُم ۲) وَبِقَولِهِ: اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ۳) وَبِقَولِهِ: وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى العِلمِ (۴) [وَ بِقَولِهِ:] وَأتُوا البُيُوتَ مِن أبوابِها وَالبُيُوتُ هِيَ بُيُوتُ العِلمِ الَّذِى استُودِعَتهُ الأنبِيَاءُ وَأبوَابُهَا أوصِيَاؤُهُم، فَكُلُّ مَن عَمِلَ مِن أعمَالِ الخَيرِ، فَجَرَى عَلَى غَيرِ أيدِى أهلِ الإصطِفَاءِ وَعُهُودِهِم وَشَرَائِعِهِم وَسُنَنِهِم وَمَعَالِمِ دِينِهِم، مَردُودٌ وَغَيرُ مَقبُولٍ وَأهلُهُ بِمَحَلِّ كُفرٍ وَإن شَمِلَتهُم صِفَهُ الإيمَان... .(۵)

وقال الإمام الصادق:

إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّداً، فَختَمَ بِهِ الأنبِيَاءَ فَلَا نَبِيَّ بَعدَهُ وَأنزَلَ عَلَيهِ كِتَاباً، فَختَمَ بِهِ الكُتُبَ فَلَا كِتَابَ بَعدَهُ أحَلَّ فِيهِ حَلَالاً

۱- النساء (۴)، الآيه ۵۹.

۲- النساء (۴)، الآيه ۸۳.

۳- التوبه (۹)، الآيه ۱۱۹.

۴- آل عمران (۳)، الآيه ۷.

۵- الاحتجاج، ج۱، ص۲۴۸؛ بحارالأنوار، ج۶۵، ص۲۶۶، ح۲۳ (الباب ۲۴ من أبواب الإيمان والإسلام والتشيّع و... من كتاب الإيمان والكفر).

ص: ۱۰۴

وَحَرَّمَ حَرَاماً، فَحَلَالُهُ حَلَالٌ إِلَى يَومِ القِيَامَهِ وَحَرَامُهُ حَرَامٌ إِلَى يَومِ القِيَامَهِ فِيهِ شَرعُكُم وَخَبَرُ مَن قَبلَكُم وَبَعدَكُم.

وَجَعَلَهُ النَّبِيُّ عَلَماً بَاقِياً فِي أوصِيَائِهِ فَتَرَكَهُمُ النَّاسُ وهُمُ الشُّهَدَاءُ عَلَى أهلِ كُلِّ زَمَانٍ، وَعَدَلُوا عَنهُم ثُمَّ قَتَلُوهُم وَاتَّبَعُوا غَيرَهُم، ثُمَّ أخلِصوا لَهُم الطَّاعَهَ، حَتَّى عَانَدُوا مَن أظهَرَ وِلَايَهَ وُلَاهِ الأمرِ وطَلَبَ عُلُومَهُم قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ: وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ولاتَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَهٍ مِنهُم (۱) وذَلِكَ أنَّهُم ضَرَبُوا بَعضَ القُرآنِ بِبَعضٍ، واحتَجُّوا بِالمَنسُوخِ، وهُم يَظُنُّونَ أنَّهُ النَّاسِخُ، واحتَجُّوا بِالمُتَشَابِهِ، وَهُم يَرَونَ أنَّهُ المُحكَمُ وَاحتَجُّوا بِالخَاصِّ، وهُم يُقَدِّرُونَ أنَّهُ العَامُّ، وَاحتَجُّوا بِأوَّلِ الآيَهِ وَتَرَكُوا السَّبَبَ فِي تَأوِيلِهَا، وَلَم يَنظُرُوا إِلَى مَا يَفتَحُ الكَلَامَ، وَإِلَى مَا يَختِمُهُ، وَلَم يَعرِفُوا مَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ، إذ لَم يَأخُذُوهُ عَن أهلِهِ فَضَلُّوا وَأضَلُّوا.

وَاعلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أنَّهُ مَن لَم يَعرِف مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسِخَ مِنَ المَنسُوخِ وَالخَاصَّ مِنَ العَامِّ وَالمُحكَمَ مِنَ المُتَشَابِهِ وَالرُّخَصَ مِنَ العَزَائِمِ وَالمَكِّيَّ وَالمَدَنِيَّ وَأسبَابَ التَنزِيلِ وَالمُبهَمَ مِنَ القرآنِ فِي ألفَاظِهِ المُنقَطِعَهِ وَالمُؤَلِّفِهِ وَمَا فِيهِ مِن عِلمِ القَضَاءِ وَالقَدرِ وَالتَّقدِيمِ وَالتَّأخِيرِ وَالمُبَيَّنِ وَالعَمِيقِ وَالظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ وَالإبتِدَاءِ وَالإنتِهَاءِ وَالسُّؤَالِ وَالجَوَابِ وَالقَطعِ وَالوَصلِ وَالمُستَثنَى مِنهُ وَالجَارِي فِيهِ وَالصِّفَهِ لِمَا قَبلُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَا بَعدِ وَالمُؤَكَّدِ

۱- المائده (۵)، الآیه ۱۳.

ص: ۱۰۵

مِنهُ وَالمُفَصَّلِ، وَعَزَائِمِهِ وَرُخَصِهِ، وَمَواضِعِ فَرَائِضِهِ وَأحكامِهِ وَمَعنیٰ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ الَّذِی هَلَکَ فِیهِ المُلحِدُونَ، والمَوصُولِ مِنَ الألفَاظِ وَالمَحمُولِ عَلیٰ مَا قَبلَهُ وَعَلیٰ مَا بَعدِهُ فَلَیسَ بِعَالَمٍ بِالقُرآنِ وَلَا هُوَ مِن أهلِهِ... .(۱)

وقفه مع منهج الصحابه والتابعین فی التفسیر

إنّ فئهً من بین مسلمی صدر الاسلام أقبلوا إلی القرآن بقلوبهم واغترفوا من زُلال معارفه التی نبعت من تعالیم الرسول وارتووا منه، أُولئک الذین کانوا یرون أنفسهم قریبین من الوحی وتعالیم السماء؛ أمثال سلمان وأبی ذرّ، السابقین إلی ساحات العلم والعمل؛ إلّا أنّ هذا الأمر لم یَدم. فبعد رحله الرسول ومع المؤامرات الکثیره التی حیکت من قبل خلفاء الجور، والانحراف فی مسأله الإمامه وقیاده الأُمّه الاسلامیّه، فإنّ طرق تعلیم القرآن وتفسیره خرجت عن مسارها الصحیح. إنّ هذه الواقعه کانت السبب فی خلق آفات وصدمات شتّی علی المجتمع الاسلامیّ الذی لم یمضِ علی تأسیسه إلّا سنوات. والظاهر أنّ أساس الانحرافات التفسیریّه التالیّه یرجع إلی هذا الزمن.

فإن قیل: قد صحّ وثبت عند رجال المسلمین فی صدر الاسلام الغور والخوض فی علوم القرآن والتماس عجائبه وغرائبه، وإخلاصهم مقبول

۱- بحارالأنوار، ج ۹۰، ص۳ (الباب ۱۲۸ من أبواب فضائل سور القرآن وآیاته من کتاب القرآن) سیأتی شرح الحدیث فی الدرس السابع.

ص: ۱۰۶

عنـد عموم المسـلمين. فـإنّهم بـذلوا غـايه مجهودهم فى أمر الـدين وتشـييد مبانيه وتحكيم أُصوله، فكيف يجوز التخطّى والتجاوز عن مشـيهم. وهم الوسائـط بيننـا وبين الرسـول فى جميـع الشـؤون الـديـنيّه فكيف يمكن أن يقـال: إنّ مشـيّهم فى تفسـير القرآن واسـتنباط الأحكام وتحقيق المعارف نابع ومحدَث من عند أنفسهم، غير متلقٍّ عن الرسول ؟

قلت: رجـال الاسـلام مع ما لهم من الشؤون يحرم علينا تقليـدُهم، ولا يجوز تصـحيح طريقتهم فى دراسه العلوم الـديـنيّه، فالواجب علينا التحرّى وبذل المساعى فى إحقاق الحقّ واستنباط العلوم والأحكام من المجارى الصحيحه. ولا يجوز لأحدٍ توقيف العلوم على أفهامهم وعقولهم. هذا أوّلاً.

ثانيـاً: إنّ التنـويه بأسـمائهم وشـدّه مسـاعيهم يكـذّبها العيـان، فـإنّهم لم يحفظـوا عن رسول اللّه وضـوءه مـدّه عمره مـع وجوده بين أظهرهم.(۱)

ثالثاً: ليس فيهم مقام علمىّ يجمع شتاتهم ويقودهم على أمر واحد حتّى أنّ بعضهم قد منع عن كتابه الحديث ونقل السنّه النبويّه.(۲)

رابعاً: إنّ المشهود من كلماتهم ومقالاتهم وكتبهم فى الفقه والتفسير آراء ساذجه(۳) مستنده إلى أُصول ضعيفه وقياسات باطله؛ فهؤلاء لم يعرفوا

۱- راجع: كتاب وضوء النبىّ (للسيّد علىّ الشهرستانىّ).

۲- كمـا ورد عن عـائشه أنّهـا قالت: «جمع أبى الحـديث عن رسول وكـانت خمسـمائه حـديث... قال أبى بتيّه هلمّى الأحاديث التى عندك فجئته بها،فدعا بنار فحرقها...». لمزيد الاطّلاع راجع كتاب منع تدوين الحديث(للسيّد علىّ الشهرستانىّ).

۳- قـال جصـاص فى كتابه أحكام القرآن، ج۲، ص۱۱۳: «... روى عن عـائشه أنّهـا كـانت ترى رضـاع الكبير موجباً للتحريم كرضاع الصغير». لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب سنن النسائىّ، ج۶، ص۱۰۴.

ص: ۱۰۷

الناسخ من المنسوخ فى الكتاب والسـنّه، والخاصّ من العامّ والمحكم من المتشابه، ولم يُتقِن أحدٌ من الصحابه والتابعين أُصول التفسير والاستنباط، ولم يحفظوا عن الرسول فى جميع ما يحتاجون إليه فى فهم مسأله واحده.

ورد فى الكافى، عن علىّ بن إبراهيم مسنداً عن سليم بن قيس الهلالىّ قال:

قُلتُ لِأمِيرِالمُؤمِنِينَ: إنِّى سَـمِعتُ مِن سَـلمَانَ والمِقدَادِ وأبِى ذَرٍّ شَـيئاً مِن تَفسِيرِ القُرآنِ وأحَادِيثَ عَن نَبِى اللَّهِ غَيرَ مَا فِى أيدِى النَّاسِ، ثُمَّ سَـمِعتُ مِنـكَ تَصـدِيقَ مَا سَـمِعتُ مِنهُم وَرَأيتُ فِى أيـدِى النَّاسِ أشيَاءَ كَثِيرَهً مِن تَفسِـيرِ القُرآنِ وَمِنَ الأحَادِيثِ عَن نَبِىِّ اللَّهِ أنتُم تُخَالِفُونَهُم فِيهَا، وَتَزعُمُونَ أنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بَاطِلٌ؛ أفَتَرَى النَّاسَ يَكذِبُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُتَعَمِّدِينَ ويُفَسِّرُونَ القُرآنَ بِآرَائِهِم؟

قَالَ: فَأقبَلَ عَلَىَّ. فَقَالَ: قَد سَألتَ فَافهَم الجَوَابَ:

إنَّ فِى أيـدِى النَّاسِ حَقّاً وبَاطِلًا، وَصِـدقاً وَكَـذِباً، وَنَاسِـخاً وَمَنسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفظاً وَوَهَماً. وَقَد كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَى عَهـدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً. فَقَالَ: أيُّهَا النَّاسُ قَـد كَثُرَت عَلَىَّ الكَـذَّابَهُ، فَمَن كَـذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّداً فَلِيَتَبَوَّأ مَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ؛ ثُمَّ كُذِبَ عَلَيهِ مِن بَعدِهِ.

وَإنَّمَا أتَاكُمُ الحَدِيثُ مِن أربَعَهٍ لَيسَ لَهُم خَامِسٌ: رَجُلٍ مُنَافِقٍ يُظهِرُ الإيمَانَ، مُتَصَنِّعٍ بِالإسلَامِ، لا يَتَأثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ أن يَكذِبَ

ص: ۱۰۸

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُتَعَمِّداً. فَلَو عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَذَّابٌ، لم يَقبَلُوا مِنهُ وَلَم يُصَدِّقُوهُ ولَكِنَّهُم قَالُوا: هَذَا قَد صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ وَرَآهُ وسَمِعَ مِنهُ؛ وأَخَذُوا عَنهُ، وَهُم لا يَعرِفُونَ حَالَهُ. وَقَد أخبَرَهُ اللَّهُ عَنِ المُنَافِقِينَ بِمَا أخبَرَهُ ووَصَفَهُم بِمَا وَصَفَهُم فَقَالَ عَزَّ وجَلَ: وإذا رَأيتَهُم تُعجِبُكَ أجسامُهُم وَإن يَقُولُوا تَسمَع لِقَولِهِم ثُمَّ بَقُوا بَعدَهُ فَتَقَرَّبُوا إلَى أئِمَّةِ الضَّلَالَةِ وَالدُّعَاةِ إلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالكَذِبِ وَالبُهتَانِ فَوَلَّوهُمُ الأعمَالَ وَحَمَلُوهُم عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَأكَلُوا بِهِمُ الدُّنيَا، وَإنَّمَا النَّاسُ مَعَ المُلُوكِ وَالدُّنيَا إلَّا مَن عَصَمَ اللَّهُ؛ فَهَذَا أحَدُ الأربَعَةِ.

وَرَجُلٍ سَمِعَ مِن رَسُولِ اللَّهِ شَيئاً لَم يَحمِلهُ عَلَى وَجهِهِ وَوَهِمَ فِيهِ وَلَم يَتَعَمَّد كَذِباً فَهُوَ فِي يَدِهِ، يَقُولُ بِهِ وَيَعمَلُ بِهِ وَيَروِيهِ، فَيَقُولُ: أنَا سَمِعتُهُ مِن رَسُولِ اللَّهِ فَلَو عَلِمَ المُسلِمُونَ أنَّهُ وَهَمٌ لَم يَقبَلُوهُ، وَلَو عَلِمَ هُوَ أنَّهُ وَهَمٌ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُلٍ ثَالِثٍ سَمِعَ مِن رَسُولِ اللَّهِ شَيئاً أمَرَ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنهُ وَهُوَ لا يَعلَمُ، أو سَمِعَهُ يَنهَى عَن شَيءٍ ثُمَّ أمَرَ بِهِ وَهُوَ لا يَعلَمُ، فَحَفِظَ مَنسُوخَهُ وَلَم يَحفَظِ النَّاسِخَ. وَلَو عَلِمَ أنَّهُ مَنسُوخٌ لَرَفَضَهُ. وَلَو عَلِمَ المُسلِمُونَ إذ سَمِعُوهُ مِنهُ أنَّهُ مَنسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرَ رَابِعٍ لَم يَكذِب عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُبغِضٍ لِلكَذِبِ خَوفاً مِنَ اللَّهِ وَتَعظِيماً لِرَسُولِ اللَّهِ لَم يَنسَهُ، بَل حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى

ص: ۱۰۹

وَجهِهِ فَجَاءَ بِهِ كَمَا سَمِعَ لَم يَزِد فِيهِ وَلَم يَنقُص مِنهُ، وَعَلِمَ النَّاسِخَ مِنَ المَنسُوخِ، فَعَمِلَ بِالنَّاسِخِ وَرَفَضَ المَنسُوخَ؛ فَإِنَّ أمرَ النَّبِيِّ مِثلُ القُرآنِ نَاسِخٌ وَمَنسُوخٌ [وَخَاصٌّ وَعَامٌّ] وَمُحكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ قَد كَانَ يَكُونُ مِن رَسُولِ اللَّهِ الكَلَامُ لَهُ وَجهَانِ: كَلَامٌ عَامٌّ وكَلَامٌ خَاصٌّ مِثلُ القُرآنِ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿مَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُم عَنهُ فَانتَهُوا ﴾ فَيَشتَبِهُ عَلَى مَن لَم يَعرِف وَلَم يَدرِ مَا عَنَى اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَلَيسَ كُلُّ أصحَابِ رَسُولِ اللَّهِ كَانَ يَسأَلُهُ عَنِ الشَّيءِ فَيَفهَمُ وَكَانَ مِنهُم مَن يَسأَلُهُ وَلَا يَستَفهِمُهُ حَتَّى إن كَانُوا لَيُحِبُّونَ أن يَجِيءَ الأعرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسأَلَ رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى يَسمَعُوا.

وَقَد كُنتُ أدخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ كُلَّ يَومٍ دَخلَةً وَكُلَّ لَيلَةٍ دَخلَةً فَيُخلِينِي فِيهَا أدُورُ مَعَهُ حَيثُ دَارَ. وَقَد عَلِمَ أصحَابُ رَسُولِ اللَّهِ أنَّهُ لَم يَصنَع ذَلِكَ بِأحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيرِي، فَرُبَّمَا كَانَ فِي بَيتِي يَأتِينِي رَسُولُ اللَّهِ أكثَرُ ذَلِكَ فِي بَيتِي، وَكُنتُ إذَا دَخَلتُ عَلَيهِ بَعضَ مَنَازِلِهِ أخلَانِي وَأقَامَ عَنِّي نِسَاءَهُ، فَلَا يَبقَى عِندَهُ غَيرِي، وَإذَا أتَانِي لِلخَلوَةِ مَعِي فِي مَنزِلِي لم تَقُم عَنِّي فَاطِمَهُ وَلَا أحَدٌ مِن بَنِيَّ؛ وَكُنتُ إذَا سَألتُهُ أجَابَنِي وَإذَا سَكَتُّ عَنهُ وَفَنِيَت مَسَائِلِي ابتَدَأنِي، فَمَا نَزَلَت عَلَى رَسُولِ اللَّهِ آيَهٌ مِنَ القُرآنِ إلَّا أقرَأنِيهَا وَأملَاهَا عَلَيَّ فَكَتَبتُهَا بِخَطِّي وعَلَّمَنِي تَأوِيلَهَا

ص: ۱۱۰

وَتَفسِیرَهَا، وَنَاسِخَهَا وَمَنسُوخَهَا، وَمُحکَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا، وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَدَعَا اللَّهَ أن یُعطِیَنِی فَهمَهَا وَحِفظَهَا فَمَا نَسِیتُ آیَهً مِن کِتَابِ اللَّهِ وَلَا عِلماً أملَاهُ عَلَیَّ وَکَتَبتُهُ مُنذُ دَعَا اللَّهَ لِی بِمَا دَعَا، وَمَا تَرَکَ شَیئاً عَلَّمَهُ اللَّهُ مِن حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ، وَلَا أمرٍ وَلَا نَهیٍ، کَانَ أو یَکُونُ، وَلَا کِتَابٍ مُنزَلٍ عَلَی أحَدٍ قَبلَهُ مِن طَاعَهٍ أو مَعصِیَهٍ إلَّا عَلَّمَنِیهِ وَحَفِظتُهُ، فَلَم أنسَ حَرفاً وَاحِداً.

ثُمَّ وَضَعَ یَدَهُ عَلَی صَدرِی وَدَعَا اللَّهَ لِی أن یَملَأ قَلبِی عِلماً وَفَهماً، وَحُکماً وَنُوراً. فَقُلتُ: یَا نَبِیَّ اللَّهِ بِأبِی أنتَ وَأُمِّی مُنذُ دَعَوتَ اللَّهَ لِی بِمَا دَعَوتَ لَم أنسَ شَیئاً وَلَم یَفُتنِی شَی ءٌ لَم أکتُبهُ أفَتَتَخَوَّفُ عَلَیَّ النِّسیَانَ فِیمَا بَعدُ؟ فَقَالَ: لَا، لَستُ أتَخَوَّفُ عَلَیکَ النِّسیَانَ وَالجَهلَ.(۱)

فتلخّص ممّا ذکرنا؛ أنّ مورد التفسیر بالرأی المحرّم هو الاستقلال فی تفسیرالقرآن فی مرتبه علومه الخاصّه لا سیّما فی المقیّدات والمخصِّصات المودعه عند النبیّ. ولا یکفی فی المقام تفسیر القرآن بالقرآن.

۱۷التأویل

التأویل فی القرآن

۱- الکافی، ج۱، ص۶۲، ح۱؛ بحارالأنوار، ج۲، ص۲۲۸، ح۱۳ (الباب ۲۹ من أبواب العلم من کتاب العقل والعلم والجهل).

ص: ۱۱۱

ص: ۱۱۲

ص: ۱۱۳

قال الله تعالی:

﴿هُوَ الَّذِی أنزَلَ عَلَیکَ الکِتَابَ مِنهُ آیاتٌ مُحکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الکِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأمَّا الَّذینَ فِی قُلُوبِهِم زَیغٌ فَیَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ ابتِغَاءَ الفِتنَهِ وَابتِغَاءَ تَأوِیلِهِ وَمَا یَعلَمُ تَأوِیلَهُ إلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی العِلمِ یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ کُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا وَمَا یَذَّکَّرُ إلّا اُولُوالبَاب(۱).﴾

لقد صرّح الله تعالی فی هذه الآیه بانقسام الکتاب إلی المحکم والمتشابه وصرّح أیضاً بأنّ الآخذین بالکتاب والمتمسّکین به بلحاظ الاعتقاد والعمل به ینقسمون علی قسمین:

القسم الأوّل: أهل الزیغ والأهواء والانحراف یبغون علی سبیل الحقّ، إنّهم وبتصریح القرآن یتّبعون المتشابهات. ﴿فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنهُ﴾؛ أی: من الکتاب. ﴿ابتِغاءَ الفِتنَهِ﴾؛ أی: طلباً للفتنه. والفتنه، الکفر وما دونه من البِدَع

۱- آل عمران (۳)، الآیه۷.

ص: ۱۱۴

والضـلالات، فطریقه هـذه الفرقه الضـالّه اتّبـاع المتشابهات وترک المحکمات لأجل ابتغاء الفتنه وتأسیسـها وإقامتها. ﴿وَابتِغاءَ تَأویلِهِ﴾؛ هذه بغیه أُخری لهم أسوأ عاقبه وأشدّ ضـرراً علی الدین وأهله؛ وهی التعرّض لتأویل الکتاب محکمه وظاهره ومتشابهه، یؤوّلونه حسب میولهم وطبقـاً لآرائهم ویحرّفون الکَلِم عن مواضع الإفاده والاسـتفاده، ویغیّرون مناهـج الإفهام والتفهیم بالمغالطات، کی تنطبق علی ما یأخذونه من المتشابهات؛ فیقیمون بذلک عماد ضلالهم وزلّتهم. ولو أنّهم بعد أخذ المتشابهات لم یؤوّلوا الکتاب وتمسّکوا بمحکماته ونصوصه وظواهر الدین، لمّا کان ضـررهم علی الاسـلام بهذا المقدار، ولم یتمکّنوا من إغواء الضـعفاء وإضـلال العوامّ؛ فهذه المصیبه هی أعظم مصیبه فی الدین وباب الضلالات التی ینفتح منها ألف باب من الضلال.

وقـد بُلی القرآن الکریم بهذه البلیّه العظمی، وباشـتدادها صار أمر التأویل شائعاً رائجاً، جائزاً عادیّاً، فما بقی فی القرآن أصل محکم إلّا أصابته بلیّه التأویل. منها تأویل المعاد والجنّه والنّار بالمُثُل الخیالیّه المُنشَأهِ بإنشاء النفس.(۱) ومنها ه الفجور والفسوق والکفر والضلال إلی اللّه سبحانه

۱- قال الحکیم اللاهوتیّ فی بـدایع الأسـرار، ص۱۲۹: إنّ أصـحاب السـعداء وأصـحاب الیمین لصفاء قلوبهم وحسن أخلاقهم، یکون قرینهم فی الآـخره الصور الخیـالیّه، من الحور والقصور والحوض والشـراب الطهور وفـاکهه کـثیره ولاـ ممنوعه. وأمّـا الأشـقیاء فلخبث بواطنهم وکـدوره ذواتهم ممّـا حضـرهم فی القیـامه، النـار والسـموم والعقارب والحیّات التی تحصل فی دار المعاد أشـدّ تأثیراً وإیلاماً والتذاذاً من هذه المحسوسات. لمزید من الاطّلاع راجع کتاب معاد از دیدگاه قرآن، حدیث وعقل (للشیخ حسین الربانیّ المیانجیّ).

ص: ۱۱۵

وأنّ نسبه فعل المجعول والمعلول إلى الجاعل أوّلاً وبالذات، وإلى المجعول ثانياً وبالعرض(۱). ومنها تأويل الخلود(۲). ومنها تأويل حدوث العالَم وإثبات قِدَمه(۳). ومنها تأويل معجزات الأنبياء وغير ذلك من الأُمور.

والعجب أنّهم رموا من كان معتقداً بهذه النصوص والمحكمات من الفقهاء والمتكلّمين والمحدّثين وحَمَله الدِّين بالقشريّه ونسبوهم إلى الجهاله والسذاجه. وهذه النسبه خلاف الانصاف والحقّ.

مع أنّ القرآن الكريم له تأويل واحد واقعيّ مقصود لله تعالى، ولا يمكن فهمه إلّا بالرجوع إلى مجراه الصحيح. إنّ المنحرفين لم يتركوا طلب التأويل

۱- كما قال ابن عربیّ فی الفتوحات، ج۲، ص۱۴۰: ... وفی نفس الأمر، الفعل فِعل الله والقَدَر من الله والحكم بكونها معصيه وزلّه ومع هذا، فالأدب يقول له انسبها إلى نفسك. لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب سدّ المفر على القائل بالقَدَر (للشيخ محمّد باقر علم الهدى).

۲- . كما قال ابن عربیّ فی فصوص الحكم، ص۱۶۹ فی فصّ ۱۸ يونسيّه: ... وأمّا أهل النار فمآلهم إلى النعيم، ولكن فی النار، إذ لابدّ لصوره النار بعد انتهاء مدّه العقاب، أن تكون برداً وسلاماً على من فيها وهذا نعيمهم. لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب معاد از ديدگاه قرآن، حديث و عقل.

۳- يقول الشيخ محمّد تقیّ الآملیّ فی درر الفوائد، ج۱، ص۲۶۳: وأمّا على طريقه صدر المتألّهين، فالعقول المفارقه خارجه عن الحكم بالحدوث، لكونها ملحقه بالصنع الربوبیّ لغلبه أحكام الوجود عليها؛ فكأنّها موجوده بوجوده تعالى لابإيجاده. لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب السنخيّه أم الاتحاد والعينيّه أم التباين، (للسيّد جعفر السيّدان).

ص: ۱۱۶

الواقعیّ فحسب، بل بذلوا قصارىٰ جهدهم فی التَلاعُب بکتاب الله وأحکامه ومعارفه ولذلک أوّلوا ظواهر الآیات القرآنیّه بأنواع الشیطنه والمغالطات.

وقد وقع الاختلاف بین المفسّرین فی مرجع الضمیر فی قوله تعالی: «ابتِغاءَ تَأویلِهِ». والظاهر من سیاق الآیه صدراً وذیلًا أنّ الضمیر راجع إلی الکتاب لا المتشابه فقط. والشاهد علی ذلک قوله تعالی: «یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ کُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنا(۱)».

ولایخفی أنّ المراد من لفظ التأویل والظاهر منه هو المعنی المصدریّ وهذا لا ینافی ما سیأتی من أنّ جمیع الکتاب ظاهره ومتشابهه له تأویل واقعیّ مراد للّه سبحانه وله بطون وتخوم إلی سبعه أبطن. فإنّ ما یناسب عمل الزائغین من التأویل هو السّعی لصرف الآیات عن ظواهرها بالمغالطه والشیطنه لا ابتغاء التأویل الواقعیّ المراد عند اللّه سبحانه. وما لهم والتأویل الواقعیّ؟! فإنّهم ما قصدوه وما طلبوه. کیف؛ وبغیتهم وغایه آمالهم التلاعب بالکتاب وبما یتضمّن من المعارف والأحکام !؟

القسم الثانی: الراسخون المستضیئون بنور العقل، وهم العارفون، بأنّ القول بغیر العلم جنایه بالضّروره وأنّ تحریف الکَلِم عن مواضعه، کفر بآیات اللّه بالبداهه؛ فسبیلهم السکوت عن ما لا یعلمون من المتشابه والقیام بما یعرفون من الدّین، احتراماً للحقّ وتشریفاً للعلم وامتثالاً لله جلّ شأنه، والإیمان بما یعلمون وما لا یعلمون من آیات اللّه وسنّه نبیّه والاعتقاد بأنّ طلب العلم فریضه، یدعو إلیه العقل ویهدی إلیه الشرع.

معنی التأویل

۱- آل عمران (۳)، الآیه۷.

ص: ۱۱۷

۱ ما المراد من التأويل الـذى اسـتأثره اللّه تعالى لنفسه وللراسـخين من أوليائه؟ وهل للقرآن بعـد مفاد المحكمات والنصوص والظواهر وجوامع الكَلِم التى كلّم اللّه به خلقه وتجلّى لهم فى كلامه ولكنّهم لا يبصرون، معانٍ ومداليلُ تسمّى بالتأويل؟

لقد صرّحت محكمات الكتاب بوجود التأويل وتواترت السنّه من الرسول والأئمّه من أهل البيت الطاهرين على ذلك. وقد صرّحت تلك النصوص بوجوب الإيمان بظاهر القرآن وباطنه وتنزيله وتأويله فلا يُقبل إيمان الباطنيّه بعد ما انكروا الظّاهر وكفروا به، ولا إيمان الظـاهريّه بعـد ما ردّوا التأويل الـذى بيّن لهم الرسول وخلفاؤه، بـل الـواجب أن يقولوا: آمَنَّا بِهِ كُـلٌّ مِن عِنـدِ رَبِّنَا. ولاـ فرق فى التأويـل بين تأويـل الكتـاب وتأويـل المتشـابه من الكتـاب، من حيث الأحكـام والآثـار المترتّبه على حقيقته. نعم بينهمـا فرق من حيث التحقّق، فتأويل المحكمات والنصوص والظواهر بعد الفراغ عن كاشـفيّتها وسنديّتها للمعانى المراده منها؛ ثمّ تصل النوبه إلى المرادات التـأويليّه بخلاف المتشابه فظواهره ليست مراده منه ولا يكون اللفظ ظاهراً فى معناه التأويلىّ إلّا بعـد البيان. وسـتعرف أنّه لم يقصـد من هـذه المعـانى التـأويليّه، إفهـام عـامّه الخلق فى عرف التخـاطب وإنّهم لاـ يفهمون منها هـذه المعانى وإنّما أفاض اللّه تعالى علمها على خاصّه أوليائه.

والحقّ أنّ التأويل مدلول كلامى ومفهوم من الألفاظ، عنى به المتكلّم

ص: ۱۱۸

إفهاماً لمن خاطبه.

والفرق بينه وبين التفسير، إنّما هو فی أنّ التفسير أقرب من مقاصد المتكلّم من حيث الإفهام والتفهيم. والتأويل فی مرتبه متأخّره عن التفسير وهو مآل الكلام ومرجعه النهائیّ. وقد صرّح أهل اللّغه أنّ «الأوْل» هو الرجوع، ومن هذا الباب ما يقال: «آل» الأمر إلی كذا.(۱) فتأويل الكلام من أفراد التأويل العامّ اللغویّ، غايه الأمر أنّ مآل كلّ شیء بحسبه وبما يناسبه ويلائمه، بخلاف التفسير فإنّه فی اللّغه بمعنی كشف القناع، وينطبق علی الكلام الذی يوضّح ويبيّن المراد من كلام آخر، فتقييد المطلق بدليل آخر وتخصيص العامّ بالقرينه المنفصله داخلان فی باب التفسير لا التأويل.

وينبغی الالتفات إلی أنّه قد يطلق أحدهما علی الآخر فی بعض الموارد، لوجود مناسبه أو بعنايه خاصه.

فلا يجوز الأخذ بالمطلق والعامّ، إذا كان دأب المتكلّم وسنّته الاعتماد علی القيود والقرائن الخارجيّه المنفصله عن الكلام، بل الواجب الفحص والبحث عن مواضعها ومظانّها؛ فظهور الكلام قبل الفحص عن القرائن، ظهور بدويّ لا يجوز الأخذ والتمسّك به.

حقل التأويل

اشاره

هل التأويل مختصّ بالمتشابه أو أنّه ثابت لجميع القرآن؟

الظاهر من الآيه المتقدّمه أنّ التأويل ثابت لجميع القرآن، لما عرفت من

۱- راجع: لسان العرب، ج۱۱، ص۳۲؛ المصباح المنير، ج۲، ص۲۹.

ص: ۱۱۹

أنّ السياق يقتضى رجوع الضمير فى «تَأوِيلِهِ» إلى الكتاب لا المتشابه؛ والشاهد عليه رجوع الضـمير فيما بعد أى قوله تعالى: «آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا(۱)» إلى الكتاب، هذا أوّلاً.

وثانياً: يدلّ على ذلك آيات أُخرى وروايات كثيره نشير إليها باختصار:

الف) الآيات

قوله تعالى:

«وَلَقَد جِئنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلنَاهُ عَلَى عِلمٍ هُدىً وَرَحمَهً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ * هَل يَنظُرُونَ إلَّا تَأويلَهُ يَومَ يَأتى تَأوِيلُهُ...»؛(۲)

«وَمَا كَانَ هَذَا القُرآنُ أن يُفتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ... بَل كَذَّبُوا بِمَا لم يُحِيطُوا بِعِلمِهِ ولَمَّا يَأتِهِم تَأويلُهُ(۳).»

إنّ ضمير «تَأويلُهُ» فى الآيه الأولى راجع إلى قوله: «بِكِتَابٍ فَصَّلنَاهُ» وفى الثانيه راجع إلى«مَا» فى قوله: «بِمَا لَم يُحِيطُوا بِعِلمِهِ».

ب) الروايات

ورد فى بحارالأنوار، عن البصائر، عن أحمد بن محمّد مسنداً عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد اللّه يقول:

۱- آل عمران (۳)، الآيه۷.

۲- الأعراف (۷)، الآيه ۵۲ ۵۳.

۳- يونس (۱۰)، الآيه ۳۷ ۳۹.

ص: ۱۲۰

إنَّ لِلقُرآنِ تَأوِيلًا فَمِنهُ مَا قَد جَاءَ ومِنهُ مَا لَم يَجِئ فَإذَا وَقَعَ التَّأوِيلُ فِي زَمَانِ إمَامٍ مِنَ الأئِمَّهِ عَرَفَهُ إمَامُ ذَلِكَ الزَّمَانِ.(۱)

وفيه أيضاً، عنه، عن محمّد بن الحسين مسنداً عن فُضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عن هذه الروايه> مَا مِنَ القُرآنِ آيَهٌ إلَّا ولَهَا ظَهرٌ وبَطنٌ <فَقَالَ:

ظَهرُهُ تَنزِيلُهُ وبَطنُهُ تَأوِيلُهُ، مِنهُ مَا قَد مَضَى وَمِنهُ مَا لَم يَكُن يَجرِي كَمَا يَجرِي الشَّمسُ وَالقَمَرُ؛ كُلَّمَا جَاءَ تَأوِيلُ شَيءٍ مِنهُ يَكُونُ عَلَى الأموَاتِ، كَمَا يَكُونُ عَلَى الأحيَاءِ قَالَ اللَّهُ: وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إلَّا اللَّهُ والرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ نَحنُ نَعلَمُه.(۲)

وفي كمال الدين، عن المظفّر بن جعفر مسنداً عن سليم بن قيس الهلاليّ قال: سمعت علياً يقول:

مَا نَزَلَت عَلَى رَسُولِ اللَّهِ آيَهٌ مِنَ القُرآنِ إلَّا أقرَأنِيهَا وأملَاهَا عَلَيّ، وَكَتَبتُهَا بِخَطِّي، وَعَلَّمَنِي تَأوِيلَهَا، وَتَفسِيرَهَا وَنَاسِخَهَا وَمَنسُوخَهَا وَمُحكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا... (۳).

۱- بصائر الدرجات، ص۱۹۵، ح۵؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۹۷، ح۶۲ (الباب الثامن من أبواب فضله واحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

۲- بصائرالدرجات، ص۱۹۶، ح۷؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۹۷، ح۶۴.

۳- . كمال الدين وتمام النعمه، ج۱، ص۲۸۴، ح۳۷؛ بحارالأنوار، ج۳۶، ص۲۵۷، ح۷۵ (الباب ۴۱ من أبواب نصوص على أميرالمؤمنين... من كتاب تاريخ أميرالمؤمنين).

ص: ۱۲۱

وفی الإحتجاج، عن علیّ قال:

سَلُونِی عَن کِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ فَوَ اللَّهِ مَا نَزَلَت آیَهٌ مِن کِتَابِ اللَّهِ فِی لَیلٍ وَلَا نَهَارٍ، وَلَا مَسِیرٍ وَلَا مَقَامٍ إلَّا وَقَد أقرَأنِیهَا رَسُولُ اللَّهِ وَعَلَّمَنِی تَأوِیلَهَا؛ فَقَامَ إلَیهِ ابنُ الکَوَّاءِ فَقَالَ: یَا أمِیرَالمُؤمِنِینَ فَمَا کَانَ یَنزِلُ عَلَیهِ وَأنتَ غَائِبٌ عَنهُ؟ قَالَ: کَانَ [یحفظ عَلَیّ] رَسُولُ اللَّهِ مَا کَانَ یُنزَلُ عَلَیهِ مِنَ القُرآنِ وَأنَا غَائِبٌ عَنهُ، حَتَّی أقدَمَ عَلَیهِ فَیُقرِئُنِیهِ وَیَقُولُ لِی یَا عَلِیُّ، أنزَلَ اللَّهُ عَلَیَّ بَعدَکَ کَذَا وَکَذَا وَتَأوِیلُهُ کَذَا وَکَذَا فَیُعَلِّمُنِی تَنزِیلَهُ وَتَأوِیلَهُ.(۱)

وفی تفسیر القمّیّ، عن أبیه مسنداً عن برید بن معاویه، عن أبی جعفر قال:

إنَّ رَسُولَ اللَّهِ أفضَلُ الرَّاسِخِینَ فِی العِلمِ قَد عَلِمَ جَمِیعَ مَا أنزَلَ اللَّهُ عَلَیهِ مِنَ التَّنزِیلِ والتَّأوِیلِ وَمَا کَانَ اللَّهُ لِیُنزِلَ عَلَیهِ شَیئاً، لَم یُعَلِّمهُ تَأوِیلَهُ وَأوصِیَاؤُهُ مِن بَعدِهِ یَعلَمُونَهُ کُلَّه... .(۲)

وفی تفسیر العیّاشیّ، عن أبی عبدالرحمن السلمیّ:

إنَّ عَلِیّاً مَرَّ عَلَی قَاضٍ، فَقَالَ: هَل تَعرِفُ النَّاسِخَ مِنَ المَنسُوخِ؟ فَقَالَ: لا. فَقَالَ: هَلَکتَ وَأهلَکتَ، تَأوِیلُ کُلِّ حَرفٍ مِنَ

۱- الاحتجاج، ج۱، ص۲۶۱؛ بحارالأنوار، ج۱۰، ص۱۲۵، ح۴ (الباب الثامن من أبواب احتجاجات امیرالمؤمنین من کتاب الاحتجاج).

۲- تفسیر القمّیّ، ج۱، ص۹۶؛ بحارالأنوار، ج۲۳، ص۱۹۲، ح۱۵ (الباب العاشر من أبواب الآیات النازله فیهم... من کتاب الإمامه).

ص: ۱۲۲

القُرآنِ عَلَی وُجُوه.(۱)

وفیه، عن السکونی، عن جعفر، عن أبیه، عن جدّه، عن أبیه قال: قال رسول اللّه:

إنَّ فِیکُم مَن یُقَاتِلُ عَلَی تَأوِیلِ القُرآنِ، کَمَا قَاتَلتُ عَلَی تَنزِیلِهِ وَهُوَ عَلِیُّ بنِ أبِی طَالِب(۲).)

وفیه، عن یوسف بن السخت البصریّ قال: رأیت التوقیع بخط محمّد بن محمّد بن علیّ فکان فیه:

الَّذِی یَجِبُ عَلَیکُم ولَکُم أن تَقُولُوا: إنَّا قُدوَهُ اللهِ وأئِمَّهٌ وخُلَفَاءُ اللَّهِ فِی أرضِهِ، وأُمَنَاؤُهُ عُلَی خَلقِهِ، وَحُجَجُهُ فِی بِلَادِهِ؛ نَعرِفُ الحَلَالَ وَالحَرَامَ وَنَعرِفُ تَأوِیلَ الکِتَابِ وفَصلَ الخِطَابِ.(۳)

وفیه، عن أبی الصباح قال: قال أبوعبد اللّه:

إنَّ اللَّهَ عَلَّمَ نَبِیَّهُ التَّنزِیلَ وَالتَّأوِیلَ، فَعَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلِیّاً(۴).)

۱- تفسیر العیاشیّ، ج۱، ص۱۲، ح۹؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۹۵، ح۴۹ (الباب الثامن من أبواب فضله وأحکامه وإعجازه من کتاب القرآن).

۲- تفسیر العیاشیّ، ج۱، ص۱۲، ح۶ ؛ وسائل الشیعه، ج۲۷، ص۲۰۴، ح۷۵ [۳۳۶۰۶] (الباب ۱۳ من أبواب صفات القاضی من کتاب القضاء).

۳- تفسیر العیاشیّ، ج۱، ص۱۶، ح۱۰؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۹۶، ح۵۸ (الباب الثامن من أبواب فضله وأحکامه وإعجازه من کتاب القرآن) و فیه: «إنّا قدوه و الإئمّه».

۴- تفسیر العیاشیّ، ج۱، ص۱۷، ح۱۳؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۹۷، ح۶۱ .

ص: ۱۲۳

فالمتحصّل من جميع هذه الروايات الشريفه وغيرها من الروايات أنّ القرآن كلّه؛ محكمه ومتشابهه له تأويل. ولا مانع من إرجاع الضمير فی قوله تعالی: ﴿ابتِغاءَ تَأويلِهِ﴾ و﴿وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ(۱)﴾ إلی الكتاب كلّه لا المتشابه فقط.

العالمون بالتأويل

إنّ القرآن الكريم يذكرالمؤمنين والمنحرفين وكيفيّه تعاملهم مع الآيات المحكمه والمتشابهه ويوبّخ المنحرفين لاتّباعهم الآيات المتشابهه ويؤكّد علی أنّ علم التأويل مختصّ بالله والراسخين فی العلم.

يقول الله تبارك تعالی: ﴿وَمَايَعلَمُ تَأويلَهُ إلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی العِلمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنا وَمَا يَذَّكَّرُ إلَّا أُولُوا الألبابِ(۲).﴾

ويظهر بعد التأمّل أنّ الآيه الكريمه، ليست فی مقام إثبات علم التأويل للّه تعالی فقط، بل إنّها فی مقام بيان نفی الاستقلال والتفويض عن العالمين بالتأويل؛ أی كما أنّ الله سبحانه وتعالی هو السبب الأصلیّ فی الأفعال الواقعه منه فی نظام الأسباب والمسبّبات؛ ولم يفوّض الأُمور إلی الأسباب كذلك، يجب أن يكون العالِم بالتأويل مأذوناً من الله سبحانه؛ وعليه لا فرق فی كون> الواو <فی قوله تعالی: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِی العِلمِ﴾ للعطف أو الاستئناف. فالعلم بالتأويل من خصائص الرسول وأهل بيته﴾ وغيرهم وإن كان عالماً وراسخاً فی القرآن، لا يكون عالماً وراسخاً فی علم التأويل،

۱- آل عمران (۳)، الآيه ۷.

۲- آل عمران (۳)، الآيه ۷.

ص: ۱۲۴

ولذلك لا يمكن أن يعرف العلماء التأويل إلّا بالرجوع إليهم.

وقد فُسّر «وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ» فى كثير من الروايات بالنبىّ وأهل بيته وفيها التحذير من المنع من تأويل القرآن بالرأى.

بيان ذلك: إنّه لابدّ من نفى الاستقلاليّه عن الأسباب فى الأفعال التى تصدر عن الله ما عدا أفعال العباد الاختياريّه فى نظام الأسباب والمسبّبات. فمدبّرات الأُمور الموكّله لإجراء أمره تعالى وإنفاذ حكمه، أسباب لابدّ من تأثيرها فى المسبَّات بإذنه. فعلى سبيل المثال إنّ الموكَّلين لقبض الأرواح وتوفّى النفوس، مأمورون بإنفاذ أمره تعالى ولا استقلال لهم فى ذلك ولا تفويض فيصحّ أن يقال: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوتِها(۱)» وكذا يصحّ أن يقال: «قُل يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ المَوتِ الَّذى وُكِّلَ بِكُم(۲)» ، ويصحّ أن يقال: لا قابض إلّا اللّه. ويصحّ أيضاً أن يقال: إنّ قابض الأرواح هو عزرائيل؛ وهكذا فى غيره من أفعاله سبحانه الواقعه فى نظام الأسباب. فمعنى الحصر فى هذه الموارد ليس إلّا إثبات التوحيد وإبطال توهّم الاستقلال والتفويض لا- نفى الأسباب بالكليّه. ومن هذا الباب، باب الرزق والشفاء والعافيه. فلو كان أحد هذه الأسباب أو شرائطها تحت الاختيار فلا- محاله يكون متعلّقاً للتكليف، فيجب أو يستحبّ على المكلّف تنظيم الأسباب المقدوره لكسب الرزق مثلاً.

۱- الزمر (۳۹)، الآيه ۴۲.

۲- السجده (۳۲)، الآيه ۱۱.

ص: ۱۲۵

إذا تقرّر ذلک فنقول: لاـ فرق فی المقام بین کون «الواو» للعطف أو للاستئناف، فإن کان للعطف یکون المعنی: إنّ اللّه تعالی والراسخین فی العلم یعلمون تأویل الکتاب، لا عامّه المخاطبین. وإن کان للاستئناف یکون المعنی: إنّ اللّه تعالی یعلم تأویل الکتاب؛ وأمّا غیره تعالی فلابدّ فی إثبات علم التأویل لهم من دلیل منفصل ولا یکون إلّا فی الراسخین فی العلم.

وبما أنّ العلم بتأویل الکتاب، خارج عن حدود التعالیم العادیّه الأوّلیّه لکلّ أحد ولا یعلمه إلّا الراسخون فی العلم، فإنّ الناس غیر مسؤولین عن تعلّم التأویل، إلّا أنّ عامّه الناس وعامّه الجنّ مسؤولون عن القرآن من حیث الإیمان به والاتّقاء من الله وبما عرفوا وعلموا من دعوته وندائه العام إلی شرق العالَم وغربه.

فهذه الآیه الکریمه نصّ فی أنّ التأویل لم یکلّف به کلّ واحد مباشره. وهی صریحه فی أنّ التأویل لا یطلق علی مدالیل المحکمات والظواهر والنصوص إلّا بضرب من العنایه والتجوّز.

ولایهمّنا البحث فی أنّ علم الرسول الذی هو أفضل الراسخین فی العلم بالتأویل، یکون من مجری هذه الکلمات والحروف أو أنّ له طریق آخر غیر الألفاظ والحروف؟

لأنّه بدیهیّ أنّ الکلمات والألفاظ لیست طریقاً متعارفاً للتأویل، إذ لو کان کذلک لکان یناله الکلّ ولما کان للاستثناء وجه، فتعیّن أنّ الراسخین من أهل بیته أخذوا علم التأویل عنه ولا یمکن هذا الرسوخ لهم من عند أنفسهم.

ص: ۱۲۶

إن قیل: ما المانع من القول بأنّ الراسخین فی العلم یعلمون تأویل القرآن أو آیاته المتشابهه بالتدبّر والتفکّر، کما أنّهم یعلمون تنزیل الکتاب کذلک؟

قلت: قام الدلیل علی حجّیّه کلام الله لمدلوله، سواء کان نصّاً أو ظاهراً، أفاد الیقین أو الاطمئنان؛ فصار حجّه وسنداً بین اللّه وبین عباده فی العمل بالکتاب، وأمّا الوصول إلی تأویل الکتاب، فلا دلیل علی التدیّن به بالحجج العقلائیّه من ظواهر الألفاظ وأمثالها؛ فتبیّن أنّ من ادّعی الرسوخ فی العلم وادّعی العلم بتأویل القرآن لا یُصغیٰ إلیه أصلاً إلّا إذا تعلّمه من الرسول، وهذا قطعیّ فی باب الأحکام وأمّا فی غیر باب الأحکام فکذلک أیضاً.

وکیف کان فطریق العلم بتأویل الکتاب لا یکون إلّا بالتعلّم من رسول اللّه وأهل بیته المعصومین الراسخین فی العلم. فعِلمُ التأویل مختصّ باللّه تعالی وبرسوله ومن تعلّم منه تعلیماً وافیاً جامعاً ،لجمیع جوانب علوم القرآن وشُعَبه ومرامیه لا من سمع منه شیئاً وغابت عنه أشیاء.

الراسخون فی العلم

واضح أنّ الراسخین الّذین یعلمون التأویل کلّه بناءً علی العطف أو بحسب الأدلّه المنفصله الأُخری هم بعض العلماء خاصّه، لا کلّ من له رسوخ فی علم التفسیر؛ إذ الراسخ فی تفسیر القرآن فی مرحله الدعوه العامّه غیر الراسخ فی علم التأویل، سواء قلنا بصحّه إطلاق التأویل علی التفسیر أم لا؛ فإنّ هذا القسم من علم القرآن الذی استأثر اللّه بعلمه دون جمیع

ص: ۱۲۷

خلقه، غیر الذی أفاضه علی الناس برّهم وفاجرهم.

والظاهر أنّ مرتبه تأویل المتشابه نفس مرتبه تأویل الکتاب والمرجع فی تعلّم تأویل الکتاب هو نفس المرجع فی تعلّم تأویل الآیات المتشابهه، لا- أن یکون المرجع مفاد المحکمات والظواهر والنصوص. وهذا المرجَع هو رسول اللّه الذی هو أفضل الراسخین، وما کان اللّه لینزل علیه شیئاً لم یعلّمه تأویله، وقد توارث أوصیاؤه ذلک منه. فلابدّ للنّاس من التعلّم والأخذ من رسول اللّه وأوصیائه الحفظه. إنّ مکانه علم التأویل بعینها مکانه علم الأحکام فیکون طریق تعلّمهما بالتعبّد فقط.

وممّا ینبغی الالتفات إلیه أنّ تعالیم الرسول العامّه للنّاس لیست علی حدّ یشفی الغلیل ویغنی الفقیر. نعم لقد تعلّم بعض الصحابه منه شیئاً أو أشیاء ولکن غاب عنه آلاف أُلوف. ولیس فیهم من یقدر علی استنباط علوم القرآن حلاله وحرامه وأحکامه والجمع بین عناوینه الأولیّه والثانویّه فی جمیع الأزمان والأیّام إلی یوم القیامه. ولیس فیهم من یتفوّه فی إلهیّات القرآن والمعارف الربوبیّه والمعاد. ولا- یخفی علی أهل الانصاف موقع علماء التفسیر من الصحابه والتابعین وعلماء الفقه، وموازین أفکارهم ومعارفهم؛ فکأنّهم لم یُنزَل القرآن علی ساحتهم! ولم یکن رسول اللّه بین أظهرهم. فمن ادّعی من الناس أنّه تعلّم جمیع جوانب القرآن وعلومه وتنزیله وتأویله وظهره وبطنه وأحکامه ومعارفه منه، إنّما هو مفتر کاذب؛ إلّا أوصیاؤه فإنّهم یتوارثونه کابر عن کابر، وصادق عن صادق وعندهم معاقل العلم وأُصوله وموادّه.

ص: ۱۲۸

قال الإمام الصادق:

نَحنُ الرَّاسِخُونَ فِی العِلمِ، وَنَحنُ نَعلَمُ تَأوِیلَهُ.(۱)

وقال الإمام فی ذیل قوله تعالی: وَمَایَعلَمُ تَأوِیلَهُ إلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی العِلمِ:

فَرَسُولُ اللَّهِ أفضَلُ الرَّاسِخِینَ فِی العِلمِ، قَد عَلَّمَهُ اللَّهُ جَمِیعَ مَا أنزَلَهُ عَلَیهِ مِنَ التَّنزِیلِ وَالتَّأوِیلِ. وَمَا کَانَ اللَّهُ لِیُنزِلَ عَلَیهِ شَیئاً، لَم یُعَلِّمهُ تَأوِیلَهُ، وَأوصِیَاؤُهُ مِن بَعدِهِ یَعلَمُونَهُ کُلَّهُ وَالَّذِینَ لَا یَعلَمُونَ تَأوِیلَهُ، إذَا قَالَ العَالِمُ فِیهِ بِعِلمٍ فَأجَابَهُمُ اللَّهُ بِقَولِهِ: یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ کُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنا وَالقُرآنُ لَهُ خَاصٌّ وَعَامٌّ وَمُحکَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَنَاسِخٌ ومَنسُوخٌ وَالرَّاسِخُونَ فِی العِلمِ یَعلَمُونَهُ.(۲)

وورد فی توقیع عن الإمام المهدیّ:

الَّذِی یَجِبُ عَلَیکُم وَلَکُم أن تَقُولُوا: إنَّا قُدوَهُ اللهِ وَأئِمَّهٌ وَخُلَفَاءُ اللَّهِ فِی أرضِهِ وَأُمَنَاؤُهُ عُلَی خَلقِهِ وَحُجَجُهُ فِی بِلَادِهِ نَعرِفُ الحَلَالَ وَالحَرَامَ وَنَعرِفُ تَأوِیلَ الکِتَابِ وَفَصلَ الخِطَابِ.(۳)

الروایات المانعه عن التفسیر والتأویل

۱- الکافی، ج۱، ص۲۱۳، ح۱۰؛ بحارالأنوار، ج۲۳، ص۱۹۹ ح۳۲ (الباب العاشر من أبواب الآیات النازله فیهم... من کتاب الإمامه).

۲- بصائر الدرجات، ص۲۰۳، ح۴؛ بحارالأنوار، ج۲۳، ص۱۹۹، ح۳۳ (الباب العاشر من أبواب الآیات النازله فیهم... من کتاب الإمامه).

۳- تفسیر العیّاشیّ، ج ۱، ص ۱۶، ح۱۰؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۹۶، ح۵۸ (الباب الثامن من أبواب فضله و أحکامه و إعجازه... من کتاب القرآن) وفیه: «إنّا قدوه والأئمّه».

ص: ۱۲۹

ورد فی العیون، عن علیّ بن الحسین مسنداً عن الریّان بن الصلت قال: حضر الرضا مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع فی مجلسه جماعه من علماء أهل العراق وخراسان. فقال المأمون: أخبرونی عن معنی هذه الآیه: ثُمَّ أورَثنَا الکِتابَ الَّذِینَ اصطَفَینا مِن عِبادِنا؟(۱) فقالت العلماء: أراد الله عزّ وجلّ بذلک الأمه کلّها. فقال المأمون: ما تقول یا أبا الحسن؟ فقال الرضا:

لا أقُولُ کَما قالُوا، ولَکِنّی أقُولُ: أرَادَ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ بِذَلِکَ العِترَهَ الطّاهِرَهَ. فَقَالَ المَأمُونُ: وکَیفَ عَنَی العِترَهَ مِن دُونِ الأُمَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ الرِّضَا: إنَّهُ لَو أرَادَ الأُمَّهَ، لَکَانَت أجمَعُهَا فِی الجَنَّهِ لِقَولِ اللّهِ عَزَّ وجَلَ: فَمِنهُم ظَالِمٌ لِنَفسِهِ ومِنهُم مُقتَصِدٌ ومِنهُم سَابِقٌ بِالخَیرَاتِ بِإذنِ اللّهِ ذَلِکَ هُوَ الفَضلُ الکَبِیرُ(۲)، ثُمَّ جَمَعَهُم کُلَّهُم فِی الجَنَّهِ؛ فَقَالَ عَزَّ وجَلَ: جَنَّاتُ عَدنٍ یَدخُلُونَها یُحَلَّونَ فِیهَا مِن أسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ (۳) الآیَهَ، فَصَارَتِ الوِرَاثَهُ لِلعِترَهِ الطَّاهِرَهِ لَا لِغَیرِهِم. فَقَالَ المَأمُونُ: مَنِ العِترَهُ الطَّاهِرَهُ؟ فَقَالَ الرِّضَا: الَّذِینَ وَصَفَهُمُ اللّهُ فِی کِتَابِهِ؛ فَقَالَ عَزَّ وجَلَ: إنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذهِبَ عَنکُمُ الرِّجسَ أهلَ البَیتِ ویُطَهِّرَکُم تَطهِیراً(۴)، وهُمُ الَّذِینَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ: إنِّی مُخَلِّفٌ

۱- فاطر (۳۵)، الآیه ۳۲.

۲- فاطر (۳۵)، الآیه ۳۲.

۳- فاطر (۳۵)، الآیه ۳۳.

۴- الأحزاب (۳۳)، الآیه ۳۳.

ص: ۱۳۰

فِيكُمُ الثَّقَلَينِ كِتَابَ اللَّهِ وعِترَتِی أهلَ بَيتِی. ألَا وَإنَّهُمَا لَن يَفتَرِقَا حَتَّی يَرِدَا عَلَیَّ الحَوضَ فَانظُرُوا كَيفَ تَخلُفُونَی فِيهِمَا، أيُّهَا النَّاسُ لَا تُعَلِّمُوهُم فَإنَّهُم أعلَمُ مِنكُم... .(۱)

فی الروايه الشريفه تصريح بأنَّ هذا الاختصاصَ والوراثهَ للكتاب لهم، وهو راجعٌ إلی العلوم المتناسبه لمقام الإمامه والخلافه. وبالحقيقه إنّه تحدٍّ منهم لخلافتهم. وهو برهان لرساله جدّهم الأعظم بالأصاله، وكذلك برهان نيّر علی خلافتهم له بالوراثه. والاستدلال بالآيه إنّما هو للإثبات هذا المقام الشامخ لأنفسهم واختصاصهم بمقام تحمّل العلوم الإلهيّه من الكتاب الكريم. والكتاب فی مرحله الدعوه العامّه، نصّ وحجّه لخِلافتهم ووراثتهم وهم القيّمون علی الكتاب والمعلّمون لعلومه التفصيليّه التی تقصر عن نيلها ودركها عقول الرجال من مفصّلات المعارف الربوبيّه واليوم الآخر، وتفاصيل الأحكام.

وفی روضه الكافی، عن العدّه مسنداً عن زيد الشحّام قال:

دَخَلَ قَتَادَهُ بنُ دِعَامَهَ عَلَی أبِی جَعفَرٍ، فَقَالَ: يَا قَتَادَهُ أنتَ فَقِيهُ أهلِ البَصرَهِ؟

فَقَالَ :هَكَذَا يَزعُمُونَ.

فَقَالَ أبُوجَعفَرٍ: بَلَغَنِی أنَّكَ تُفَسِّرُ القُرآنَ؟

فَقَالَ لَهُ قَتَادَهُ: نَعَم.

۱- عيون أخبار الرضا، ج۱، ص۲۲۹ ح ۱؛ بحارالأنوار، ج۲۵، ص۲۲۰، ح ۲۰ (الباب السابع من أبواب علامات الإمام وصفاته من كتاب الإمامه).

ص: ۱۳۱

فَقَالَ لَهُ أبُوجَعفَر: بِعِلمٍ تُفَسِّرُهُ أم بِجَهلٍ؟

قَالَ: لَا، بِعِلمٍ.

فَقَالَ لَهُ أبُوجَعفَرٍ: فَإن كُنتَ تُفَسِّرُهُ بِعِلمٍ، فَأنتَ أنتَ وأنَا أسألُكَ... وَيحَكَ يَا قَتَادَهُ! إن كُنتَ إنَّمَا فَسَّرتَ القُرآنَ مِن تِلقَاءِ نَفسِكَ، فَقَد هَلَكتَ وأهلَكتَ، وإن كُنتَ قَد أخَذتَهُ مِنَ الرِّجَالِ، فَقَد هَلَكتَ وأهلَكتَ... وَيحَكَ يَا قَتَادَهُ، إنَّمَا يَعرِفُ القُرآنَ مَن خُوطِبَ بِهِ.(۱)

إنّ إنكاره علی قتاده فی تفسیره القرآن بأنّه هالك ومهلك لغیره، إنّما هو لأجل تعرّضه لما یختصّ به الرسول وأوصیائه أی معرفه القرآن كلّه بجمیع مراتبه. ویشهد علی ذلك قوله فی ذیل الحدیث: «إنَّمَا یَعرِفُ القُرآنَ مَن خُوطِبَ بِهِ». ویشهد علیه أیضاً كلمه التفسیر، فإنّ معرفه القرآن فی مرتبه الدعوه العامّه لیس تفسیراً ولیس فیه كشف القناع؛ بل هو خطاب یحتاج إلی التدبّر والتعقّل والتبصّر والتفهّم. وأنّه یوجد دون مرتبه العلوم الخاصّه للمخاطبین بالقرآن فی مرتبه الدعوه العامّه علوم وأنوار بحسب مراتب الأشخاص فی الفهم والإیمان والتقوی والطهاره. قال تعالی: اللَّهُ نَزَّلَ أحسَنَ الحَدیثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِیَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الَّذینَ یَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلینُ جُلُودُهُم وقُلُوبُهُم إلی ذِكرِ اللَّهِ ذلِكَ هُدَی اللَّهِ یَهدی بِهِ مَن یَشاء...(۲) .)

۱- الكافی، ج۸، ص۳۱۱، ح۴۸۵؛ بحارالأنوار، ج۲۴، ص۲۳۷، ح۶ (الباب ۵۹ من أبواب الآیات النازله فیهم من كتاب الإمامه).

۲- لزمر (۳۹)، الآیه ۲۳.

ص: ۱۳۲

وفی العلل، عن أبیه ومحمّد بن الحسن مسنداً عن أبی زهیر بن شبیب بن أنس، عن بعض أصحابه، عن أبی عبد اللّه قال: کنت عند أبی عبد اللّه... فقال(لأبی حنیفه):

أنتَ فَقِیهُ أهلِ العِرَاقِ؟ قَالَ: نَعَم، قَالَ: فَبِمَا تُفتِیهِم؟ قَالَ: بِکِتَابِ اللَّهِ وسُنَّهِ نَبِیِّهِ. قَالَ: یَا أبَا حَنِیفَهَ تَعرِفُ کِتَابَ اللَّهِ حَقَّ مَعرِفَتِهِ، وتَعرِفُ النَّاسِخَ والمَنسُوخَ؟ قَالَ: نَعَم قَالَ: یَا أبَا حَنِیفَهَ لَقَدِ ادَّعَیتَ عِلماً وَیلَکَ مَا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِکَ إلَّا عِندَ أهلِ الکِتَابِ الَّذِینَ أُنزِلَ عَلَیهِم وَیلَکَ ولَا هُوَ إلَّا عِندَ الخَاصِّ مِن ذُرِّیَّهِ نَبِیِّنَا مَا وَرَّثَکَ اللَّهُ مِن کِتَابِهِ حَرفاً... .(۱)

ظاهر أنّ هذا الإنکار الشدید علی أبی حنیفه، إنّما هو لأجل تصدّیه لِمقام الإفتاء واستقلاله فی الاستنباط واستغنائه فی علوم القرآن والأحکام والمعارف عنهم. والانصاف أنّ استنباط الأحکام من القرآن وما فی هذه المرتبه من علومه وحقائقه استقلالاً من دون الرجوع إلی تفسیر الأئمّه، خبط واضح وحرام بیّن.

وفی الوسائل، عن المحاسن، عن الحسن بن علیّ بن فضّال، عن ثعلبه بن میمون، عمّن حدّثه، عن المعلّی بن خنیس قال: قال أبوعبد اللّه فی رساله:

۱- علل الشرائع، ج۱، ص۹۰، ح۵ (الباب ۸۱)؛ بحارالأنوار، ج۲، ص۲۹۳، ح۱۲ (الباب ۳۴ من أبواب العلم من کتاب العقل والعلم والجهل).

ص: ۱۳۳

فَأمَّا مَا سَألتَ عَنِ القُرآنِ، فَذَلِكَ أيضاً مِن خَطَرَاتِكَ المُتَفَاوِتَهِ المُختَلِفَهِ لِأنَ القُرآنَ لَيسَ عَلَى مَا ذَكَرتَ، وكُلُّ مَا سَمِعتَ فَمَعنَاهُ عَلَى غَيرِ مَا ذَهَبتَ إلَيهِ. وإنَّمَا القُرآنُ أمثَالٌ لِقَومٍ يَعلَمُونَ دُونَ غَيرِهِم، ولِقَومٍ يَتلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ؛ وهُمُ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِهِ ويَعرِفُونَهُ. وأمَّا غَيرُهُم فَمَا أشَدَّ إشكَالَهُ عَلَيهِم وأبعَدَهُ مِن مَذَاهِبِ قُلُوبِهِم، ولِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إنَّهُ لَيسَ شَيءٌ أبعَدَ مِن قُلُوبِ الرِّجَالِ مِن تَفسِيرِ القُرآنِ. وَفِي ذَلِكَ تَحَيَّرَ الخَلَائِقُ أجمَعُونَ إلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ. وَإنَّمَا أرَادَ اللَّهُ بِتَعمِيَتِهِ فِي ذَلِكَ أن يَنتَهُوا إلَى بَابِهِ وَصِرَاطِهِ، وَأن يَعبُدُوهُ ويَنتَهُوا فِي قَولِهِ إلَى طَاعَهِ القُوَّامِ بِكِتَابِهِ، وَالنَّاطِقِينَ عَن أمرِهِ، وَأن يَستَنبِطُوا مَا احتَاجُوا إلَيهِ مِن ذَلِكَ عَنهُم لَا عَن أنفُسِهِم.

ثُمَّ قَالَ: وَلَو رَدُّوهُ إلَى الرَّسُولِ وإلى أُولِي الأمرِ مِنهُم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَستَنبِطُونَهُ مِنهُم(۱). فَأمَّا غَيرُهُم فَلَيسَ يُعلَمُ ذَلِكَ أبَداً وَلَا يُوجَدُ. وقَد عَلِمتَ أنَّهُ لَا يَستَقِيمُ أن يَكُونَ الخَلقُ كُلُّهُم وُلَاهَ الأمرِ، لِأنَّهُم لَا يَجِدُونَ مَن يَأتَمِرُونَ عَلَيهِ ومَن يُبَلِّغُونَهُ أمرَ اللَّهِ ونَهيَهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ الوُلَاهَ خَوَاصَّ لِيُقتَدَى بِهِم، فَافهَم ذَلِكَ إن شَاءَ اللَّهُ. وَإيَّاكَ وَإيَّاكَ وَتِلَاوَهَ القُرآنِ بِرَأيِكَ. فَإنَّ النَّاسَ غَيرُ مُشتَرِكِينَ فِي عِلمِهِ كَاشتِرَاكِهِم فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الأُمُورِ، وَلَا قَادِرِينَ عَلَى تَأوِيلِهِ

۱- النساء (۴)، الآیه ۸۳.

ص: ۱۳۴

إلَّا مِن حَدِّهِ وبَابِهِ الَّذِی جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ فَافهَم إن شَاءَ اللَّهُ. وَاطلُبِ الأمرَ مِن مَکَانِهِ تَجِدهُ إن شَاءَ اللَّهُ.(۱)

احتجّ بأنّه لا یمکن أن یکون المعنی من «الردّ إلی الرسول والولاه» الذین أمر الله بالردّ إلیهم؛ أن یکون عامّیاً. فلو کان النّاس ولاه ومراجع لأنفسهم فی استنباط العلوم لا یکون معنی لکونهم قرناء لمرجعیّه الرسول واستنباطه. ومعلوم أنّ الناس عامّهً لا یقدرون علی هذا الاستنباط. بداهه أنّ طریق العلم بهذه المعانی والتفسیر والتأویل، لیس طریق دلاله الألفاظ المتعارف لیدلّ علیها الکلام دلاله مطابقیّه أو تضمّنیّه أو التزامیّه، کی تکون الحجّه بین المفسّر وبین اللّه تعالی هی ظهور الکلام أو نصّه. فإنّ منها ما لا یُعلم إلّا من الوحی، مثل تفاصیل الأحکام؛ وما هو من الغیوب مثل الحقائق الخارجه عن الشهود کتفاصیل عالم الآخره وتفاصیل القضاء والقدر، والمشیئه والإراده، والبدء والختم، وحقیقه العرش والکرسیّ، والحُجُب واللوح والقلم، وحروف القرآن المقطّعه، وکیفیّه إیجاد العوالم وموادّها وأنوارها وساکنیها من الإنس والجنّ، والملائکه والکرّوبیّین والروحانیّین إلی ما لا یحصیها إلّا اللّه تعالی. ومن أخذها وفسّرها برأیه ونسب ذلک إلی القرآن فقد کذب وافتری علی اللّه.

۱- . وسائل الشیعه، ج۲۷، ص۱۹۰، ح ۳۸ [۳۳۵۶۹] (الباب ۱۳ من أبواب صفات القاضیّ... من کتاب القضاء)؛ المحاسن، ج۱، ص۲۶۸، ح۳۵۶؛ وورد فی بعض الأحادیث کما فی المحاسن، ج۲، ص۳۰۰، ح۵: (لَیسَ شی ء أبعَدَ مِن عُقُولِ الرِّجَالِ مِنَ القُرآن).

ص: ۱۳۵

وفی الإحتجاج، مسنداً عن علقمه بن محمّد الحضرمی، عن أبی جعفر محمّد بن علیّ عن النبیّ فی حدیث قال:

مَعَاشِرَ النَّاس تَدَبَّرُوا القُرآنَ وافهَمُوا آیَاتِهِ، وانظُرُوا إلَی مُحکَمَاتِهِ ولا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهُ، فَوَ اللَّهِ لَن یُبَیِّنَ لَکُم زَوَاجِرَهُ وَلَا یُوَضِّحُ لَکُم تَفسِیرَهُ إلَّا الَّذِی أنَا آخِذٌ بِیَدِهِ ومُصعِّدُهُ إلَیَّ وشَائِلٌ بِعَضُدِه.(۱)

إنّ فی هذه الخطبه المبارکه تصریح بالتمسّک بالقرآن بکلا الوجهین، حیث صرّح فی مقام مخاطبه الکلّ: «تَدَبَّرُوا القُرآنَ وافهَمُوا آیَاتِهِ» وصرّح أیضاً فی مقام تفسیر علومه الخاصّه بقوله: « فَوَاللَّهِ لَن یُبَیِّنَ لَکُم زَوَاجِرَهُ...».

وفی بحارالأنوار، عن أبی عبدالله محمّد بن إبراهیم بن جعفرالنعمانیّ فی کتابه تفسیر القرآن مسنداً عن إسماعیل بن جابر قال: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمّد الصّادق یقول:

إنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وتَعَالَی بَعَثَ مُحَمَّداً، فَخَتَمَ بِهِ الأنبِیَاءَ فَلَا نَبِیَّ بَعدَهُ وَأنزَلَ عَلَیهِ کِتَاباً، فَخَتَمَ بِهِ الکُتُبَ فَلَا کِتَابَ بَعدَهُ، أحَلَّ فِیهِ حَلَالاً وَحَرَّمَ حَرَاماً فَحَلَالُهُ حَلَالٌ إلَی یَومِ القِیَامَهِ وَحَرَامُهُ حَرَامٌ إلَی یَومِ القِیَامَهِ فِیهِ شَرعُکُم وَخَبَرُ مَن قَبلَکُم وبَعدَکُم. وَجَعَلَهُ النَّبِیُّ عَلَماً بَاقِیاً فِی أوصِیَائِهِ، فَتَرَکَهُمُ النَّاسُ وهُمُ الشُّهَدَاءُ عَلَی

۱- الاحتجاج، ج۱، ص۶۰؛ بحارالأنوار، ج۳۷، ص۲۰۹، ح۸۶ (الباب ۵۲ من أبواب النصوص الدالّه علی الخصوص من کتاب تاریخ أمیرالمؤمنین).

ص: ۱۳۶

أهـلِ كُلِّ زَمَانٍ وَعَـدَلُوا عَنهُم، ثُمَّ قَتَلُوهُم وَاتَّبَعُوا غَيرَهُم، ثُمَّ أخلِصوا لَهُم الطَّاعَهَ، حَتَّى عَانَـدُوا مَن أظهَرَ وِلَايَهَ وُلَاهِ الأمرِ وطَلَبَ عُلُومَهُم قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَهٍ مِنهُم (۱)﴾ وذَلِكَ أنَّهُم ضَرَبُوا بَعضَ القُرآنِ بِبَعضٍ واحتَجُّوا بِالمَنسُوخِ وهُم يَظُنُّونَ أنَّهُ النَّاسِخُ واحتَجُّوا بِالمُتَشَابِه وَهُم يَرَونَ أنَّهُ المُحكَمُ وَاحتَجُّوا بِالخَاصِّ وهُم يُقَدِّرُونَ أنَّهُ العَامُّ وَاحتَجُّوا بِأوَّلِ الآيَهِ وَتَرَكُوا السَّبَبَ فِى تَأوِيلِهَا وَلَم يَنظُرُوا إلَى مَا يَفتَتِحُ الكَلَامَ وَإلَى مَا يَختِمُهُ وَلَم يَعرِفُوا مَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ، إذ لَم يَأخُذُوهُ عَن أهلِهِ فَضَلُّوا وَأضَلُّوا.

وَاعلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ، أنَّهُ مَن لَم يَعرِف مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسِخَ مِنَ المَنسُوخِ وَالخَاصَّ مِنَ العَامِّ وَالمُحكَمَ مِنَ المُتَشَابِه وَالرُّخَصَ مِنَ العَزَائِمِ وَالمَكِّيَّ وَالمَدَنِيَّ وَأسبَابَ التَنزِيلِ وَالمُبهَمَ مِنَ القرآنِ فِى ألفَاظِهِ المُنقَطِعَهِ وَالمُؤَلَّفِهِ وَمَا فِيهِ مِن عِلمِ القَضَاءِ وَالقَدرِ وَالتَّقدِيمِ وَالتَّأخِيرِ وَالمُبَيَّنِ وَالعَمِيقِ وَالظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ وَالإبتِدَاءِ وَالإنتِهَاءِ وَالسُّؤَالِ وَالجَوَابِ وَالقَطعِ وَالوَصلِ وَالمُستَثنَى مِنهُ وَالجَارِى فِيهِ وَالصِّفَهِ لِمَا قَبلُ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَا بَعدِ وَالمُؤَكَّدِ مِنهُ وَالمُفَصَّلِ، وَعَزَائِمِهِ وَرُخَصِهِ، وَمَواضِعِ فَرَائِضِهِ وَأحكَامِهِ وَمَعنَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ الَّذِى هَلَكَ فِيهِ المُلحِدُونَ، والمَوصُولِ مِنَ الألفَاظِ

۱- المائده (۵)، الآیه ۱۳.

ص: ۱۳۷

وَالمَحمُولِ عَلى مَا قَبلَهُ وَعَلىٰ مَا بَعدِهُ، فَلَيسَ بِعَالَمٍ بِالقُرآنِ وَلَا هُوَ مِن أهلِهِ... .(۱)

الروايه الشريفه فى مقام الشكوىٰ والتظلُّم والإنكار من الأئمّه علی من تكلّف مقام تفسير القرآن. وفيها إشعار بأنّ معنى ضرب القرآن بعضه ببعض إنّما هو لجهلهم بطور الاستنباط، إذ المخصّصات والمقيّدات وسائر القرائن التيى لابدّ فى التفسير والاستنباط منها، بيّنها الرسول وأودعها عند أهله. وفيها تصريح بأنّ التصدى لتفسير القرآن مع عدم معرفه الناسخ والمنسوخ، والعامّ والخاصّ، والمحكم والمتشابه، ضلال وإضلال. وفيها تصريح أيضاً أنّ الضلال والإضلال من حيث إنّهم لم يأخذوا تفسير القرآن من أهله. وأنّ هذا الضلال والإضلال إنّما هو فى استنباط الحلال والحرام وتشخيص الفرائض من الرخص وبيان معنى القضاء والقدر الذى هو من أغمض المسائل فى العلوم الإلهيّه ولم يخرج ممّن ورد فيها سالماً إلّا الفقهاء المستضيئون بعلوم آل الرسول، الذين لم يخلطوا بعلومهم شيئاً عن سواهم.

قوله: «وَعَزَائِمِهِ وَرُخَصِهِ، وَمَواضِعِ فَرَائِضِهِ وَأحكامِهِ وَمَعنىٰ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ الَّذِى هَلَكَ فِيهِ المُلحِدُونَ »؛ إنّ هلاكهم وإلحادهم إنّما هو من

۱- بحارالأنوار، ج ۹۰، ص۳ (الباب ۱۲۸ من أبواب فضائل سور القرآن وآياته من كتاب القرآن).

ص: ۱۳۸

حيث اقتحامهم تفسير الحلال والحرام واستنباط العلوم مع جهلهم بمدارك الأحكام وينابيع العلوم ومأخذها. وقد بيّن شرائط خاصّه لتفسير العلوم واستنباط الأحكام وصرّح أنّها تراث رسول اللّه.

وأنت كما ترى هذه الروايه الشريفه أيضاً، أجنبيّه عن منع التمسّك بالقرآن فى مرتبه الدعوه العامّه. وإنّ منعها الأكيد خاصّ بباب الاستنباط وشرح العلوم والتطاول على مقامهم العلميّ.

فقد تلخّص من جميع ما ذكرنا، أنّ خلافه القرآن والأئمّه خلافه اجتماعيّه انضماميّه لا انفراديّه. فالقرآن بمحكماته وظواهره يصرّح بوجوب الحجّ مثلاً ولم يذكر أنّ الطواف مثلاً أُسبوع وفى أىّ مورد، وغيره من أحكامه، ورسول اللّه يفسّر تلك الأحكام. والقرآن يدلّ بنصوصه ومحكماته على وجود ولىّ معصوم مفروض الطاعه ولم يسمّ أحداً بعينه وفسّر رسول اللّه شأن ذلك الرجل بخصوصه. وصرّح بوجود جنّه عرضها كعرض السماوات والأرض ولم يبيّن التفاصيل الراجعه إليها، وكذلك صرّح بوجود النار والعذاب ولم يفسّر مكانها وكيفيّه خلقها ومواطنها وموادّها، والرسول فسّر ذلك كلّه. وهكذا حال جميع العلوم الخاصّه. ولو أردنا إحصاء جميع الروايات المصرّحه باختصاص هذه المرتبه من علوم القرآن بالرسول أصالهً ولأوصيائه وراثهً، لخرجنا عن البحث وفيما ذكرنا كفايه لأولى الألباب.

تقييم بعض النظريّات

ص: ۱۳۹

إختلفت الكلمات واضطربت الأقوال فی تفسير التأويل؛ منها ما فی الميزان، قال:

إنّ التأويل ليس من المفاهيم التی هی مـداليل الألفاظ، بل هو من الأُمور الخارجيّه العينيّه. واتّصاف الآيات بكونها ذات تأويل من قبيل الوصف بحال المتعلّق.(۱)

وقال فی بيان هذا المعنی:

ويـدلّ علی ذلک قوله تعالی فی قصّه موسـی والخضـر:«سَأُنَبِّئُکَ بِتَأوِيلِ مَا لَم تَستَطِع عَلَيهِ صَبراً(۲)(۳) وقوله: «ذٰلِکَ تَأوِيلُ مَا لَم تَستَطِع عَلَيهِ صَبراً(۴). »

وقال بعد نقل ما فعله الخضر« وسؤال موسی» والذی نبّأ به الخضـر من التأويل وكذا بعد نقل ما ورد من لفظ التأويل فی عدّه مواضع من قصّه يوسف الصدّيق«:

فقد استعمل التأويل فی جميع هذه الموارد من قصّه يوسف« فيما يرجع إليه الرؤيا من الحوادث، وهو الذی كان يراه النائم فيما يناسبه من الصوره والمثال، فنسـبه التأويل إلی ذی التأويل نسبه المعنی إلی صورته التی يظهر بها، والحقيقه المتمثّله إلی مثالها الذی تتمثّل به. كما كان الأمر يجری هذا المجری فيما أوردناه من الآيات فی قصّه موسی

۱- الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص۲۷.

۲- لكهف (۱۸)، الآيه ۸۲.

۳- الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص۲۵.

۴- الكهف (۱۸)، الآيه ۷۸.

ص: ۱۴۰

والخضر، وکذا فی قوله تعالی:وَأوفُوا الکَیلَ إذا کِلتُم... وَأحسَنُ تَأویلاً۲)(۱) .)

ومنها ما قال فی المنار، بعد نقل الآیات التی ورد فیها لفظ التأویل وبیان معنی التأویل فیها:

فتبیّن من هـذه الآیـات، أنّ لفـظ التأویـل لم یرد فی القرآن إلّـابمعنی الأـمر العملیّ الـذی یقع فی المآل تصـدیقاً لخبر أو رؤیا أو لعمل غـامض یقصـد به شـیء فی المسـتقبل، فیجب أن تفسّـر آیه آل عمران بـذلک. ولاـ یجوز أن یحمـل التأویل فیهما علی المعنی الـذی اصـطلح علیه قدماء المفسّـرین؛ وهو جعله بمعنی التفسیر کما یقول ابن جریر: القول فی تأویل هذه الآیه کذا ولا علی ما اصـطلح علیه متـأخّروهم من جعـل التأویـل عبارةً عن نقل الکلام عن وضـعه إلی ما یحتاج فی إثباته إلی دلیل لولاه ما ترک ظاهر اللفظ، ومثله قول أهل الأُصول: التأویل صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلی الاحتمال المرجوح لدلیل.(۳)

یمکن أن یقـال فی نقـد هـذه النظریّات: إنّه قـد تقرّر فی محلّه أنّ اسـتعمال اللفظ فی مورد لا یـدلّ إلّا علی کونه من مصادیق المعنی اللغویّ له، أو من الموارد التی استعمل فیها اللفظ بضربٍ من التجوّز والعنایه، فاستظهار

۱- لإسراء (۱۷)، الآیه ۳۵.

۲- المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص۲۶.

۳- تفسیر المنار، ج۳، ص۱۷۴.

ص: ۱۴۱

معنی فی مورد من موارد إستعمال لفظ التأویل فی الآیات الکریمه لا یدلّ علی کون هذا المعنی هو المراد فی غیره من موارد استعماله.

بعض التأویلات الباطله

قلنا إنّ من شؤون المعصومین تأویل القرآن، ولا مجال لتجنّب النبیّ وأهل بیته والإعراض عنهم لِمعرفه تأویله.

وأنّ بعض الفِرَق فی طیّ القرون الماضیه قامت بتأویل وتوجیه الآیات القرآنیّه من دون الالتفات إلی هذه الحقیقه العلمیّه، فأوَّلوا المفاهیم القرآنیّه طبق آرائهم ونظریّاتهم بَدَل أن یطبّقوها مع القرآن.

إلیک بعض التأویلات الباطله مضافاً إلی ما ذکرنا:

أوَّلَ الملّا عبدالرزاق الکاشانیّ لفظ الحمار فی قوله تعالی: وَانظُر إلَی حِمَارِکَ(۱) إلی جسم النبیّ عُزَیر(۲)، ولفظ «الصفا» و«المروه» إلی قلب الإنسان ونفسه.(۳)

وإنّه یقول إنّ المراد من الغلامَین فی قوله تعالی: وَأمَّا الجِدارُ فَکانَ لِغُلامَینِ یَتیمَینِ فِی المَدینَه(۴) هو العقل النظریّ والعملیّ وأوَّل الیتیم فی الآیه إلی افتراق العقل النظریّ والعملیّ من روح القُدُس.(۵)

۱- البقره (۲)، الآیه ۲۵۹.

۲- تفسیر ملّا عبد الرزاق(تفسیر ابن عربیّ)، ج۱، ص۸۶.

۳- تفسیر ملّا عبد الرزاق(تفسیر ابن عربیّ)، ج۱، ص۶۱

۴- الکهف (۱۸)، الآیه ۸۲.

۵- تفسیر ملّا عبد الرزاق(تفسیر ابن عربیّ)، ج۱، ص۴۱۱.

ص: ۱۴۲

وإنّ المراد من النفس الواحده فی قوله تعالی: ﴿خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدَهٍ(۱)﴾ هی النفس الناطقه الکلّیه التی یتشعّب منها النفوس الجزئیه وأنّ النفس الحیوانیه هی المَعنیُّ بها فی قوله تعالی: ﴿خَلَقَ مِنها زَوجَها۳)(۲) ﴾.

ویقول ابن عربیّ فی تأویل قصّه بنی إسرائیل وعبادتهم للعجل فی القرآن، فی الفصّ الهارونیّه:

کان موسی[لموضوع عباده العجل] أعلم بالأمر من هارون، لأنّه علم ما عبَده أصحاب العجل. وما حکم الله بشی ء إلّا وقع فکان عَتَب موسی أخاه هارون لما وقع الأمر فی إنکاره وعدم اتّساعه، (فإنّ العارف من یری الحقّ فی کلّ شیء، بل یراهُ عین کلّ شیء، فکان موسی یُربّی هارون تربیه علم).

وقال القیصریّ فی شرحه:

أی، کان عَتَبُ موسی أخاه هارون لأجل إنکاره عبادهَ العجل، وعدم اتساع قلبه لذلک.(۴)

یقول ملّا صدرا:

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبقاً۵)﴾ أی: العقول السابِقه علی الممکنات ﴿فَالمُدَبِّراتِ

۱- النساء (۴)، الآیه ۱.

۲- النساء (۴)، الآیه ۱.

۳- تفسیر ملّا عبد الرزاق(تفسیر ابن عربیّ)، ج۲، ص۱۳۷.

۴- شرح فصوص الحکم للقیصریّ، ص۱۰۹۶.

۵- النازعات (۷۹)، الآیه ۴.

ص: ۱۴۳

أمراً(۱)» أی: النفوس المدبّره للأجرام الغالبه؛ فدلّت الآیه علی هذین النوعین من الموجودات الشریفه.(۲)

وینقل العلّامه المجلسیّ عن المرحوم میرداماد أنّه قال:

العرش هو الأفلاک... والکرسیّ هو فلک الثوابت.

ثمّ یقول العلّامه المجلسیّ:

ولا یخفی عدم موافقتها لقوانین الشرع ومصطلحات أهله.(۳)

یقول الحاج ملّا هادی السبزواریّ:

إنّ الأفلاک الکلّیّه تسعه: الأوّل هو فلک الأفلاک، الثانی فلک الثوابت والباقی هم الکرات السبعه المشهوره؛ وأنّ جمیع هذه الأفلاک لها حیوه ناطقه.

ویقول فی الحاشیه توضیحاً:

لا یوجد تناف بین هذه الأفلاک التسعه التی أثبتها العقل مع ما ورد فی القرآن بأنّ السماوات سبعه، لأنّ المراد من فلک الأطلس (فلک الأفلاک) وفلک الثوابت فی لسان الشریعه، العرش والکرسی.(۴)

۱- النازعات (۷۹)، الآیه ۵.

۲- مفاتیح الغیب، ص ۴۴۶.

۳- بحارالأنوار، ج۵۸، ص۵، ذیل الحدیث الثانی (الباب الرابع من أبواب کلّیّات أحوال العالم من کتاب السماء والعالم).

۴- شرح المنظومه، ص ۲۶۹.

ص: ۱۴۴

۱۸النسخ

معنی النسخ

ص: ۱۴۵

ص: ۱۴۶

ص: ۱۴۷

قال فی لسان العرب:

النسخ: إبطال الشیء وإقامه آخر مقامه... ابن الأعرابیّ: النسخ تبدیل الشیء من الشیء وهو غیره. ونسخ الآیه بالآیه: إزاله مثل حکمها. والنسخ: نقل الشی ء من مکان إلی مکان وهو هو.(۱)

إنّ کلّ واحد من المعانی المذکوره قد استعمل فیها لفظ النسخ ولا یهمّنا تحقیق أنّ ذلک بحسب الوضع أو بضرب من العنایه. والظاهر أنّ الأصل المأخوذ فی الموارد المذکوره، هو حیث الإزاله والتغییر والتحویل والتبدیل.

قال الله تعالی:

﴿مَا نَنسَخ مِن آیَهٍ أو نُنسِهَا نَأتِ بِخَیرٍ مِنها أو مِثلِهَا أ لَم تَعلَم أنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَی ءٍ قَدیرٌ(۲).﴾

قوله تعالی: ﴿مِن آیَهٍ﴾، أی: من علامه. وهی مطلقه شامله لکلّ ما

۱- لسان العرب، ج۳، ص۶۱ .

۲- البقره (۲)، الآیه ۱۰۶.

ص: ۱۴۸

تصـدق علیه العلامه، سواء کـانت تشـریعیّه أو تکوینیّه؛ فالتشـریعیّه مثـل الآـیه الـدالّه علی حکم من الأحکام فتکون حاکیه عن جعله. والتکوینیّه مثل ما یدلّ علی وجود الصانع أو علی شیء من نعوته وأسمائه جلّ ثناؤه من الأعیان.

قوله تعالی: ﴿نَأتِ بِخَیرٍ مِنها أو مِثلِها﴾، أی: نأتی بشیء خیر فی الحکمه والمصلحه من المنسوخ.

ثمّ إنّه من الممکن بحسب الواقع والثبوت، أن تکون للآـیه المنسوخه أمثـال ونظـائر فی عرضـها یتسـاوی بعضـها مع البعض الآـخر فی الحکمه والمصـلحه ، فله تعالی أن یأتی بواحده من هذه الآیات المتساویّه من حیث المصـلحه سواء کانت تکوینیّه أوتشریعیّه، ثمّ یأتی بواحده أُخری بعد رفع الأُولی. والکلام فی تخصـیص کلّ منها بزمان دون زمان عینُ الکلام فی اختیار الأُمور المترجّحه المتساویه. ولا دلیل علی انحصار المِثل فی الآیه، بأن یکون الناسخ فی طول المنسوخ ومنفرداً؛ فالمعتمد فی ذلک هو ظهور الآیه وإطلاقها.

ینبغی الالتفـات إلی أنّ اطلاـق النسـخ علی الآیـات بـدلیّ، بمعنی أنّ الآیـات فی معرض النسـخ دائماً؛ إلّا أنّ هـذا الإطلاق فی معرض التقیید لأنّ من آیاته لا یجری علیها النسخ، مثل الأحکام الثابته کوجوب التقوی وحرمه الفجور.

النسخ فی التکوینیّات

إنّ الیهود یعتقـدون باسـتحاله النسـخ فی الأحکام، کما یعتقدون باسـتحاله التغییر والتبدیل فی التکوین وفی شـیء من النظام الموجود. وقد ورد

ص: ۱۴۹

توبیخهم فی القرآن الکریم. قال تعالی:

﴿وَقالَتِ الیَهُودُ یَدُ اللَّهِ مَغلُولَهٌ غُلَّت أیدیهِم ولُعِنُوا بِما قالُوا بَل یَداهُ مَبسُوطَتانِ یُنفِقُ کَیفَ یَشاءُ(۱).﴾

ورد فی العیون، مسنداً عن أبی عمرو محمّد بن عمرو بن عبد العزیز الکجیّ قال: حدّثنی مَن سمع الحسن بن محمّد النوفلیّ یقول:... قال الرضا:

...ثُمَّ التَفَتَ إلَی سُلَیمَانَ. فَقَالَ: أحسَبُکَ ضَاهَیتَ الیَهُودَ فِی هَذَا البَاب.

قَالَ: أعُوذُ بِاللَّهِ مِن ذَلِکَ، ومَا قَالَتِ الیَهُودُ؟

قَالَ: ﴿قالَتِ الیَهُودُ یَدُ اللَّهِ مَغلُولَهٌ(۲)﴾، یَعنُونَ أنَّ اللَّهَ تَعَالَی قَد فَرَغَ مِنَ الأمرِ فَلَیسَ یُحدِثُ شَیئاً، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوجَلَّ: ﴿غُلَّت أیدِیهِم ولُعِنُوا بِما قالُوا...﴾.

قَالَ سُلَیمَانُ: لِأنَّهُ قَد فَرَغَ مِنَ الأمرِ، فَلَیسَ یَزِیدُ فِیهِ شَیئاً.

قَالَ الرِّضَا: هَذَا قَولُ الیَهُودِ، فَکَیفَ قَالَ تَعَالَی: ﴿أُدعُونِی أستَجِب لَکُم (۳).﴾

قَالَ سُلَیمَانُ: إنَّمَا عَنَی بِذَلِکَ أنَّهُ قَادِرٌ عَلَیهِ.

قَالَ: أفَیَعِدُ مَا لَا یَفِی بِهِ فَکَیفَ قَالَ: یَزِیدُ فِی الخَلقِ ما یَشاءُ وقَالَ

۱- المائده (۵)، الآیه ۶۴ .

۲- المائده (۵) آیه ۶۴ .

۳- غافر(۴۰)، الآیه ۶۰ .

ص: ۱۵۰

عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَمحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ ويُثبِتُ وعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ (۱)﴾ وقَد فَرَغَ مِنَ الأمرِ؟! فَلَم يُجِر جَوَاباً.(۲)

إذن إنّ اللّه تعالى كلّ يوم فى شأن جديد من إحداث بديع لم يكن، وإذهاب أمر قد كان. وهكذا سنّته تعالى فى جميع ما يحيط به علمه من الحوادث الحكيمه القيّمه، فيأتى بشىء منها ويذهب بآخر، وهو تعالى يُعطى ويمنع، ويُحيى ويُميت، ويُؤاخذ ويَعفو، فقدرته تعالى الغير متناهيه ومالكيّته لجميع من سواه وما سواه، فعليّه؛ يأتى سبحانه بشىء بعد تحقّقه شيئاً آخر، لعلّه وحكمه أرادها فى الأوّل والثانى ولا يمكن أن يمنعه تعالى مانع من هذا الفعل الحكيم. فلو شاء اللّه أن يمحو ما كان مكتوباً أوّلاً ويثبت ما لم يكن مكتوباً بوجه أصلاً. وهذا المكتوب الثانى وهذا الخلق الجديد إنّما يكون من العلم المكنون.

النسخ والمشيّه الأزليّه

إن قلت: إنّ هذا التبديل والتحويل والإتيان بالمِثل أو الأفضل منه بدل المنسوخ، مستند إلى المشيئه الأزليّه فيكون الإتيان بالمثل إظهاراً وإبرازاً لزوال المنسوخ وانمحائه بانتهاء أمده، ويكون الإتيان بالناسخ إيجاداً لما كان ثابتاً فى الأزل بالمشيئه الأزليّه.

۱- الرعد (۱۳)، الآيه ۳۹.

۲- عيون اخبار الرضا، ج۱، ص۱۸۲، ح۱ (الباب ۱۳)؛ بحارالأنوار، ج۴، ص۹۶، ح۲ (الباب الثالث من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).

ص: ۱۵۱

قلت: فعلى هذا لا يكون النسخ بمعنى التغيير والإزاله والإبطال بل يكون إظهاراً لزوال عينٍ أو حكمٍ، وكذلك لا يكون هناك إتيان شيء لم يكن بل هو إيجاد ما كان ثابتاً فى الأزل؛ وهذا عين الالتزام بمقاله اليهود ومبتنٍ على كون مشيئته تعالى بعينها، علمه سبحانه وأنّه تعالى شاء كلّ شيء بالمشيئه الأزليّه. ولكنّ البراهين الإلهيّه من الآيات والروايات قائمه على استحاله أزليّه المشيئه، وأنّ مشيئته تعالى فعلُه سبحانه وهو عين تعيّن النظام الحكيم بالعلم الحادث، ونسبته إلى علمه تعالى نسبه المتناهى إلى غير المتناهى.

المعنى الاصطلاحيّ للنسخ

إنّ هذا المعنى الذى ذكرناه للنسخ هو المعنى اللغويّ والظاهر من الآيه الكريمه؛ وهو شامل للتكوينيّات والتشريعيّات. وله معنى اصطلاحيّ وهو رفع ما هو ثابت فى الشريعه من الأحكام فلا يشمل المجعولات التكوينيّه ويقابله البداء فى التكوينيّات.

وحيث إنّ الدين الذى اختاره اللّه وارتضاه سبحانه لأنبيائه وأصفيائهصلوات الله عليهم الجمعين هو الاسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإسلامُ ومَا اختَلَفَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ بَغياً بَينَهُم ومَن يَكفُر بِآياتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَريعُ الحِسابِ(۱)﴾، فنسخ حكم فى الشريعه السابقه بشيء من أحكام الشريعه اللاحقه، ليس إلّا كنسخ حكم فى الشريعه الواحده بشيء من تلك الشريعه بعينها.

۱- ل عمران (۳)، الآيه ۱۹.

ص: ۱۵۲

وممّا ذکرنا یعلم أنّه لا إشکال فی مقام الثبوت فی نسخ حکم فی شریعه وإتیان حکم آخر خیر منه أو مثله مکانه. والقول بأنّ النسخ إنّما یکون بعد مضیّ مدّه الامتثال وأمّا قبله فلا یجوز؛ لیس بصحیح، إذ یمکن أن تکون المصلحه والحکمه فی نفس الحکم. وبدیهیّ أنّه لیس للفقیه البحث عن مناطات الأحکام وعللها وإنّما وظیفته الجری علی طبق الظواهر.

هذا فی مقام الثبوت، أمّا فی مقام الإثبات فقد تقدّم فی الروایات ما یدلّ علی وجود الناسخ والمنسوخ فی کتاب اللّه تعالی. وسیجیء البحث فی أنّ قوله تعالی: ﴿فَاعفُوا وَاصفَحُوا حَتَّی یَأتِیَ اللَّهُ بِأمرِهِ إنَّ اللَّهَ عَلَی کُلِّ شَی ءٍ قَدِیرٌ﴾؛(۱) منسوخ بآیه السیف وهو قوله تعالی: ﴿قَاتِلُوا الَّذینَ لَا یُؤمِنُونَ بِاللَّهِ ولَا بِالیَومِ الآخِرِ(۲)﴾ وأمّا الفرق بین النسخ والتخصیص والتقیید فلیطلب من کتب الأُصول.

۱۹البداء

معنی البداء

۱- البقره (۲) آیه ۱۰۹ .

۲- التوبه (۹) آیه ۲۹ .

ص: ١٥٣

ص: ۵۴

ص: ۱۵۵

(۱)

إنّ مسأله البـداء من المسائل المهمّه الاعتقاديّه التی قد أبدی العلماء فيها آراء مختلفه وذلک حسب اختلاف مبانيهم الفكريّه، إلّا أنّهم لم يصلوا إلی عمق هذه المسأله والزوايا الخفيّه الموجوده فيها بنحو مطلوب، ولم يتضّح موضع الحقّ فی الفكر الشيعیّ فی ذلک. سعيُنا فی هذه الصـفحات أن نسـتكشف قليلاً مسأله البداء بواسطه الآيات والأحاديث، لكی تنفتح علی الباحثين وطلاب العلم والحقيقه آفاقٌ جديده ومتميزه.

معرفه البداء

البداء فی اللغه بمعنی نشوء الرأی. قال فی لسان العرب:

قال الجوهریّ: بدا له فی الأمر بداء ممدوده أی نشأ له فيه رأی.

۱- هـذا البحث مقتطف من كتاب توحيـد الإماميه، ص۳۴۹. ولمزيـد من الاطّلاع راجع كتاب البـداء آيه عظمه الله (للشـيخ محمّد باقر علم الهدی).

ص: ۱۵۶

إنّ الله سبحانه وتعالى هو المالك والقادر الأزلىّ والأبدىّ كما هو واضح ولا يجب عليه الإيجاد ولا الإبقاء بعد الإيجاد إلّا فيما وعد به. وإنّ علم الله وقدرته المطلقه لا تُحدّ بهذا النظام الموجود. وهو عالم وقادر ذاتاً على إيجاد الأنظمه غير المحدوده وذلك حسب الأدلّه العقليّه وصريح القرآن والحديث. وقدرته ذاتيّه فهو قادر ذاتاً على إيجاد أىّ فعل، كما أنّه قادر على نقيضه. ولا يصدر فعل من الله من دون إعمال مالكيّته وقدرته، وكلّ ما تعلّقت مشيّته به فإنّه يوجد فى الخارج بلاريب، وإنّها فعله وهو عباره عن تعيّن نظام بالعلم. وبما أنّ الله حكيم، فإنّ مشيّته تتعلق دائماً بالأفعال المؤسسه على الحكمه إلّا أنّه ظاهر أنّ الحكمه فى الفعل لا تكون علّه لإيجاده، لأنّ قدره الله حاكمه عليها. فمشيّه الله سبحانه وتعالى المستنده إلى العلم والقدره والحكمه هى السبب فى انتخاب نظام واحد من بين الأنظمه اللامتناهيه. وبما أنّ الله لا يكون ملزماً فى إيجاد أىّ فعل وتعيين أىّ نظام، فإنّه يقدر أن يمحو ما عيّنه بالعلم والقدره والحكمه سابقاً فى أىّ مرحله من مراحل المشيّه والإراده والقَدَر والقضا أو أن يغيّره ويبدّله أو يوجد ما لم يكن أصلاً.

وهذا ما يُعرف بالبداء فى المعارف الإلهيّه. ومعناه أن يمحو الله المشيئه السابقه بالمشيّه الجديده أو أن يغيّر أجزائها. وبتعبير آخر: أن يبدّل ما أراده سابقاً بالمشيّه الجديده ويوجِد ما لم تتعلّق به المشيّه سابقاً. يقول الله سبحانه

ص: ۱۵۷

وتعالی: ﴿یَمحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ وَیُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الکِتاب ۱).﴾)

إنّ متعلّق المحو فی الآـیه المبـارکه هو مـا تعلّقت به المشـیّه. فـالله سـبحانه وتعالی یمحو ما یشاء من المشـیّه الأولیّه. وبعباره أُخری: إنّ المراد من المحو، إمحـاء مـا ثبت فی مرتبه المشـیّه والإـراده والقضـاء والقـدر. وإنّ المراد من الإثبـات هو أن یثبت الله سـبحانه وتعالی بالمشیّه الجدیده ما لم یکن موجوداً ولم تتعلّق به المشیّه ولم یکتب فی الصحیفه النوریّه الإلهیّه.

یقول الإمام الصادق﴿ فی تفسیر الآیه المبارکه :

وَهَل یُمحَی إلَّا مَا کَانَ ثَابِتاً، وَهَل یُثبَتُ إلَّا مَا لَم یَکُن؟!(۲)

وقال الإمام السجاد﴿:

لَولَا آیَهٌ فِی کِتَابِ اللَّهِ، لَحَدَّثتُکُم بِمَا یَکُونُ إلَی یَومِ القِیَامَهِ.

فَقُلتُ: أیَّهُ آیَهٍ؟

قَالَ: قَولُ اللَّهِ: ﴿یَمحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ وَیُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الکِتَابِ ۳).﴾)

أهمّیّه البداء

إنّ لاـزم القـدره الإـلهیّه المطلقه هو البـداء الناشـئ عن العلم والمعرفه. فلاـ یمکن الاعتقـاد بعلم الله وقـدرته وإنکار مسأله البـداء. وفی الحقیقه إنّ إنکار البـداء الـذی هو علامه قـدره الله ومالکیّته هو عین إنکار قدرته ومالکیّته. فمعرفه البداء والوصول إلی عمقه وأسـراره والتسلیم له، عباده ذاتیّه لا تصل إلیها عباده. ولأجل أهمّیّه البداء وموقعیّته فی باب معرفه الله سبحانه

۱- رعد (۱۳) آیه ۳۹.

۲- الکافی، ج۱، ص۱۴۷، ح۲؛ الفصول المهمّه، ج۱، ص۲۱۹، ح۱۸۹.

۳- تفسیر العیاشیّ، ج۲، ص۲۱۵، ح۵۹؛ بحارالأنوار، ج۴، ص۱۱۸، ح۵۲ (الباب الثالث من أبواب الصفات من کتاب التوحید).

ص: ۱۵۸

وتعالى أُمر جميع الأنبياء بالإذعان والاعتراف به.

عن زراره عن أحدهما:

مَا عُبِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَیءٍ، مِثلِ البَدَاء.(۱)

وقال الإمام الصادق:

مَا عُظِّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، بِمِثلِ البَدَاءِ.(۲)

وقال الإمام الرضا:

مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِیّاً قَطُّ، إلَّا بِتَحرِیمِ الخَمرِ وَأن یُقِرَّ لَهُ بِالبَدَاءِ.(۳)

المشيّه الأزليّه فى منظار الوحى

يمكن أن يقال: إنّ المراد من الآيه المتقدّمه والروايات المذكوره ذيلها أنّ أعيان وحوادث العالم ثابته بالمشيّه الإلهيّه التى هى عين علمه فى أُمّ الكتاب، وأنّها متعلَّقه بمشيّه الله، ولا يُعقل تصوّر التغيير والتبديل فيما تعلّق به العلم والمشيّه والإراده والقدر والقضاء الإلهىّ، لأنّ الله سبحانه وتعالى قد فرغ من تنظيم العالم وتدبيره بالمشيّه الأزليّه فقدّر الأحكام والخصوصيّات المقتضيه لكلّ شئ طبقاً للمشيّه الثابته الأزليّه، بنحو لا يمكن التغيير والتبديل فيه. فجميع حوادث العالم تجرى بيد الله سبحانه

۱- التوحيد، ص۳۳۲، ح۱؛ بحارالأنوار، ج۴، ص۱۰۷، ح۱۹ (الباب الثالث من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).

۲- التوحيد، ص۳۳۳، ح۲؛ بحارالأنوار،ج۴، ص۱۰۷، ح۲۰.

۳- التوحيد، ص۳۳۳، ح۶؛ بحارالأنوار،ج۴، ص۱۰۸، ح۲۵.

ص: ۱۵۹

وتعالى طبقاً للأحكام الثابته فى أُمّ الكتاب؛ فيأت بالليل بعد النهار والموت بعد الحياه ولذا يمكن القول بأنّ الله يمحو الحكم الثانى بالحكم الأوّل.

يرد على هذا الاستنباط من الآيه الإشكالات التاليه:

۱.إنّ هذه النظريّه مبتنيّه على أنّ فاعليّه الله بالعنايه والرضا فى حين أنّ فاعليّته حسب الأدلّه الموجوده بالإبداء والإنشاء عن القدره والمالكيّه.

۲.بناءً على هذه النظريّه تكون مشيّه الله عين علمه وكلّ شىء متعلّق بالمشيّه الأزليّه، وهذه النظريّه تخالف البراهين والأدلّه القائمه على استحاله أزليّه مشيّته سبحانه وتعالى .

۳.ثبت فى محلّه أنّ مشيّه الله سبحانه وتعالى فعله وهو عباره عن تعيّن النظام فى العلم الحادث(۱) الذى علَّمه الله لأنبيائه وملائكته. وإنّ نسبه هذا النظام إلى علم الله، نسبه المتناهى إلى غير المتناهى؛ فعلم الله لا يكون بمعنى المشيّه التى هى عباره عن تدبير وتنظيم أُمور الخليقه . وإنّ تطبيق العلم على المشيّه، يوجب الالتزام بقِدَم العالَم وأزليّه فعل الله ونفى مالكيّته وقدرته بالنسبه إلى الفعل وتركه؛ وهذا مخالف لضروره الأديان.

۴.على هذا يكون تفسير الآيه بالحوادث المكتوبه فى الأزل، لا بالمحو والإثبات الحقيقىّ الذى هو الانمحاء المستند إلى المشيّه الازليّه.

بعباره أُخرى: يكون المحو والإثبات بمعنى انقضاء الأجل المكتوب وإظهار أمر ثابت ومكتوب فى الأزل وهذا مخالف لما ورد فى الحديث عن

۱- المراد من العلم الحادث هو العلم الذى تعيّن إجمالاً ـ أو تفصيلاً وتعلّق رأى الله سبحانه وتعالى به؛ مثل المشيّه، الإراده، القدر والقضاء.

ص: ۱۶۰

الإمام الصادق□فإنّه قال:

وَهَل يُمحَى إلَّا مَا كَانَ ثَابِتاً وَهَل يُثبَتُ إلَّا مَا لَم يَكُن.(۱)

فالصحيح أن يقال: إنّ المحو هنا بمعناه الحقيقیّ وأنّ متعلّقه هو الأمر الموجود الثابت الأعمّ من الحوادث والأعيان ، وهكذا يكون متعلّق الإثبات، الشیء الذی لم يكن موجوداً بأیّ وجه من الوجوه؛ لا أنّه إظهار لما كان ثابتاً فی الأزل. ويستفاد من الأحاديث أيضاً أنّ من موارد المحو والإثبات تقديم الأمر المؤخَّر وتأخير الأمر المقدَّم.

وليس من لوازم قبول المشیّه الحادثه أن لا ـ يكون للعالم تقدير ونظم ثابت عند الله سبحانه وتعالى وأن يكون نظام الخليقه موجوداً بالصدفه بغير تدبير وتقدير؛ لأنّ جميع ما خلقه الله تعالى تعيّن بالمشیّه الحادثه وهو متعلّق بإراده الله العليم الحكيم وتقديره. ولذا تكون مشیّه الله فعله المتعيّن، والمشیّه الجديده هی تعيين الخلق الجديد أو محو الأمر الثابت فی المشیّه السابقه، وإنّ كلا المشیّتان الحادثتان تتوافق مع الحكمه والمصلحه وتتطابق مع العلم الحادث الذی أفاضه الله على أنبيائه وملائكته.

البداء فی المعارف الإلهیّه والبشریّه

يظهر ممّا ذكرنا الفرق بين المعارف الإلهيّه وحصيله العلوم البشريّه فی الموارد التاليه:

۱. علم الله تبارك وتعالى غير متناه بحسب الكتاب والسنّه؛ أی أنّه لا يجوز تحديد علم الله وتعيّنه بالنظام الواحد الأحسن.

۱- الكافی، ج۱، ص۱۴۷، ح۲؛ الفصول المهمّه، ج۱، ص۲۱۹، ح۱۸۹.

ص: ۱۶۱

۲. إنّ قدره الله تعالى ومالكيّته على النظام الموجود، الذى تعلّقت به مشيّته وعلى الأنظمه الغير متناهيه ونقايضها وأضدادها، على نحو سواء .

۳. يحدث النظام الواحد بمشيّه الله وإرادته وتقديره، وهى أفعال الله التى تحصل من دون توهّم التحديد والتعيّن فى علمه.

۴. إنّ جميع ما سوى الله حقيقتاً حادث ومسبوق بالعدم المحض من المنظار الدينىّ؛ والأزليّه منحصره بالله تعالى بمعنى أنّه لم يكن مع الله شىء لا فى مرتبه الأُلوهيّه ولا فى مرتبه المخلوقات ثمّ خلق الموجودات والمخلوقات. وما يُعيّن النظام الموجود عن الأنظمه اللامتناهيه فى علم الله سبحانه وتعالى وقدرته، تعلّق مشيّه به.

۵. إنّ الله سبحانه وتعالى لم يفرغ من الخلق فى منظار الأديان الإلهيّه ولذا يستطيع أن يغيّر ويبدّل فيه. مع أنّه من منظار اليهود ومن يحذو حذوهم كلّ ما يجرى فى النظام الموجود من أفعال الله، يكون على طبق المشيّه الأزليّه وعلم الله تعالى محدود به ولا يمكن التغيير والتبديل فيه.

العلم منشأ البداء الإلهىّ

يقول الإمام الصادق:

إنّ لِلَّهِ عِلمَينِ: عِلمٌ مَكنُونٌ مَخزُونٌ، لَا يَعلَمُهُ إلَّا هُوَ؛ مِن ذَلِكَ يَكُونُ البَدَاءُ. وَعِلمٌ عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ وَأنبِيَاءَهُ، فَنَحنُ نَعلَمُهُ.(۱)

۱- الكافى، ج۱، ص۱۴۷، ح۸؛ بحارالأنوار، ج۲۶، ص۱۶۳، ح۹ (الباب ۱۲ من أبواب علومهم من كتاب الإمامه).

ص: ۱۶۲

و ورد عنه إنّه قال:

مَن زَعَمَ أنَ اللَّهَ يَبدُو لَهُ فِي شَي ءٍ اليَومَ، لَم يَعلَمهُ أمسِ فَابرَءُوا مِنهُ.(۱)

هذان الحديثان يشيران إلى أنّ البداء يكون بالعلم والمعرفه فقط. وكما ذكرنا فإنّ البداء هو تبديل التقدير الأوّل بالتقدير الثانى بالله سبحانه وتعالى. وبما أنّ التقديرين يكونان بمشيّه الله وإرادته وقضائه وقدره وكلّها أفعاله الحسنه التى صدرت عن علم وحكمه لا يمكن القبول بأنّ البداء وقع عن جهل الله بالموضوع. ولذا ما نُسب إلى الشيعه من أنّهم يعتقدون بالبداء الصادر عن الجهل، تهمه واضحه لا أساس لها.

البداء بالمعنى الذى أخذ به الشيعه من الأئمّه الهداه من مفاخر علوم القرآن وآيه لمجد الله وعظمته وقدرته ومالكيّته. وكلّ عقيده غير هذه تنتهى إلى مغلوليّه يد الله وأنّه قد فرغ من الأمر.

آثار الاعتقاد بالبداء

اشاره

فى ظلّ الاعتقاد بالبداء تظهر مكانه الدعاء ويظهر أنّ صله الأرحام والصدقه وزياره سيد الشهداء وغيرها من الأعمال الصالحه يردّ القضاء، والأعمال السيّئه تستلزم السخط الإلهىّ ومضاعفته؛ نشير إلى بعض الروايات باختصار.

الف) الأحاديث الدالّه على أنّ الدعاء يبدّل القضاء

۱- كمال الدين، ج۱، ص ۷۰؛ بحارالأنوار، ج۴، ص ۱۱۱، ح ۳۰ (الباب الثالث من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).

ص: ۱۶۳

قال الإمام الصادق:

الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَهُ الَّتِی قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إنَّ الَّذِینَ یَستَکبِرُونَ عَن عِبادَتِی سَیَدخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرین(۱) ادعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَقُل إنَّ الأمرَ قَد فُرِغَ مِنه.(۲)

وورد عن الإمام موسی بن جعفر:

إنَ الدُّعَاءَ یَرُدُّ مَا قُدِّرَ وَمَا لَم یُقَدَّر. قَالَ: قُلتُ جُعِلتُ فِدَاکَ، هَذَا مَا قُدِّرَ قَد عَرَفنَاهُ أ فَرَأیتَ مَا لَم یُقَدَّر؟ قَالَ: حَتَّی لَا یُقَدَّرَ.(۳)

وقال الإمام الصادق:

الدُّعَاءُ یَرُدُّ القَضَاءَ، بَعدَ مَا أُبرِمَ إبرَاماً.(۴)

تدلّ هذه الأحادیث علی فضل الدعاء وتحثّ العباد علی الإرتباط بالله والمسأله منه. فالدعاء إقرار عملی للداعی بالفقر والإحتیاج إلی الله تعالی،

۱- غافر (۴۰)، الآیه ۶۱.

۲- الکافی، ج۲، ص۴۶۷، ح۷؛ وسائل الشیعه، ج۷، ص۲۴، ح۴ [۸۶۰۲] (الباب الأوّل من أبواب الدعاء من کتاب الصلاه).

۳- بحارالأنوار، ج۹۰، ص۲۹۷، ح۲۷ (الباب ۱۶ من أبواب الدعاء من کتاب القرآن)؛ مستدرک الوسائل و مستنبط المسائل، ج۵، ص۱۶۵، ح۱۳ [۵۵۷۱] (الباب الثانی من أبواب الدعاء من کتاب الصلاه).

۴- الکافی، ج۲، ص۴۷۰، ح۷؛ بحارالأنوار، ج۹۰، ص۲۹۵، ح۲۳ (الباب ۱۶ من أبواب الدعاء من کتاب القرآن).

ص: ۱۶۴

لأنّ الله هو المنجی من المصائب والابتلائات؛ وإنّ رفع المصائب وقضاء الحوائج ونزول البرکات یکون بید قدرته؛ وإنّه هو المکرِم عباده المؤمنین بأنواع الکرامات؛ فلا یوجد مفرّ للموحّدین من التوسّل إلی الله بواسطه الدعاء والتضرّع إلیه والإیمان بأنّه عالم بحوائج الجمیع وقادر علی قضائها.

إنّ الشیطان أحیاناً یُلقی الناس فی وادی الیأس من الله وذلک بواسطه الشبهات، وللخلاص من هذه المصیده، یجب الإیمان بأنّ الله لا یقطع أمل الراجین به، ولا یردّ دعوه عبده، وإنّه لم یفرغ من الأمر، وإنّه أمرنا بالدعاء ووعدنا الإجابه:

«وَإذا سَألَکَ عِبادی عَنِّی فَإنِّی قَریبٌ أُجیبُ دَعوَهَ الدَّاعِ إذا دَعانِ فَلیَستَجیبُوا لی وَلیُؤمِنُوا بی لَعَلَّهُم یَرشُدُون (۱).»

ب) الأحادیث الدالّه علی وقوع البداء بواسطه صله الأرحام وإعطاء الصدقه وزیاره سیّد الشهداء

قال الإمام الصادق عن النبیّ:

صِلَهُ الرَّحِمِ، تَزِیدُ فِی العُمُر.(۲)

وقال الإمام الباقر:

بِرُّ وَالصَّدَقَهُ یَنفِیَانِ الفَقرَ، وَیَزِیدَانِ فِی العُمُرِ، وَیَدفَعَانِ تِسعِینَ مِیتَهَ

۱- البقره (۲) الآیه ۱۸۶.

۲- معانی الأخبار، ص۲۶۴، ح۱؛ بحارالأنوار، ج ۷۱، ص۹۴، ح۲۴ (الباب الثالث من أبواب آداب العشره بین ذوی الأرحام و... من کتاب العشره).

ص: ۱۶۵

السَّوءِ.(۱)

وقال الإمام الصادق:

يَا عَبدَ المَلِكِ! لَا تَدَع زِيَارَهَ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ، وَمُر أصحَابَكَ بِذَلِكَ يَمُدُّ اللَّهُ فِی عُمُرِكَ، وَيَزِيدُ اللَّهُ فِی رِزقِكَ وَيُحيِيكَ اللَّهُ سَعِيداً وَلَا تَمُوتُ إلَّا سَعِيداً وَيَكتُبُكَ سَعِيداً.(۲)

۱- الكافی، ج۴، ص۲، ح۲؛ بحارالأنوار ج ۹۳، ص۱۱۹، ح۱۷ (الباب ۱۴ من أبواب الصدقه من كتاب الزكاه و الصدقه).

۲- كامل الزيارات، ص۱۵۱، ح۵؛ بحارالأنوار، ج ۹۸، ص۴۷، ح۱۲ (الباب السادس من أبواب فضل زياره سيّد شباب أهل الجنه... من كتاب المزار).

ص: ۱۶۶

۱۰تحدّی القرآن وإعجازه

ضروره الإعجاز

ص: ١۶٧

ص: ١۶٨

ص: ١۶٩

فى سياق بيان قصص الأنبياء وأحوالهم مع أُممهم يثبت القرآن الكريم أنّ أُولئك الأنبياء كانت لهم الآيات والمعاجز التى جاؤوا بها بإذن الله تعالى لإثبات النبوّه وصدق الرساله.

وفى الحقيقه أنّ النبوّه والرساله ثبوتاً، هى النور والتعليم والهدايه الإلهيّه، فهى خارجه عن وجود النبىّ أو الرسول، يفيضها الله على أنبيائه ورسله على نحو خرق العاده خلافاً لقانون الطبيعه، ولا فرق فى ذلك بين أن يكون النبىّ أُمّياً أو لا .

وواضح أنّ التعليم الإلهىّ للأنبياء تعليم خاصّ، وسنخه وحقيقته مباين لجميع العلوم الفلسفيّه والعرفانيّه والتجريبيّه. هذا النوع من التعليم فعل الله وهو حجّه ذاتاً.

وأمّا إثباتاً بما أنّ حقيقه النبوّه والرساله محجوبه عن عامّه الناس ولا

ص: ١٧٠

يمكن وجدانها عبر الحواس والعقول، فإنّ الأُمم انكروا دعوه أنبيائهم واستهزؤوا بها. ولأجل إيمان الناس بهذه الدعوه ويصدّقوها يلزم على الأنبياء أن يملكوا دلائل وآيات مفيده للعلم بنبوّتهم .

إنّ معرفه صدق الأنبياء وكذبهم والإيمان بهم ممكن بواسطه العقل، والأنبياء لأجل صدق ادّعائهم قاموا بالتحدّى بما جاؤوا به من الآيات والمعاجز الواضحه .

وممّا يجب الالتفات إليه أنّه لا نحتاج إلى المعجزه للتصديق بتعاليم الأنبياء، لأنّ الإيمان بقسم من هذه التعاليم جائز شريطه معرفه صدق النبوّه ومعرفه الأنبياء، وبالقسم الآخر نحتاج إلى العلم والتذكّر والتدبّر، وبقسم ثالث كالأحكام الفرعيّه يكفى التعبّد.

إنّ السرّ فى كاشفيّه المعجزه عن مقام الرساله والنبوّه إثباتاً، هو أنّ الرساله والنبوّه كسائر المعاجز، أمر غير عادىّ خارج عن نظام الأسباب والمسبَّبات لا يمكن تصديقها بصرف الادّعاء. وظهور المعجزه بواسطه النبىّ فى مقام التحدّى هو طريق ووسيله تصديق لإعجاز آخر يُسمّى بالنبوّه والرساله، يشارك نفس المعجزه فى كونه خارقاً لنظام الأسباب، لأنّ حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحدٌ .

غايه الأمر أنّ المعجزه الأُولى أى نفس إعطاء نور النبوّه والرساله خارجه عن إدراك الناس وفهمم فعلاً وآثاراً، وأمّا المعجزه الثانيه التى استدلّ بها الأنبياء لإثبات ادّعائهم، لها آثار محسوسه يمكن للناس أن يفهموها. فلو جاء مدّعى النبوه والرساله بمعجزه وآيه واضحه، فإنّه لا

ص: ۱۷۱

یبقی سبب لإنکار النبوّه والرساله، بالأخصّ إذا کان فی مقام التحدّی .

ومـن العجیب أنّ معجزه نبیّنـا الأـعظم لیست کمعـاجز الأنبیـاء السـابقین، بـل هی عین الرسـاله والوحی الإـلهیّ. فـالقرآن الـذی قرأه جبریل علی النبیّ هو عین مصداق الرساله ومعجزه واقعاً.

لیس القرآن حجّه وبرهـان لإثبـات رسـاله أُخری بـل هو حجّه وبرهان لإثبات نفسه؛ فهو علم ونور وحجّه بالـذات لنفسه لا یحتاج إلی غیره من المعاجز. وقد تحدّی الموافق والمخالف من الجنّ والإنس بأنّه کلام الله وأنّه نازل من عنده ووصفهم بالعجز عن الإتیان بمثله.

إعجاز القرآن

قال الله تعالی:

وإِن کُنتُم فِی رَیبٍ مِمَّا نَزَّلنَـا عَلی عَبـدِنا فَـأتُوا بِسُورَهٍ مِن مِثلِهِ وادعُوا شُـهَداءَکُم مِن دُونِ اللَّهِ إن کُنتُم صـادِقِینَ * فَـإن لَم تَفعَلُوا ولَن تَفعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتی وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَهُ أُعِدَّت لِلکافِرِینَ؛(۱)

وقُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ عَلَی أن یَأتُوا بِمِثلِ هذَا القُرآنِ لَا یَأتُونَ بِمِثلِهِ وَلَو کَانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهِیراً(۲).

۱- البقره (۲)، الآیتان ۲۳ ۲۴.

۲- الإسراء (۱۷)، الآیه ۸۸.

ص: ۱۷۲

لا یخفی علی الباحثین والمتعلّمین أنّ هاهنا مقامان: مقام العجز عن الإتیان بمثل القرآن، ومقام المعرفه والعلم بأنّ القرآن حقّ لا ریب فیه وأنّه بیّنات وبصائر، وشفاء ورحمه، وبرهان من اللّه ونور مبین؛ ولا یجوز الخلط بین المقامین، إذ مقام معرفه حقانیّته مختصّ بمن تربّی واهتدی، واستنار بأنواره.

فلابدّ لمن أراد معرفه القرآن أن یعرفه حقّ المعرفه وأن لا یکابر عقله ولا یعاند فطرته، وأن یهتدی بهُدی الفطره الضروریّه، ویجتنب عن المنکرات الضروریّه والفطریّه، فمن خالف عقله ولم یهتد بما أودعه اللّه فیه من الهُدی فهو من الصمّ البُکم الّذین لا یعقلون، فلیس مَن عجز عن الإتیان بمثل القرآن عارفاً وعالماً بأنواره وتجلّیاته. وأنّ من یدّعی التحدّی والتعجیز علی نحو خارق للعاده وناقض للطبیعه، لابدّ من تعمیم دعواه وتحدّیه، إذ لیس هو فی مقام تحدّی الأشخاص، بل هو فی مقام تحدّی المجتمع البشریّ والمبارزه والمغالبه بینه وبین المجتمع، لا الأفراد والأشخاص. فلو غلب القرآن فرداً من الأفراد أو عدّه منهم ولم یغلب الکلّ فلیس بغالب. بداهه أنّ عجزالمجتمع بمجموعه، دلیل قطعیّ علی عجز کلّ فرد وفرد، فملاک الأمر هو عجزهم وخذلانهم سواء علموا أنّه من عند اللّه وأنّه نورٌ وهُدی للعالمین أم لا.

فالدهریّه والمعطّله الّذین ینکرون الصانع والتوحید والعقل والعلم، أشدّ عجزاً عن الإتیان بمثل هذه المعارف الإلهیّه والحقائق النوریّه من المبدأ والتوحید وأسماء اللّه تعالی وصفاته وکمالاته ونعوته، والعوالم الأُخرویّه السرمدیّه من الجنّه والنار وسکّانهما وما یرجع إلیه عاقبه أمر المؤمنین والملحدین.

ص: ۱۷۳

ودونهم فی العجز والخذلان، أهل الکتاب وغیرهم من الأُمم الّذین ألحدوا فی طریق عرفانه تعالی بعد نداء القرآن بهذه المعارف العالیّه وبعد تنوّر أهل العالم بهذا النور المبین.

وأمّا الأُمّه الاسلامیّه؛ فمن کان عارفاً بعظمائها یعلم أنّهم ما بلغوا من المجد والکمال إلّا فی ظلّ تربیه القرآن، وأنّهم خطوا خطوات سامیّه فی هذا المجال؛ فهم شهداء الحقّ علی أنّ الرسول قد أتی بهذا النور القاهر، والبرهان الساطع الذی تحیّرت فیه العقول والألباب.

ومن هذه الأُمّه أیضاً من قد اشتبه علیه الأمر وتوهّم أنّ القرآن المبین ومعارفه من سنخ تصوّرات الیونانیّین ولم یعرف أُفق أنوار القرآن ومعارفه، ومباینته لما قاله المتصوّفون والمتفلسفون.(۱)

فتبیّن ممّا ذکرنا أنّ الحقّ هو تعمیم مورد التحدّی والتعجیز، لکلّ من کان مکلّفا من العرب والعجم، والخواصّ والعوامّ، والجنّ والإنس، والحاضر عصر النزول والغائب عنه، لا فُصَحاء العرب خاصّه، ولا العرب خاصّه، ولا الخواصّ فقط، ولا الإنس خاصّه.

وجه التحدّی والإعجاز

یظهر ممّا ذکرنا فی مورد التحدّی والتعجیز وجه التحدّی أیضاً، فإنّه إذا کان مورد التحدّی عامّاً لِلإنس والجنّ أجمعین، لا فصحاء العرب وبلغاءهم فقط؛ یظهر أنّ وجه التحدّی والتعجیز أیضاً لیس هو الفصاحه والبلاغه

۱- لمزید من الاطّلاع راجع کتاب أبواب الهدی (لمیرزا مهدیّ الإصفهانیّ)، ص۲۳۵ ۲۸۱.

ص: ۱۷۴

خاصّه، سواء کان التعجیز بمجموع القرآن أو بأبعاضه.

فالقول بأنّ وجه التحدّی هو الفصاحه، باطل رأساً لا شاهد علیه. وسرّ هذا القول لیس إلّا أنّ القائل به لمّا رأی أنّ مرتبه فصاحه القرآن وبلاغته فوق طاقه الفصحاء والبلغاء، وخارق للعاده، حمل أدلّه التحدّی والتعجیز علی ذلک. ولکن بالتوجّه إلی مقام الرساله أو القرآن، یعلم أنّ التحدّی والتعجیز بالفصاحه لأمثال امرئ القیس، تحقیر لمقام الرساله والقرآن الکریم، فإنّ امرئ القیس ونُظَراءه، أنزل قَدَراً من أن یرید اللّه تعالی تعجیزهم وتحدّیهم بالقرآن. ولیس هذا هو شأن خاتم الأنبیاء المصلح الوحید فی المجتمع البشریّ؛ هذا أوّلاً.

ثانیاً: إنّ الإعجاز لا یتمّ إلّا بتعجیز الکلّ فی جمیع الشؤون فلو لم یعجز الکلّ فلا یکون إعجازاً علی الإطلاق، بل یکون إعجازاً للعرب فی مسأله الفصاحه والبلاغه؛ فکیف یکون تعجیزهم دلیلاً وحجّه علی سائر الملل والأُمم؟! وعلیه لا یمکن الاستناد إلی عجز العرب لمعرفه إعجاز القرآن ولا یمکن عجزهم دلیل علی إعجازه.

ثالثاً: لو کانت الفصاحه والبلاغه وجهاً لتحدّی القرآن، فلازمه أن یکون کلام اللّه من سنخ کلامهم، وفصاحته أیضاً من سنخ فصاحتهم، وأدلّه الباب من الآیات والروایات تتأبّی عن ذلک، إذ مفادها أنّ اللّه تعالی لیس کمثله شیء من جمیع الوجوه(۱)، وأنّ کلامه تعالی لا یشابه کلام البشر؛

۱- لمزید من الاطّلاع من هذه الآیات والروایات راجع إلی کتاب میزان المطالب، (لمیرزا جواد الطهرانیّ)، ص۳۳ ۴۲.

ص: ۱۷۵

لا أن یکون کلامه تعالی أعلی من کلام مخلوقاته علی وجه التشکیک والإختلاف فی الضعف والشدّه، والإعجاز بهذا النحو. بل أنّ کلامه تعالی لا یقاس أصلاً بکلام غیره، کما أنّ ذاته لا یقاس بشیء من مخلوقاته.(۱)

نعم، لا إشکال فی القول بفصاحه القرآن بالمعنی اللغویّ وبلاغته؛ فإنّ الفصاحه فی اللّغه، الإبانه والخلوص والظهور والتکلّم بالعربیّه.

قال فی لسان العرب:

فَصُح الأعجمیُّ بالضمّ فَصاحهً: تکلّم بالعربیّه وفُهِمَ عنه... . وَالفَصِیحُ فی اللّغه: المنطلق اللسان فی القول، الذی یَعرف جَیِّدَ الکلام من رَدِیئه... . وَأفصَحَتِ الشاهُ وَالناقه: خَلَصَ لَبَنَهُما... . وَأفصَحَ الصُّبحُ: بدا ضوؤُه واستبان. وکلّ ما وَضَحَ، فقد أفصَحَ. وکلُّ واضح: مُفصِحَ.(۲)

وفیه أیضاً:

والبَلاغهُ: الفَصاحهُ. وَالبَلغُ وَالبِلغُ: البَلِیغُ من الرجال. ورجل بَلِیغٌ وبَلغٌ وبِلغٌ، حَسَنُ الکلام: فَصِیحُه یبلغ بعباره لسانه کُنهَ ما فی قلبه.(۳)

فلا کلام فی بلوغ فصاحه القرآن وبلاغته حدّ الإعجاز التامّ بالمعنی اللغویّ.

۱- لمزید من الاطّلاع راجع: رساله فی وجه إعجاز کلام الله المجید فی کتاب رسائل شناخت قرآن (لمیرزا مهدیّ الإصفهانیّ)، ص۱۷۷ ۱۸۴.

۲- لسان العرب، ج۲، ص۵۴۴.

۳- لسان العرب، ج۸، ص۴۲۰.

ص: ۱۷۶

وأمّا وجه تحدّی القرآن وإعجازه، فالواجب استنباطه من لسان الكتاب والسنّه وتاريخ نزول القرآن وما عارض به النبیّ المكابرين والمعاندين.(۱)

نماذج تاريخيّه من تأثير القرآن

ورد فی السيره النبويّه لابن هشام:

ثمّ إنّ الوليد بن المغيره اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سنّ فيهم، وقد حضر الموسم. فقال لهم: يا معشر قريش، إنّه قد حضر هذا الموسم وإنّ وفود العرب ستقدّم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا، فيكذّب بعضكم بعضاً، ويردّ قولكم بعضه بعضاً.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقُل وأقِم لنا رأيًا نَقُل به. قال: بل أنتم فقولوا، أسمع.

قالوا: نقول: كاهن. قال: لا واللّه، ما هو بكاهن. لقد رأينا الكهّان؛ فما هو بزمزمه الكاهن ولا سجعه.

قالوا: فنقول: مجنون. قال: ما هو بمجنون. لقد رأينا الجنون وعرفناه؛ فما هوبخَنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر. لقد عرفنا الشعر كلّه؛ رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه؛ فما هو بالشعر.

۱- . لمزيد من الاطّلاع راجع: رساله رسائل القرآن والفرقان فی كتاب رسائل شناخت قرآن (لميرزا مهدیّ الإصفهانیّ).

ص: ۱۷۷

قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر. لقد رأينا السُّحّار وسحرهم؛ فما هوبنفثهم ولا عقدهم.

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: واللّه إنّ لقوله لحلاوه. وإنّ أصله لَعذق. وإنّ فرعه لجناه... وإنّ أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته.

فتفرّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسُبُل النّاس، حين قدموا الموسم، لا يمرّ بهم أحد إلّا حذّروه إيّاه وذكروا لهم أمره. فأنزل اللّه تعالى فى الوليد بن المغيره وفى ذلك من قوله:

«ذَرنِى وَمَن خَلَقتُ وَحِيداً * وَجَعَلتُ لَهُ مَالاً مَمدُوداً * وَبَنينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُ لَهُ تَمهِيداً * ثُمَّ يَطمَعُ أن أزَيدَ * كَلَّا إنَّهُ كَانَ لِآياتِنَا عَنِيداً»(۱)(۲). »

ورد فى تفسير القمّىّ، ذيل الآيه:

فإنّها نزلت فى الوليد بن المغيره. وكان شيخاً كبيراً مجرّباً من دُهاه العرب. وكان من المستهزئين برسول اللّه. وكان رسول اللّه يقعد فى الحجره ويقرأ القرآن. فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيره فقالوا: يا أبا عبد شمس ما هذا الذى يقول محمّد؟أشعر هو

۱- المدثر (۷۴)، الآيات ۱۱ ۱۶ .

۲- السّيره النبويّه، ج ۱، ص ۲۷۰.

ص: ۱۷۸

أم كهانه أم خطب؟فقال: دعونى أسمع كلامه. فدنا من رسول اللّه فقال: يا محمّد أنشدنى من شعرك.

قال: ما هو شعر ولكنّه كلام اللّه الذى ارتضاه لملائكته وأنبيائه. فقال: اتل علىّ منه شيئاً.

فقرأ رسول اللّه حم السجده، فلمّا بلغ قوله: فَإِن أعرَضُوا(۱) يا محمّد أعنى قريشاً «فقل»لهم؛ أنذَرتُكُم صَاعِقَهً مِثلَ صَاعِقَهِ عَادٍ وثَمُودَ(۲) قال: فاقشعرّ الوليد وقامت كلّ شعره فى رأسه ولحيته. ومرّ إلى بيته ولم يرجع إلى قريش من ذلك.

فمشوا إلى أبى جهل فقالوا: يا أبا الحكم إنّ أبا عبد شمس صبا إلى دين محمّد. أما تراه لم يرجع إلينا؟

فغدا أبوجهل إلى الوليد فقال له: يا عمّ نكست رؤوسنا وفضحتنا، وأشمتّ بنا عدوّنا، وصبوت إلى دين محمّد.

فقال: ما صبوت إلى دينه، ولكنّى سمعت منه كلاماً صعباً تقشعرّ منه الجلود!

فقال له أبوجهل: أخطب هو؟قال: لا، إنّ الخطب كلام متّصل. وهذا كلام منثور ولا يشبه بعضه بعضاً.

قال: أفشعر هو؟ قال: لا، أما إنّى قد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها، ورملها ورجزها وما هو بشعر.

۱- فصّلت (۴۱)، الآيه ۱۳.

۲- فصّلت (۴۱)، الآيه ۱۳.

ص: ۱۷۹

قال: فما هو؟ قال: دعنى أُفكّر فيه، فلمّا كان من الغـد؛ قالوا: يا أبا عبـد شـمس ما تقول فيما قلناه؟قال: قولوا: هو سـحر فإنّه أخذ بقلوب الناس، فأنزل اللّه على رسوله فى ذلك: ﴿ذَرنِى وَمَن خَلَقتُ وَحِيداً۲)(۱). ﴾

وفى بحارالأنوار، عن علىّ بن إبراهيم بن هاشم أنّه قال:

قـدم أسـعد بن زراره وذكوان بن عبـد قيس فى موسم من مواسم العرب وهمـا من الخزرج وكان بين الأوس والخزرج، حرب قـد بقوا فيها دهراً طويلاً وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بعاث، وكانت للأوس على الخزرج.

فخرج أسـعد بن زراره وذكوان إلى مكّه فى عمره رجب يسـألون الحلف على الأـوس، وكـان أسـعد بن زراره صـديقاً لعتبه بن ربيعه. فنزل عليه فقال له: إنّه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناك نطلب الحلف عليهم.

فقال له عتبه: بعدت دارنا من داركم، ولنا شغل لا نتفرّغ لشى ء. قال: وما شغلكم وأنتم فى حرمكم وأمنكم؟

قال: له عتبه خرج فينا رجل يدّعى أنّه رسول اللّه سفّه أحلامنا،

۱- المدّثر (۷۴)، الآيه ۱۱.

۲- تفسير القمّىّ، ج۲، ص۳۹۳؛ بحارالأنوار، ج۹، ص۲۴۴، ح۱۴۸ (الباب الأوّل من كتاب الاحتجاج).

ص: ۱۸۰

وسبّ آلهتنا، وأفسد شبّابنا، وفرّق جماعتنا. فقال له أسعد: من هو منكم؟

قال: ابن عبداللّه بن عبد المطّلب، من أوسطنا شرفاً، وأعظمنا بيتاً. وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الّذين كانوا بينهم: النضير وقريظه وقينقاع، أنّ هذا أوان نبيّ يخرج بمكّه يكون مهاجره بالمدينه لنقتلنّكم به يا معشر العرب. فلمّا سمع ذلك أسعد وقع فی قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟

قال: جالس فی الحجر، وإنّهم لا يخرجون من شعبهم إلّا فی الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلّمه فإنّه ساحر يسحرك بكلامه وكان هذا فی وقت محاصره بنی هاشم فی الشعب.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لابدّ لی أن أطوف بالبيت؟ قال: ضع فی أذنيك القطن.

فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن. فطاف بالبيت ورسول اللّه جالس فی الحجر مع قوم من بنی هاشم، فنظر إليه نظرهً فجازه. فلمّا كان فی الشّوط الثّانی قال فی نفسه: ما أجد أجهل منّی.(۱) أيكون مثل هذا الحديث بمكّه فلا أتعرّفه حتّی أرجع إلی قومی فأخبرهم؟

۱- فی نسخه: ما أحد أجهل منیّ.

ص: ۱۸۱

ثمّ أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول اللّه: أنعم صباحاً. فرفع رسول اللّه رأسه إليه وقال: قد أبدلنا اللّه به ما هو أحسن من هذا. تحيّه أهل الجنّه: السّلام عليكم.

فقال له أسعد: إنّ عهدك بهذا لقريب. إلى ما تدعو يا محمّد؟

قال: إلى شهاده أن لا إله إلّا اللّه، وأنّى رسول اللّه، وأدعوكم إلى

أن لا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً وَبالوالِدَينِ إحساناً وَلَا تَقتُلُوا أولَادَكُم مِن إملَاقٍ نَحنُ نَرزُقُكُم وإيَّاهُم وَلَا تَقرَبُوا الفَواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنها وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بِالحَقِّ ذلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ وَلَا تَقرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إلَّا بِالَّتِی هِیَ أحسَنُ حَتَّی يَبلُغَ أشُدَّهُ وَأوفُوا الكَيلَ والمِيزَانَ بِالقِسطِ لَا نُكَلِّفُ نَفساً إلَّا وُسعَهَا وَإذَا قُلتُم فَاعدِلُوا وَلَو كَانَ ذَا قُربی وَبِعَهدِ اللَّهِ أوفُوا ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ(۱).

فلمّا سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلّا اللّه. وأنّك رسول اللّه... . فلمّا قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامه يقول لك خالك: لا تأتنا فی نادينا، ولا تفسد شبّاننا واحذر الأوس على نفسك. فقال مصعب: أو تجلس فنعرض عليك أمراً، فإن أحببته دخلت فيه وإن كرهته نحّينا عنك ما تكره. فجلس فقرأ عليه سورهً من القرآن فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم فی هذا الأمر؟

۱- الأنعام (۶)، الآيتان ۱۵۱ ۱۵۲.

ص: ۱۸۲

قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين، ونشهد الشهادتين، ونصلّی رکعتين، فرمی بنفسه مع ثيابه فی البئر، ثمّ خرج وعصر ثوبه ثمّ قال: اعرض علیّ، فعرض عليه شهاده أن لا إله إلّا اللّه وأنّ محمّداً رسول اللّه فقالها ثمّ صلّی رکعتين... .(۱)

إعجاز القرآن فی علومه ومعارفه

إنّ بعض المعاندين رمی القرآن بأنّه أساطير الأوّلين وادّعی أنّ رسول الله تقوّله واختلقه من نفسه. قال تعالی:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَا ذَا أَنزَلَ رَبُّكُم قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾؛(۲)

﴿وَإِذَا تُتلی عَلَيهِم آيَاتُنَا قَالُوا قَد سَمِعنَا لَو نَشَاءُ لَقُلنَا مِثلَ هَذَا إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾؛(۳)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفكٌ افتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيهِ قَومٌ آخَرُونَ فَقَد جَاؤُ ظُلماً وزُوراً * وقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكتَتَبَهَا فَهِیَ تُملی عَلَيهِ بُكرَهً وأَصِيلًا﴾؛(۴)

﴿إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَولِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤمِنُونَ *

۱- بحارالأنوار، ج۱۹، ص۸، ح۵ (الباب الخامس من أبواب احواله من البعثه إلی نزول المدينه من کتاب تاريخ نبيّنا)؛ إعلام الوری بأعلام الهدی، ص۵۵.

۲- النحل (۱۶)، الآيه ۲۴.

۳- الأنفال (۸)، الآيه ۳۱

۴- الفرقان (۲۵)، الآيتان ۴ ۵.

ص: ۱۸۳

وَلَا بِقَولِ کَاهِنٍ قَلِیلاً مَا تَذَکَّرُونَ * تَنزِیلٌ مِن رَبِّ العَالَمِینَ * وَلَو تَقَوَّلَ عَلَینَا بَعضَ الأَقَاوِیلِ * لَأَخَذنا مِنهُ بِالیَمِینِ * ثُمَّ لَقَطَعنَا مِنهُ الوَتِینَ * فَمَا مِنکُم مِن أَحَدٍ عَنهُ حَاجِزِینَ(۱).)

فرمی القرآن بأنّه إفک أو أساطیر الأوّلین أو أنّه قول شاعر مجنون أو قول کاهن، وأمثال ذلک؛ وکذلک رمی رسول اللّه بأنّه مسحور أومجنون، کلّه راجع إلی مفاد القرآن ودعوته ومقاصده لا فصاحته وبلاغته. وکذلک إنکار وحدانیّه الله واتخاذ الشریک له واستبعاد المعاد الجسمانیّ وسائر معانده المشرکین ولجاجتهم یرجع إلی علوم القرآن ومعارفه.

قال الله تعالی:

وَقَالَ الکافِرُونَ هذا ساحِرٌ کَذَّابٌ * أ جَعَلَ الآلِهَهَ إلهاً واحِداً إنَّ هذا لَشَی ءٌ عُجابٌ؛(۲)

و وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِیَ خَلقَهُ قالَ مَن یُحیِ العِظامَ وَهِیَ رَمِیمٌ * قُل یُحیِیهَا الَّذِی أنشَأَهَا أوَّلَ مَرَّهٍ وهُوَ بِکُلِّ خَلقٍ عَلِیمٌ(۳).)

فتبیّن ممّا ذکرنا أنّ المکابرین والمعارضین للقرآن إنّما رموه واعترضوا علیه لأجل مقاصده ومواعظه وهداياته.

فإن قیل: ما هو المحذور من تحدّی القرآن بالفصاحه والبلاغه المصطلحه المستحدثه ؟

۱- حاقه (۶۹)، الآیتان ۴۰ ۴۷.

۲- ص (۳۸)، الآیتان ۴ ۵.

۳- یس (۳۶)، الآیتان ۷۸ ۷۹.

ص: ۱۸۴

قلت: الکلام فی التحدّی بالمعنی المصطلح، یقع تارةً بالنظر إلی مقام الإثبات وتارةً بالنظر إلی مقام الثبوت؛ وأمّا الجهه الأُولی فقد قدّمنا شطراً من الکلام فیه وأنّه لا شاهد ولا دلیل علیه بحسب الکتاب والسنّه. وأمّا بحسب الواقع والثبوت، فبدیهیّ أنّ المهمّ عقد البحث فی أنّه هل یمکن أن تکون الفصاحه والبلاغه بالمعنی المصطلح وجهاً للتحدّی أم لا؟

فنقول: الفصاحه والبلاغه والتحدّی بهما لخصوص فصحاء العرب أو لجمیع الناس ممّا لا فائده فیه؛ فإنّ الشؤون الراجعه إلی مقام النبوّه ومنزله السفاره والخلافه، هی إصلاح المجتمع البشریّ وتطهیرهم من القذارات، وتعدیلهم عن الانحرافات، وسوقهم وهدایتهم إلی الکمالات الراقیه؛ فلا محاله یکون إعجازه من جنس ما بعث لأجله.

فإن قیل: فأیّ مانع من أن لا یکون التعجیز الذی مرجعه إلی التعجیز بالعلم والقدره الخارقَین للعاده والطبیعه من جنس الشؤون الراجعه إلی مقام الرساله، فإنّ إحیاء الموتی، وإبراء الأکمه والأبرص، وقلب العصا ثُعباناً، وشق البحر وأمثالها، لیس من سنخ ما بعث الرسول لأجله، وإنّما هی آیات وبراهین لإثبات النبوّه.

قلت: نعم، إلّا أنّ الفصاحه والبلاغه المصطلحه لا تقاس بآیات الأنبیاء وبراهینهم؛ لأنّ الإعجاز لابدّ أن یکون خارقاً للعاده والطبیعه ومبایناً ذاتاً وسنخاً لسنخ أفعال البشر، والفصاحه والبلاغه لهما حدود مقدوره للبشر والحدّ الأعلی منهما خارج عن قدره البشر، ومع ذلک من سنخ ما یکون تحت قدره البشر، وقد صرّح بذلک من قال بأنّ وجه التحدّی هو الفصاحه

ص: ۱۸۵

والبلاغه. فالمقایسه بین الفصاحه وإحیاء الموتی وغیره من آیات الأنبیاء ممّا لا وجه له. فإنّ إحیاء الموتی وسائر براهین الأنبیاء لیس أمراً قابلًا للتشکیک، بأن یکون قسماً منه فوق طاقه البشر وقسماً منه مقدور له، بل هی حقیقه واحده مختصّه به تعالی ومن أفعاله جلّ شأنه، وأفعاله تعالی لا کیف لها ولا یمکن تعقّلها وتصوّرها وتوهّمها. وهکذا فصاحه القرآن، فإنّه وإن لم یُتحدَّ بها ولکنّها فوق فصاحه البشر وخارقه لها، لا بمعنی کونها أعلی درجات الفصاحه المصطلحه، وإنّما هی کما مرّ لیست من نفس السنخ، فهی فعل من أفعال اللّه التی لیس لها مثیل.

إن قلت: روایه ابن السکّیت عن أبی الحسن الرضا دالّه علی أنّ الإعجاز فی القرآن إنّما هو بالفصاحه.

ففی الکافی، عن الحسین بن محمّد، عن أحمد بن محمّد السیّاریّ، عن أبی یعقوب البغدادیّ قال: قال ابن السکّیت لأبِی الحسنِ: لِمَ اذا بعث الله موسی بن عمران بالعصا ویده البیضاء وآله السحر؟ وبعث عیسی بآله الطبّ؟ وبعث محمداً وعلی جمیع الأنبیاء بالکلام والخطب؟ فقال أبو الحسنِ:

إنَّ اللَّهَ لَمَّا بَعَثَ مُوسَی کَانَ الغَالِبُ عَلَی أهلِ عَصرِهِ السِّحرَ، فَأتَاهُم مِن عِندِ اللَّهِ بِمَا لم یَکُن فِی وُسعِهِم مِثلُهُ، وَمَا أبطَلَ بِهِ سِحرَهُم، وَأثبَتَ بِهِ الحُجَّهَ عَلَیهِم. وَإنَّ اللَّهَ بَعَثَ عِیسَی فِی وَقتٍ قَد ظَهَرَت فِیهِ الزَّمَانَاتُ وَاحتَاجَ النَّاسُ إلَی الطِّبِّ فَأتَاهُم مِن عِندِ اللَّهِ بِمَا لم یَکُن عِندَهُم مِثلُهُ، وَبِمَا أحیَا لَهُمُ المَوتَی،

ص: ۱۸۶

وَأبرَأ الأکمَهَ وَالأبرَصَ بِإذنِ اللّهِ، وَأثبَتَ بِهِ الحُجَّهَ عَلَیهِم. وَإنَّ اللّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً فِی وَقتٍ کَانَ الغَالِبُ عَلَی أهلِ عَصرِهِ الخُطَبَ وَالکَلَام وَأظُنُّهُ قَالَ: الشِّعرَ فَأتَاهُم مِن عِندِ اللّهِ مِن مَوَاعِظِهِ وَحِکَمِهِ مَا أبطَلَ بِهِ قَولَهُم وَأثبَتَ بِهِ الحُجَّهَ عَلَیهِم... .(۱)

قلت: کلّما، فإنّ الروایه الشریفه تبحث عن سنّه اللّه تعالی وصنعه الحکیم فی آیات الأنبیاء وتذکّر أنّ اللّه تعالی اختار لکلّ من أنبیائه براهین وآیات متناسبه مع زمانهم. ولیست فیها دلاله علی أنّ برهان موسی من سنخ السحر، وبرهان عیسی من سنخ الطِّبابه، وبرهان نبیّنا من سنخ الکلام البشریّ، وأنّ ما جاء به موسی هو الطرف الأعلی من السحر، وکذلک ما جاء به عیسی هو الطرف الأعلی من الطِّبابه، وما جاء به رسول اللّه هو الطرف الأعلی من الفصاحه المصطلحه.

وفی الحدیث الشریف نصّ علی أنّ رسول الله جاء من عند اللّه بالمواعظ والحکم، وبما أبطل به قولهم. ولیس فیه أنّ إعجاز الکلام بالفصاحه والبلاغه المصطلحه، بل إنّ فی عدوله من لفظ «الکلام» إلی قوله: «مَوَاعِظِهِ وَحِکَمِهِ» دلاله علی أنّ کلامه مواعظ وحِکَم.

القرآن کلام الله

اتّضح من جمیع ما ذکرنا أنّه لا دلیل علی أنّ وجه التحدّی هو الفصاحه والبلاغه

۱- الکافی، ج۱، ص۲۴، ح۲۰؛ بحارالأنوار، ج۱۷، ص۲۱۰، ح۱۵ (الباب الأوّل من أبواب معجزاته من کتاب تاریخ نبیّنا).

ص: ۱۸۷

المصطلحه. وعُلِمَ أنّ جنس الإعجاز بعد الفراغ عن كونه خارقاً للعاده والطبيعه، لابدّ أن يكون مبايناً لأفعال البشر. فإنّ الإعجاز فِعل اللّه تعالى وهو خارج عن السنن الطبيعيّه مستنداً إلى مشيئته جلّ ثناؤه. والآيات والأخبار تصرّح بأنّ القرآن كلام اللّه سبحانه. قال تعالى:

«أفَتَطمَعُونَ أن يُؤمِنُوا لَكُم وَقَد كانَ فَريقٌ مِنهُم يَسمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُم يَعلَمُونَ»؛(۱)

«وَإن أحَدٌ مِنَ المُشرِكِينَ استَجارَكَ فَأجِرهُ حَتَّى يَسمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أبلِغهُ مَأمَنَهُ ذَلِكَ بِأنَّهُم قَومٌ لَا يَعلَمُونَ(۲).»

ورد فی التوحید عن سالم سألت أبا عبد الله عن القرآن، فقال:

هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَقَولُ اللَّهِ وَكِتَابُ اللَّهِ وَوَحيُ اللَّهِ وَتَنزِيلُه... .(۳)

وفیه، عن أحمد بن زیاد مسنداً عن الحسین بن خالد قال: قلت للرضا علیّ بن موسی: یا ابن رسول الله أخبرنی عن القرآن أخالق أو مخلوق؟ فقال:

لَيسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ.(۴)

۱- لبقره (۲)، الآیه ۷۵.

۲- التوبه (۹)، الآیه ۶ .

۳- التوحید، ص۲۲۴، ح۳ (الباب ۳۰)؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۱۱۷، ح۳.

۴- التوحید، ص۲۲۳، ح۱ (الباب ۳۰)؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۱۱۷، ح۱ (الباب ۱۴ من أبواب فضله وأحکامه وإعجازه من کتاب القرآن).

ص: ۱۸۸

وفيه أيضاً، عن جعفر بن محمّد بن مسرور مسنداً عن الريّان بن الصلت قال: قلت للرضا: ما تقول فی القرآن؟ فقال:

كَلَامُ اللَّهِ لا تَتَجَاوَزُوهُ، وَلَا تَطلُبُوا الهُدَى فِی غَيرِهِ فَتَضِلُّوا.(۱)

وفيه، عن أبيه، عن سعد بن عبد اللّه بن محمّد بن عيسى بن عبيد اليقطينیّ قال: كتب علیّ بن محمّد بنِ علیّ بنِ موسى الرضا إلى بعض شيعته ببغداد:

بِسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ. عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الفِتنَهِ، فَإِن يَفعَل فَقَد أعظَمَ بِهَا نِعمَهً وَإِن لَا يَفعَل فَهِیَ الهَلكَهُ، نَحنُ نَرَى أنَّ الجِدَالَ فِی القُرآنِ بِدعَهٌ، اشتَرَكَ فِيهَا السَّائِلُ وَالمُجِيبُ. فَيَتَعَاطَى السَّائِلُ مَا لَيسَ لَهُ، وَيَتَكَلَّفُ المُجِيبُ مَا لَيسَ عَلَيهِ. ولَيسَ الخَالِقُ إلَّا اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ ومَا سِوَاهُ مَخلُوقٌ، والقُرآنُ كَلَامُ اللَّهِ، لا تَجعَل لَهُ اسماً مِن عِندِكَ فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ. جَعَلَنَا اللَّهُ وإيَّاكَ مِنَ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بِالغَيبِ وَهُم مِنَ السَّاعَهِ مُشفِقُونَ۳)(۲).)

وفيه أيضاً، عن الحسين بن إبراهيم مسنداً عن سليمان بن جعفر الجعفریّ قال: قلت لأبی الحسن موسى بن جعفر: يا ابن رسول اللهِ ما تقول فی القرآن فقد اختلف فيه من قبلنا؟ فقال قوم إنّه مخلوق. وقال قوم: إنه غير مخلوق. فقال:

۱- التوحيد، ص۲۲۳، ح۲؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۱۱۷، ح۲.

۲- الأنبياء (۲۱)، الآيه ۴۹.

۳- التوحيد، ص۲۲۴، ح۴؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۱۱۸، ح۴.

ص: ۱۸۹

أمَا إنِّی لَا أقُولُ فِی ذَلِکَ مَا یَقُولُونَ: وَلَکِنِّی أقُولُ: إنَّهُ کَلَامُ اللَّهِ.(۱)

الذی یظهر من التاریخ وکلمات الأعلام، أنّه شاع بین العامّه مسأله قِدَم القرآن وحدوثه وکونه خالقاً أو مخلوقاً. واشتدّ الخصام والتنازع وکفّر بعضهم بعضاً ورفع الأمر إلی خلفاء الوقت وانجرّ الأمر إلی الضرب والقتل والتوهین. وأئمّه أهل البیت وقعوا فی مخمصه هذه الخرافه وفی خلال کلماتهم صرّحوا بمحض الحقّ مراعاه للتقیّه.

ورد فی الاحتجاج، عن صفوان بن یحیی أنّه قال: سألنی أبوقرّه المحدّث صاحب شبرمه أن أدخله إلی أبی الحسن الرضا فاستأذنته فأذن له، فدخل فسأله عن أشیاء من الحلال والحرام والفرائض والأحکام حتّی بلغ سؤاله إلی التوحید فقال له: ... فما تقول فی الکتب؟ فقال أبوالحسن:

التَّورَاهُ والإنجِیلُ والزَّبُورُ والفُرقَانُ وکُلُ کِتَابٍ أُنزِلَ کَانَ کَلَامَ اللَّهِ تَعَالَی، أنزَلَهُ لِلعَالَمِینَ نُوراً وهُدًی، وهِیَ کُلُّهَا مُحدَثَهٌ وهِیَ غَیرُ اللَّهِ، حَیثُ یَقُولُ «أو یُحدِثُ لَهُم ذِکراً(۲).»

وقَالَ: «مَا یَأتِیهِم مِن ذِکرٍ مِن رَبِّهِم مُحدَثٍ إلَّا استَمَعُوهُ وهُم یَلعَبُون(۳)». واللَّهُ أحدَثَ الکُتُبَ کُلَّهَا الَّتِی أنزَلَهَا.

فَقَالَ أبُوقُرَّهَ: فَهَل تَفنَی؟

۱- . التوحید، ص۲۲۴، ح۵؛ بحارالأنوار، ج۸۹، ص۱۱۸، ح۵.

۲- طه (۲۰)، الآیه ۱۱۳.

۳- الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۲.

ص: ۱۹۰

فَقَالَ أبُوالحَسَنِ: أجمَعَ المُسلِمُونَ عَلَى أنَّ مَا سِوَى اللَّهِ فَانٍ ومَا سِوَى اللَّهِ فِعلُ اللَّهِ، وَالتَّورَاهُ وَالإنجِيلُ وَالزَّبُورُ وَالفُرقَانُ فِعلُ اللَّهِ؛ ألم تَسمَعِ النَّاسَ يَقُولُونَ: رَبُّ القُرآنِ. وَإنَّ القُرآنَ يَقُولُ يومَ القِيَامَهِ: يَا رَبِّ، هَذَا فُلَانٌ وهُوَ أعرَفُ بِهِ منه قَد أظمَأتُ نَهَارَهُ، وَأسهَرتُ لَيلَهُ، فَشَفِّعنِي فِيهِ. وَكَذَلِكَ التَّورَاهُ وَالإنجِيلُ وَالزَّبُورُ كُلُّهَا مُحدَثَهٌ مَربُوبَهٌ. أحدَثَهَا مَن لَيسَ كَمِثلِهِ شَی ءٌ، هُدًى لِقَومٍ يَعقِلُونَ. فَمَن زَعَمَ أنَّهُنَّ لم يَزَلنَ مَعَهُ فَقَد أظهَرَ أنَّ اللَّهَ لَيسَ بِأوَّلٍ قَدِيمٍ وَلَا وَاحِدٍ، وَأنَّ الكَلَامَ لم يَزَل مَعَهُ وَلَيسَ لَهُ بَدءٌ وَلَيسَ بِإلَهٍ.(۱)

فهذه التصريحات منه إبطال لما تقوّلوا من قِدَم القرآن أو أنّه خالق أو غير مخلوق.

فظهر ممّا ذكرنا من الآيات والروايات أنّ القرآن كلام اللّه، نزل به الروح الأمين على سيّد المرسلين. وأنّ جسده هذه الحروف والكلمات والجُمَل، وروحه الحقائق والعلوم التى دلّ عليها القرآن، وليس النازل على الرسول المعانى فقط. وليست الألفاظ والكلمات من الرسول، ولا يمكن لقريحه البشر، أن تأتى بمثل القرآن كى يلزم ما استشكلوا من أنّ قريحه الإنسان، أمرعاديّ فكيف يعتمد ويستند إليه كلام خارق للعاده، ومن أنّ دلاله الألفاظ على المعانى بالوضع وهو أمر اعتباريّ؛ فكيف يُعقل

۱- الاحتجاج، ج۲، ص۴۰۵؛ بحارالأنوار، ج ۱۰، ص۳۴۴، ح۵ (الباب ۱۹ من أبواب احتجاجات أميرالمؤمنين من كتاب الاحتجاج).

ص: ۱۹۱

أن يكون الإعجاز معلولاً للأمر الوضعيّ الاعتباريّ. فالإشكال والجواب الذى تكلّفوه لا موضوع له أساساً، إذ القرآن كلام إلهيّ وفعل اللّه سبحانه، وفعل اللّه سبحانه نفس الإعجاز، وإنّ الإعجاز يتحقّق من دون وساطه العلل والأسباب العاديه بلا كيف ولا تعقُّل ولا تصوّر ولا توهّم.

وأمّا دلاله تلك الكلمات والجُمَل على العلوم والحقائق، فقد تقدّم أنّ للقرآن مراتب وأنّ مرتبته النازله هى مرتبه دعوه العامّه التى يكون مخاطبها جميع الناس. وبعباره أُخرى؛ مرتبه الدعوه العامّه تكون الظواهر والنصوص التى احتجّ اللّه بها على خلقه ودعاهم إلى دينه وتوحيده وطاعته، وحذّرهم من أخذه ونقمته وبأسه، وبَشَّرَهم بمثوبته ورضوانه. ولها مراتب خاصّه أيضاً يختصّ بها الحجج والرسل لا غيرهم. ولابدّ لغيرهم من التعلّم منهم. والحمد للّه ربّ العالمين. وصلّى اللّه على نبيّنا محمّد وآله الطاهرين.

ص: ۱۹۲

الفهارس

فهرس الآيات الكريمه

ص: ۱۹۳

ص: ۱۹۴

ص: ۱۹۵

الآیه البقره (۲) الصفحه

۲۴۲۳ وَإن کُنتُم فِی رَیبٍ مِمَّا نَزَّلنَا... ۱۷۱

۹۹ وَلَقَد أنزَلنَا إلَیکَ آیَاتٍ بَیِّنَاتٍ... ۵۷

۷۵أفَتَطمَعُونَ أن یُؤمِنُوا لَکُم... ۱۸۷

۱۳۶ مَا نَنسَخ مِن آیَهٍ أو نُنسِهَا... ۱۴۷

۱۳۹فَاعفُوا وَاصفَحُوا حَتَّی یَأتِیَ اللَّهُ... ۱۵۲

۱۴۳ وَکَذلِکَ جَعَلناکُم أُمَّهً وَسَطاً... ۴۰

۱۵۱ کَمَا أرسَلنَا فِیکُم رَسُولاً مِنکُم... ۸۸

۱۵۸ شَهرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنزِلَ فیهِ القُرآنُ ۴۹، ۵۵

۱۷۰ وَإذَا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أنزَلَ اللَّهُ... ۵۷

۱۸۶ وَإذا سَألَکَ عِبادی عَنِّی فَإنِّی قَرِیبٌ... ۱۶۴

۱۸۹وَأتُوا البُیُوتَ مِن أبوابِها... ۱۰۴

۲۳۷ وَإن طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أن تَمَسُّوهُنَّ... ۶۱

۲۵۹وَانظُر إلَی حِمَارِکَ ۱۴۱

آل عمران (۳)

۴ هُدیً لِلنَّاسِ وَأنزَلَ الفُرقانَ... ۵۰

۷فَأمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِم... ۶۷، ۷۱،۷۰ ، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۳۱

۱۶۴ لَقَد مَنَّ اللَّهُ عَلَی المُؤمِنِینَ... ۸۸

ص: ۱۹۶

النساء (۴)

۱خَلَقَ مِنها زَوجَها... ۱۴۲

۴۱فَکَیفَ إذا جِئنا مِن کُلِّ أُمَّهٍ بِشَهیدٍ... ۴۱

۵۹أطِیعُوا اللَّهَ وأطِیعُوا الرَّسُولَ... ۱۰۳

۸۳ وَ لَو رَدُّوهُ إلَی الرَّسُولِ وَإلی أُولِی... ۱۰ ، ۱۳۳

۱۷۴ یَا أَیُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَکُم بُرهَانٌ... ۲۹، ۹۹

المائده (۵)

۱۳ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُکِّرُوا بِهِ ... ۱۰۴، ۱۳۶

۴۸ وَأنزَلنَا إلَیکَ الکِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً... ۳۰

۶۴ وَقالَتِ الیَهُودُ یَدُ اللَّهِ مَغلُولَهٌ... ۱۴۹

الأنعام (۶)

۳۸مَا فَرَّطنا فِی الکِتابِ مِن شَیءٍ... ۹۱

۱۰۳ لَا تُدرِکُهُ الأبصَارُ... ۷۹، ۸۰

۱۱۴ وَهُوَ الَّذِی أنزَلَ إلَیکُمُ الکِتابَ مُفَصَّلًا... ۵۷

۱۵۱ ۱۵۲ أن لا تُشرِکُوا بِهِ شَیئاً وَبِالوالِدَینِ... ۱۸۱

الأعراف (۷)

۵۲ ۵۳ وَلَقَد جِئنَاهُم بِکِتَابٍ فَصَّلنَاهُ... ۵۹، ۱۱۹

۱۸۸ وَلَو کُنتُ أعلَمُ الغَیبَ لَأستَکثَرتُ... ۶۲

۱۹۶إنَّ وَلِیِّیَ اللَّهُ الَّذِی نَزَّلَ الکِتَابَ... ۵۸

الأنفال (۸)

۳۱ وَإِذَا تُتلى عَلَيهِم آيَاتُنَا قَالُوا... ۱۸۲

ص: ۱۹۷

التوبه (۹)

۶ وَإن أحَدٌ مِنَ المُشرِكِينَ استَجارَكَ... ۱۸۷

۲۹ قَاتِلُوا الَّذينَ لَا يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ.. ۱۴۱

۱۱۹اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ... ۱۰۳

یونس (۱۰)

۳۷ ۳۹ وَمَا كانَ هَذَا القُرآنُ أن يُفتَرَى... ۵۳، ۵۹، ۱۱۹

۵۷ يَا أيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَتكُم مَوعِظَةٌ... ۹۹

هود (۱۱)

۱كِتَابٌ أُحكِمَت آيَاتُهُ... ۵۳، ۵۸

الرعد (۱۳)

۲۳قُل كَفى بِاللَّهِ شَهيداً بَينى وَبَينَكُم... ۴۰

۳۹ يَمحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثبِتُ... ۲۰، ۱۳۹، ۱۵۶

النحل (۱۶)

۲۴ وَإذَا قِيلَ لَهُم مَا ذَا أنزَلَ رَبُّكُم... ۱۸۲

۴۴ وَأنزَلنَا إلَيكَ الذِّكرَ... ۸۸

۸۴رَبَّنَا وَابعَث فِيهِم رَسُولاً مِنهُم... ۸۸

الإسراء (۱۷)

۹إنَّ هَذَا القُرآنَ يَهدِى... ۲۵

۸۸قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ... ۱۷۱

۱۰۵ ۱۰۶ وَبِالحَقِّ أنزَلناهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ... ۵۰

۲۳۵ وَأوفُوا الكَيلَ... ۱۳۹

ص: ۱۹۸

الكهف (۱۸)

۷۸سَأُنَبِّئُکَ بِتَأوِيلِ مَا لَم تَستَطِع عَلَيهِ صَبراً... ۱۳۹

۸۲ذلِکَ تَأوِيلُ مَا لَم تَستَطِع عَلَيهِ صَبرا... ۱۳۹

مريم (۱۹)

۲۰قَالَت أنَّى يَکُونُ لِی غُلامٌ ... ۶۱

طه (۲۰)

۵الرَّحمنُ عَلَى العَرشِ استَوى... ۷۸

الأنبياء (۲۱)

۲ مَا يَأتِيهِم مِن ذِکرٍ مِن رَبِّهِم مُحدَثٍ... ۱۸۹

۴۹الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بِالغَيبِ... ۱۸۸

الفرقان (۲۵)

۱تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الفُرقانَ... ۲۹، ۵۰

۴ ۵ وَقَالَ الَّذينَ کَفَرُوا إن هَذَا... ۱۸۲

السجده (۳۲)

۱ ۲ الم * تَنزيلُ الکِتَابِ لا رَيبَ... ۵۴

۳۲قُل يَتَوَفَّاکُم مَلَکُ المَوتِ الَّذی وُکِّلَ بِکُم... ۱۲۴

الأحزاب (۳۳)

۳۳إنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذهِبَ عَنکُمُ الرِّجسَ... ۱۲۹

فاطر (۳۵)

۳۲ ۳۳ثُمَّ أورَثنَا الکِتابَ الَّذِينَ اصطَفَينا... ۱۲۹

ص: ۱۹۹

يس (۳۶)

۱ ۲يس * وَالقُرآنِ الحَكِيمِ ۵۹

۱۲ وَكُلَّ شَيءٍ أحصَينَاهُ فِي إمَامٍ مُبِينٍ... ۶۱

۷۸ ۷۹ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلقَهُ... ۱۸۳

ص (۳۸)

۴ ۵ وَقَالَ الكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ... ۱۸۳

۲۹كِتَابٌ أنزَلنَاهُإلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ... ۲۵

الزمر (۳۹)

۱تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ... ۵۸

۲۳اللَّهُ نَزَّلَ أحسَنَ الحَدِيثِ... ۱۳۱

۱۱اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوتِها... ۱۲۴

غافر (۴۰)

۴۰إنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتِي... ۱۶۳

۶۰أُدعُونِي أستَجِب لَكُم... ۱۴۹

فصلت (۴۱)

۲۶ لَاتَسمَعُوا لِهذَا القُرآنِ... ۳۴

۵۱ وَإذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ... ۶۲

الزخرف (۴۳)

۱ ۴ حم * وَالكِتابِ المُبِينِ... ۵۴

محمّد (۴۷)

۲۴ أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ... ۹۹

ص: ۲۰۰

الفتح (۴۸)

۱۸ لَقَد رَضِیَ اللَّهُ عَنِ المُؤمِنینَ... ۹۴

النجم (۵۳)

۱۱ ۱۲ مَا کَذَبَ الفُؤادُ مَا رَأی... ۷۹

۱۸ لَقَد رَأی مِن آیاتِ رَبِّهِ الکُبرَی... ۷۹

القمر (۵۴)

۴۸ذُوقُوا مَسَّ سَقَر... ۶۲

الواقعه (۵۶)

۷۷ ۸۰إنَّهُ لَقُرآنٌ کَرِیمٌ... ۵۴، ۶۰، ۶۱

الحشر (۵۹)

۲۱ لَو أنزَلنَا هَذَا القُرآنَ عَلَی جَبَلٍ... ۲۵، ۵۷

الجمعه (۶۲)

۲هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الأُمِّیِّینَ رَسُولاً... ۸۹

المنافقون (۶۳)

۴وَإذا رَأیتَهُم تُعجِبُکَ أجسامُهُم... ۱۰۸

الحاقه (۶۹)

۴۰ ۴۷إنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ کَرِیمٍ... ۱۸۲

المزمل (۷۳)

۵إنَّا سَنُلقی عَلَیکَ قَولاً ثَقِیلاً... ۹۰

المدّثر (۷۴)

۱۱ ۱۶ ذَرنِی وَمَن خَلَقتُ وَحِیداً... ۱۷۷، ۱۷۹

ص: ۲۰۱

القیامه (۷۵)

۱۶ ۱۹ لَاتُحَرِّک بِهِ لِسَانَکَ لِتَعجَلَ بِهِ... ۴۵، ۸۸

۲۳إلَی رَبِّهَا نَاظِرَهٌ... ۷۹

النازعات (۷۹)

۴ ۵فَالسَّابِقَاتِ سَبقاً... ۱۴۲

القدر (۹۷)

۱إنَّا أنزَلناهُ فی لَیلَهِ القَدرِ ۵۵

ص: ۲۰۲

فهرس الروايات الشريفه

ص: ۲۰۳

الإمام العسكری أتَدرُونَ مَنِ المُتَمَسِّكُ... ۱۰۰

الإمام الصادق أنتَ فَقِيهُ أهلِ العِرَاقِ؟ قَالَ نَعَم ۴۳، ۱۳۲

الإمام الصادق إنَّ القُرآنَ زَاجِرٌ، وَآمِرٌ، يَأمُرُ... ۷۱

الإمام الصادق إنَّ القُرآنَ مُحكَمٌ ومُتَشَابِهٌ،... ۷۰

الإمام الكاظم إنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ مَا قُدِّرَ وَمَا لَم يُقَدَّر ۲۱

الإمام الصادق إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّداً... ۱۰۳، ۱۳۵

رسول اللّه إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ جَعَلَ كِتَابِی... ۳۰

الإمام الصادق إنَّ اللهَ عَلَّمَ نَبِيَّهُ، التَّنزِيلَ... ۱۲۲

الإمام الباقر إنَّ رَسُولَ اللَّهِ أفضَلُ الرَّاسِخِينَ... ۱۲۱

الإمام الصادق إنَّ فِيكُم مَن يُقَاتِلُ عَلَى تَأوِيلِ... ۱۲۲

الإمام الصادق إنَّ لِلقُرآنِ تَأوِيلًا فَمِنهُ مَا قَد جَاءَ... ۱۲۰

الإمام الصادق إنّ لِلَّهِ عِلمَينِ عِلمٌ مَكنُونٌ مَخزُونٌ... ۱۶۱

الإمامالهادی بِسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ. عَصَمَنَا اللَّهُ ... ۱۸۸

الإمام الباقر بِرُّ وَالصَّدَقَهُ يَنفِيَانِ الفَقرَ... ۱۶۴

الإمام الرضا التَّورَاهُ والإنجِيلُ والزَّبُورُ والفُرقَانُ... ۱۸۹

أمير المؤمنين ثُمَّ أنزَلَ عَلَيهِ الكِتَابَ نُوراً لَا تُطفَأُ ۱۵

أمير المؤمنين ثُمَّ إنَّ اللهَ جَلَّ ذِكرُهُ لِسَعَهِ رَحمَتِهِ ۳۷

الإمام الرضا ثُمَّ التَفَتَ إلَى سُلَيمَانَ... ۱۴۹

ص: ۲۰۴

الإمام الصادق الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَهُ الَّتِی ... ۱۶۳

الإمام الصادق الدُّعَاءُ يَرُدُّ القَضَاءَ بَعدَ مَا أُبرِمَ إبرَاماً ۱۶۳

الإمام السجاد فَاجعَلنَا مِمَّن يَرعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ ۷۳

الإمام الصادق فَإذَا التَبَسَت عَلَيكُمُ الفِتَنُ ... ۲۶، ۴۱

أميرالمؤمنين فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً بِالحَقِّ؛ لِيُخرِجَ عِبَادَهُ ۲۹

الإمام الصادق فَرَسُولُ اللَّهِ أفضَلُ الرَّاسِخِينَ... ۱۲۸

أمير المؤمنين فَوَ اللهِ لَهُوَ مُبَيِّنٌ لَكُم نُوراً وَاحِداً ۱۷

الإمام الصادق قَالَ: الفُرقَانُ هُوَ كُلُ أمرٍ مُحكَمٍ... ۵۰

الإمام الرضا قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَا آمَنَ بِی مَن فَسَّرَ... ۹۷

الإمام الصادق قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِی لَيلَهِ القَدر... ۶۹

الإمام الصادق القُرآنُ جُملَهُ الكِتَابِ وَالفُرقَانُ المُحكَمُ ۵۰

الإمام الرضا لا أقُولُ كَمَا قَالُوا، ولَكِنِّی... ۱۲۹

الإمام الرضا لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَی لَم يُنزِلهُ لِزَمَانٍ... ۲۸

رسول الله لِأَنَّهُ مُتَفَرِّقُ الآيَاتِ ۵۱

الإمام الصادق مَا عُظِّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمِثلِ البَدَاءِ ۱۵۸

أمير المؤمنين مَا نَزَلَت عَلَی رَسُولِ اللَّهِ آيَهٌ مِنَ القُرآنِ ۱۲۰

الإمام الصادق مَعَاشِرَ النَّاسِ تَدَبَّرُوا القُرآنَ... ۷۲، ۱۳۵

الإمام الصادق مَن زَعَمَ أنَّ اللهَ يَبدُو لَهُ... ۲۱

الإمام الصادق نَزَلَ القُرآنُ جُملَهً وَاحِدَهً فِی شَهرِ رَمَضَانَ... ۶۳

الإمام الصادق وَمَن فَسَّرَ [بِرَأيِهِ] آيَهً ... ۹۸

الإمام السجاد وَوَحياً أنزَلتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ... ۵۷

فهرس مصادرالتحقيق

ص: ۲۰۵

القرآن.

نهج البلاغه.

الصحیفه السجّادیّه.

التفسیر المنسوب إلی الإمام الحسن العسکریّ.

۱. ابـن أبی جمهـور، محمّـد بـن زین الـدین(ت ۹۰۱ق). عـوالی اللئـالی العزیزیّـه فی الأحـادیث الـدینیّه. تحقیـق: مجتـبی عراقی. قم: منشورات دار سیّد الشهداء للنشر. الطبعه الأُولی: ۱۴۰۵ق.

۲. ابن الفـارس، أحمـد بن فارس(ت ۳۹۵ق). معجم مقـاییس اللغه. تحقیق: عبـد السـلام محمّـد هارون. قم: منشورات مکتب الإعلام الاسلامیّ. الطبعه الأُولی: ۱۴۰۴ ق.

۳.ابن عربیّ، محمّد بن علیّ (ت ۶۳۸ق). الفتوحات المکیّه. بیروت: منشورات دار الصادر.

۴.ابن منظور، محمّد بن مکرّم(ت ۷۱۱ق). لسان العرب. بیروت: منشورات دار الفکر للطباعه والنشر والتوزیع. الطبعه الثالثه: ۱۴۱۴ ق.

۵. الإصفهانیّ، میرزا مهدیّ (ت ۱۳۶۵ق). أبواب الهدی. تحقیق: حسین مفید. طهران: منشورات زنبق. الطبعه الأُولی: ۱۳۸۷ش.

ص: ۲۰۶

۶. الإصفهانیّ، میرزا مهدیّ(ت ۱۳۶۵ق). رسائل شناخت قرآن. تحقیق: حسین مفید. طهران: منشورات منیر. الطبعه الأُولی: ۱۳۸۸ش.

۷. البحرانیّ، السیّد هاشم (ت۱۱۰۷ق). البرهان فی تفسیر القرآن. قم: منشورات قسم الدرسات الاسلامیّه مؤسسه البعثه. الطبعه الأُولی: ۱۳۷۴ ش.

۸. البرقیّ، أحمد بن محمّد بن خالد(ت ۲۸۰ق). المحاسن. قم: منشورات دارالکتب الاسلامیّه. الطبعه الثانیه: ۱۳۷۱ ق.

۹.الجصّاص، أحمد بن علیّ (القرن الرابع). أحکام القرآن. تحقیق: محمّد صادق القمحاویّ. بیروت: منشورات دار إحیاء التراث العربیّ. ۱۴۰۵ق.

۱۰. الجوهریّ، إسماعیل بن حمّاد (ت ۳۹۸ق). الصحاح (تاج اللغه وصحاح العربیّه). تحقیق: أحمد عبد الغفور عطّار. القاهره: منشورات دار العلم للملایین. الطبعه الأُولی: ۱۳۷۶ ق.

۱۱. الحرّ العامليّ، محمّد بن حسن(ت ۱۱۰۴ق). تفصیل وسائل الشیعه إلی تحصیل مسائل الشریعه. قم: مؤسسه آل البیت لإحیاء التراث. الطبعه الأُولی: ۱۴۰۹ق.

۱۲. الحسینیّ الزبیدیّ، محمّد مرتضی(ت ۱۲۰۵ ق). تاج العروس من جواهر القاموس. بیروت: منشورات دارالفکر. الطبعه الأُولی: ۱۴۱۴ ق.

۱۳. راغب الإصفهانیّ، حسین بن محمد(ت ۴۰۱ق). مفردات ألفاظ القرآن. بیروت دمشق: منشورات دار القلم الدار الشامیّه. الطبعه الأُولی: ۱۴۱۲ق.

۱۴. الربانیّ المیانجیّ، حسین(ت ۱۳۷۴ش). معاد از دیدگاه قرآن، حدیث وعقل. قم: منشورات علمیّه. الطبعه الثانیه:۱۴۱۴ق.

ص: ۲۰۷

۱۵. رشید رضا، محمّد (ت۱۳۵۴ ق). تفسیرالقرآن الحکیم الشهیر بتفسیر المنار. بیروت: منشورات دارالمعرفه. الطبعه الثانیه.

۱۶.الزمخشریّ، محمود(ت ۵۳۸ق). الکشـاف عن حقـائق غوامض التنزیـل. بیروت: منشورات دار الکتاب العربیّ. الطبعه الثالثه: ۱۴۰۷ ق.

۱۷. السبزواریّ، ملّاهادی (ت ۱۲۸۹ق). شرح المنظومه.طهران: منشورات ناب. الطبعه الأُولی: ۱۳۹۶ش.

۱۸.السیّدان، السیّد جعفر. السنخیّه أم الإتّحاد والعینیّه أم التباین؟ترجمه: ماجد الکاظمی. مشهد: منشورات پارسیران. الطبعه الأُولی.

۱۹. السیوطیّ، جلال الدین(ت ۹۱۱ق). الإتقان فی علوم القرآن. تحقیق: سـعید المندوب. بیروت: منشورات دار الفکر. الطبعه الأُولی: ۱۴۱۶ق.

۲۰. الشهرستانیّ، أبی الفتح محمّد بن عبد الکریم بن أبی بکر أحمد(ت ۵۴۸ق) الملل والنحل. تحقیق: محمّد السیّد الگیلانی. بیروت: منشورات دار المعرفه للطباعه والنشر والتوزیع.

۲۱. الشهرستانیّ، السیّد علیّ. منع تدوین الحدیث. قم: منشورات مؤسسه الإمام علیّ. الطبعه الأُولی: ۱۴۱۸ق.

۲۲. . وضوء النبیّ. الطبعه الأُولی: ۱۴۲۰ق.

۲۳. صدر المتألّهین، محمّد ابراهیم(ت ۱۰۵۰ق). مفاتیح الغیب. طهران: منشورات مؤسسه الدراسات الثقافیّه. الطبعه الأُولی: ۱۳۶۳ ش.

۲۴. . الحکمه المتعالیه فی الأسفار العقلیّه الأربعه. بیروت: منشورات دار إحیاء التراث. الطبعه الثالثه: ۱۹۸۱م.

ص: ۲۰۸

۲۵. الصدوق، محمّد بن علیّ بن بابویه(ت ۳۸۱ق). معانی الأخبار. تحقیق: علیّ أکبر الغفاریّ. قم: مؤسسه النشر الاسلامیّ. الطبعه الأُولی: ۱۴۰۳ق.

۲۶. . التوحید. تحقیق: السیّد هاشم الحسینیّ. قم: مؤسسه النشر الإسلامیّ. الطبعه الأُولی: ۱۳۹۸ق.

۲۷. . علل الشرایع. قم: منشورات مکتبه الداوریّ. الطبعه الأُولی: ۱۳۸۵ ق.

۲۸.. عیون أخبار الرضا. تحقیق: مهدی اللاجوردیّ. طهران: منشورات جهان. الطبعه الأُولی: ۱۳۷۸ ق.

۲۹. .کمال الدین وتمام النعمه. تحقیق: علیّ أکبر الغفاریّ. طهران: منشورات الاسلامیّه. الطبعه الثانیه: ۱۳۹۵ق.

۳۰. الصفّار، محمّد بن حسن(ت ۲۹۰ق). بصائر الدرجات فی فضائل آل محمّد. تحقیق: محسن بن عباسعلی کوچه باغی. قم: مکتبه آیه الله المرعشیّ النجفیّ. الطبعه الثانیه: ۱۴۰۴ق.

۳۱.الطباطبائیّ، السیّد محمّد حسین(ت ۱۴۰۲ق). المیزان فی تفسیر القرآن. قم: مؤسسه النشر الاسلامی. ۱۴۱۷ ق.

۳۲. الطبرسیّ، أحمد بن علیّ(ت ۵۸۸ق). الاحتجاج علی أهل اللجاج. تحقیق: محمّد باقر الخرسان. مشهد: نشر المرتضی.الطبعه الأُولی: ۱۴۰۳ ق.

۳۳. الطبرسیّ، فضل بن حسن (ت۵۴۸ ق). مجمع البیان فی تفسیر القرآن. طهران: منشورات ناصر خسرو. الطبعه الثالثه: ۱۳۷۲ ش.

ص: ۲۰۹

۳۴. . إعلام الورى بأعلام الهدى. طهران: منشورات الاسلاميّه. الطبعه الثالثه: ۱۳۹۰ق.

۳۵.. تفسير جوامع الجامع. طهران: منشورات جامعه طهران. الطبعه الأُولى: ۱۳۷۷ ش.

۳۶. الطحاوىّ، ابن أبى العزّ الحنفىّ(ت ۷۹۲ق). شرح العقيده الطحاويّه. بغداد: منشورات دار الكتاب العربىّ. الطبعه الأُولى: ۲۰۰۵م.

۳۷. الطريحىّ، فخر الدين بن محمّد(ت ۱۰۸۵ق). مجمع البحرين. تحقيق: أحمد الحسينىّ اشكورىّ. طهران: منشورات مرتضوى. الطبعه الثالثه: ۱۳۷۵ش.

۳۸. الطوسىّ، محمّد بن الحسن(ت ۴۶۰ق). الإستبصار فيما اختلف من الأخبار. تحقيق: حسن الموسوىّ الخرسان. طهران: منشورات دار الكتب الاسلاميّه. الطبعه الأُولى: ۱۳۹۰ ق.

۳۹. الحميرىّ المعافرىّ، عبدالملك بن هشام (ت۲۱۸ ق). السيره النبويّه. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبيارىّ وعبد الحفيظ شلبىّ. بيروت: منشورات دارالمعرفه.

۴۰.علم الهدىّ، محمّد باقر(ت ۱۴۳۱ق). البداء آيه عظمه الله. تقرير: السيّد علىّ الرضوىّ. مشهد: منشورات الولايه. الطبعه الأُولى: ۱۴۳۳ق.

۴۱. . سدّ المفر على القائل بالقدر. تقرير: السيد علىّ الرضوىّ، أمير الفخارىّ وحسن الكاشانىّ. طهران: منشورات منير. الطبعه الأُولى: ۱۳۸۸ش.

ص: ۲۱۰

۴۲. العيّاشيّ، محمّد بن مسعود(ت ۳۲۰ق). تفسير العياشيّ. تحقيق: السيّد هاشم الرسوليّ المحلاتيّ. طهران: منشورات المطبعه العلميّه. الطبعه الأُولى: ۱۳۸۰ش.

۴۳. الفارابيّ، أبو نصر (ت ۳۳۹ق). فصوص الحكم. قم: منشورات بيدار. الطبعه الثانيه: ۱۴۰۵ق.

۴۴. الفيض الكاشانيّ، محمّد بن المرتضى (ت ۱۰۹۱ ق). تفسير الصافى. تحقيق: حسين الأعلميّ. طهران: منشورات مكتبه الصدر. الطبعه الثانيه: ۱۴۱۵ ق.

۴۵. الفيوميّ، أحمد بن محمّد(ت ۷۷۰ ق). المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعيّ. قم: مؤسسه دار الهجره. الطبعه الثانيه: ۱۴۱۴ ق.

۴۶. القمّيّ المشهديّ، محمّد بن محمّد رضا(ت ۱۱۲۵ق). تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب. تحقيق: حسين الدرگاهيّ. طهران: وزاره الثقافيّه والإرشاد الاسلاميّ. الطبعه الأُولى: ۱۳۶۸ ش.

۴۷. القمّيّ، على بن ابراهيم(ت۳۰۷ ق). تفسير القمّيّ. تحقيق: السيّد الطيّب الموسويّ الجزائريّ. قم: منشورات دار الكتاب. الطبعه الثانيه: ۱۴۰۴ق.

۴۸. القيصريّ الروميّ، محمّد بن داوود(ت ۷۵۱ق). شرح فصوص الحكم. بمساعى السيد جلال الدين الآشتيانيّ. منشورات العلميّه الثقافيّه. الطبعه الأُولى: ۱۳۷۵ش.

۴۹. الكاشانيّ، ملّا عبدالرزاق(ت ۷۳۰ق). تفسير ابن عربيّ. بيروت: منشورات دار إحياء التراث العربيّ.۱۴۲۲ ق.

ص: ۲۱۱

۵۰. الکشّیّ، محمّد بن عمر(القرن الرابع). اختیار معرفه الرجال (رجال الکشیّ). مطبعه جامعه مشهد مقدّس. الطبعه الأُولی: ۱۴۰۹ ق.

۵۱. الکلینیّ، محمّد بن یعقوب بن إسحاق(ت ۳۲۹ق). الکافی. تحقیق: علی أکبر الغفاریّ. طهران: منشورات دارالکتب الاسلامیّه. الطبعه الرابعه: ۱۴۰۷ ق.

۵۲. المجلسیّ، محمّد باقر(ت ۱۱۱۰ق). بحارالأنوار الجامعه لدرر الأخبار الأئمّه الأطهار. بیروت: منشورات دار إحیاء التراث العربیّ. الطبعه الثانیه: ۱۴۰۳ق.

۵۳.. مرآه العقول فی شرح أخبار آل الرسول. طهران: دار الکتب الاسلامیه. الطبعه الخامسه: ۱۳۸۵ ش.

۵۴. الملکیّ المیانجیّ، محمّد باقر(ت ۱۳۷۷ش). مناهج البیان فی تفسیر القرآن. طهران: مؤسسه الطباعه والنشر وزاره الثقافه والإرشاد الاسلامیّ. الطبعه الأُولی: ۱۴۱۷ ق.

۵۵. . توحید الإمامیّه. تنظیم: محمّد البیابانیّ الأُسکوئیّ. طهران: مؤسسه الطباعه والنشر وزاره الثقافه والإرشاد الاسلامی. الطبعه الأُولی: ۱۴۱۵ق.

۵۶. الموسویّ الخوئیّ، السیّد أبوالقاسم(ت ۱۴۱۳ق). معجم رجال الحدیث وتفصیل طبقات الرواه. قم: مرکز النشر الثقافه الاسلامیّه. الطبعه الخامسه: ۱۴۱۳ ق.

ص: ۲۱۲

۵۷. المیرداماد، محمّد باقر(ت ۱۰۴۱ ق). القبسات. طهران: منشورات جامعه طهران. الطبعه الثانیه: ۱۳۶۷ش.

۵۸.النسائیّ، أحمد بن شعیب (ت ۳۰۳ ق). سنن النسائیّ. منشورات دار الفکر للطباعه و النشر. الطبعه الأُولی: ۱۳۴۸ ق.

۵۹. النعمانیّ، محمّد بن إبراهیم(ت ۳۵۰ق) . الغیبه. تحقیق: علیّ أکبر الغفاریّ. طهران: مکتبه الصدوق. الطبعه الأُولی: ۱۳۹۷ق.

الملخص

ص: ۲۱۳

بیان مؤسسه

بسم الله الرحمن الرحیم

اُدعُ إلی سَبیلِ رَبِّکَ بِالحِکمَهِ وَ المَوعِظَهِ الحَسَنَه

علم و معرفت بزرگترین و بهترین نعمت الهی است که خداونـد متعال آن را به بنـدگان صالح خویش عطا می فرماید و آن ها را در مسیر عبودیت و کمال بنـدگی به سوی خود با آن یاری می کنـد. بزرگ ترین افتخار بنـدگان خدا برخورداری آن ها از این نعمت گرانسنگ است. عالمـان ربـانی و عارفان حقیقی کسانی هستند که در راه بنـدگی خـدا همواره پیامبران الهی و امامان معصوم را چراغ راه خـویش قرار داده و از سلوک طریـق علمی و عملی آن هـا هیـچ وقـت احسـاس خسـتگی به خـود راه نـداده و از هر طریق دیگری غیر از راه امامان معصوم دوری و بیزاری می جویند.

این بنیاد با هـدف احیای آثار چنین بزرگانی که در طول تاریـخ تشـیع همواره مدافع و پشتیبان معارف اصـیل وحیانی و علوم راستین اهل بیت بوده اند تشکل می یابد.

امیـد است بـا توجهـات خـاص حضـرات معصومین در این راه توفیق یارشـان باشـد تـا بتواننـد قـدم هـای مثبت مهمی در احیای آثار ارزشمند آن بزرگان با شرایط روز بردارند.

ص: ۲۱۴

چکیده

کتـاب نگاهی به علوم قرآنی بیان گر دیـدگاه های آیت الله محمـد باقر ملکی در روش تفسـیری و علوم قرآنی است که از مقـدمه جزء اوّل مناهج البیان فی تفسیر القرآن و دیگر آثار تفسیری و کلامی مؤلف فقید و ترجمه شده است.

کتـاب در ده گفتـار سامـان یـافته که عبارتنـد از: فضـیلت قرآن، حجیت ظواهر قرآن، انزال و تنزیل، محکم و متشابه، تفسـیر و روش صحیح آن، تفسیر به رأی، تأویل، نسخ، بداء، اعجاز و تحدی قرآن.

از آنجـا نویسـنده محترم از عالمـان معـارفی مکتبی خراسـان به شـمار می رونـد؛ در پرتوی آموزه هـای این مکتب بـا دفـاع از روش تفسیراجتهادی به نقد روش تفسیری اخباریان و تفسیر قرآن به قرآن و تفسیرهای عرفانی و فلسفی پرداخته اند.

آیت الله محمد باقر ملکی میانجی فقیه و مفسر و استاد معارف اعتقادی شیعه در سال ۱۲۸۵ ش در شهر تَرک از توابع شهرستان میانه آذربایجان به دنیا آمد.

وی در زادگـاه خـود و حوزه علمیه مشـهد از محضـر عالمـان بزرگی چون حضـرات آیـات سـید واسع کـاظمی ترکی، شـیخ هاشـم قزوینی، شـیخ مجتبی قزوینی، میرزا محمـد آقا زاده و میرزا مهدی اصـفهانی در فقه و اصول و معـارف بهرمنـد گردیـد. از میرزای اصـفهانی به دریافت اجازه اجتهاد و افتاء و نقل حدیث مفتخر گشت. اجازه ای که آیت الله سـید محمد حجت کوه کمری نیز آن را تأیید کردند.

ایشان در ۱۳۲۰ش به زادگاه خود عزیمت نموده و در آنجا سـکونت گزیدند. و با پذیریش زعامت دینی آن سامان به نشر معارف و شعائر اسـلامی همت گماشتند. و پس از هفده سال سکونت در وطن در سال ۱۳۳۸ ش عازم حوزه علمیه قم شدند و تا زمان رحلت (۱۵ خرداد ۱۳۷۷ش) به تـدریس خـارج اصول و فقه و معـارف اعتقادی و تفسـیر قرآن پرداختنـد. از ایشان مناهـج البیان فی تفسـیر القرآن (در ۶ جلد) و بدایع الکلام فی تفسیر آیات الأحکام و توحید الإمامیه منتشر شده است.

ص: ۲۱۵

Book Summary

This book is a compilation of research work conducted by the great erudite and prolific jurist Ayatollah Sheikh Mohammad Baqer Maleki Mianji (may Allah bless his soul) in the areas of Qur'anic sciences and scriptural exegesis. These research papers are largely extracted from his encyclopedic threstise "Manhajul Bayan fi Tafseer al Qur'an".

The book has ten chapters, all revolving around the Glorious Qur'an, its authority and methods of interpretation, as well as key Qur'anic topics and points of contention.

The author pursued a juristic approach to his commentary and interpretation of the Qur'an, rejecting the methods employed by the Akhbari school of thought, as well as Interpreting the Qur'an through the Qur'an, or Irfani or philosophical interpretations.

Ayatollah Maleki Mianji was a jurist and a commentator, as well as a teacher of Islamic sciences and Shia creed. He was born in ۱۹۰۶ in the city of Tark in the province of Mianeh in the state of Azerbaijan, Iran. He began his education in the village where he was born, then went on to study in the proximity of the eighth divinely appointed leader, Imam Redha may Allah's peace and blessings be upon him, at the holy city of Mashhad. He studied under the most illustrious scholars and received his certificate of Ejtehad (the highest honor awarded at the Islamic seminary) from his teacher Mirza Mahdi Esfehani.

ص: ۲۱۶

بسم الله الرحمن الرحیم

﴿اُدعُ إلی سَبیلِ رَبِّکَ بِالحِکمَهِ وَ المَوعِظَهِ الحَسَنَه﴾

Call on to the way of your lord with wisdom and good preaching

Knowledge is arguably God's most precious blessing given to humanity, with which they can understand, worship, and submit to the Almighty's commandments. It is indeed the greatest of His gifts for both in this life and the afterlife.

And those with divine understanding are the true inheritors of the prophets and their successors. Those are the people of wisdom who stop at nithing in carrying on their endeavor in seeking knowledge from its one and only source; The messengers of Allah.

This institution, was founded on the revival and republishing the canons and original works of the scholars who gave their life in supporting the foundations of the religion and the teachings of the holy prophet and his immaculate household. We ask Allah to guide us in this holy path.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلی التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلی أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوزات العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب علی تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمة؛

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقدم بکلمة الشکر والتقدیر إلی مکاتب مراجع التقلید منظمات والمراکز، المنشورات، المؤسسات، الکتّیاب وکل من قدّم لنا المساعدة فی تحقیق أهدافنا وعرض المعلومات علینا.

عنوان المکتب المرکزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹